The Islamic University of Gaza

Deanship of Research and Graduate Studies

Faculty of Usoul Eddeen

Master of Creed and Contemporary Doctrines



الجـامعــــــــة الإســـــلاميــة بغــزة

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا

كـليـــــــــة أصــــــول الديــــــن

ماجستيـر عقيـدة ومذاهـب معاصرة

منهج أبي زهرة والفاروقي في مقارنة الأديان

دراسة مقارنة

Abu Zahra and El-Farouqi's Methodology in Comparative Religions: A Comparative Study

إعدَادُ البَاحِثِ

محمد مروان محمد أبوراس

إشرَافُ

الدُكتُور/ محمد مصطفى محمد الجدي

قُدمَ هَذَا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ

فِي العقيدة والمذاهب المعاصرة بالجامعة الإسلامية

شعبان/1440هـ – إبريل/ 2019م

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوأن:

منهج أبي زهرة والفاروقي في مقارنة الأديان
دراسة مقارنة

Abu Zahra and El-Farouqi's Methodology in Comparative Religions:
A Comparative Study

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة أنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism، and I am aware of the University's policy on this.
The work provided in this thesis، unless otherwise referenced، is the researcher's own work، and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	محمد مروان محمد أبو راس	اسم الطالب:
Signature:		التوقيع:
Date:		التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza
عمـادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ....ج س غ/35/ Ref
التاريخ 2019/04/21م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **محمد مروان محمد ابوراس** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ برنامج **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

منهج أبي زهرة و الفاروقي في مقارنة الأديان
دراسة مقارنة

Abu Zahra And El Faruqi Methodology In Comparative Religions
A Comparative Study

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الاحد 15 شعبان 1440**هـ الموافق **2019/04/21**م الساعة **الواحدة مساءً**، في **قاعة مؤتمرات مبنى القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. محمد مصطفى الجدي	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. خالد حسين حمدان	**مناقشاً داخلياً**	....
د. عدنان أحمد البرديني	**مناقشاً خارجياً**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/برنامج العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. مازن إسماعيل هنية

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

الرقم العام للنسخة	3107416	اللغة	ع	ماجستير ☒	دكتوراه ☐

التاريخ: 22/4/2019م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية



قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ محمد زياد محمد أبو راس

رقم جامعي: 120170072 قسم: العقيدة كلية: أصول الدين

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقيّة للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD)
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب

إدارة المكتبة المركزية

192

ملخص البحث

هذا بحث بعنوان: منهج أبي زهرة والفاروقي في مقارنة الأديان دراسة مقارنة، وقد اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة.

فأما المقدمة: فقد تناول الباحث فيها أهمية وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، وحدود البحث، ومنهج البحث، إلى جانب خطة البحث.

وأما التمهيد: فقد تناول الباحث فيه التعريف بعلم مقارنة الأديان، ونشأته، وتطوره، والتعريف بالمناهج العلمية في مقارنة الأديان، ثم التعريف بالشيخ محمد أبي زهرة، والدكتور إسماعيل الفاروقي، وعصرهما وحياتهما الشخصية والعلمية.

وأما الفصل الأول: فقد تناول فيه الباحث الحديث عن الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة والفاروقي، من خلال الحديث عن مصادرهما في دراسة الأديان، ثم الحديث عن المناهج التي ساروا عليها في دراستهما للأديان، وقد قام الباحث بعمل مقارنة بينهما.

وأما الفصل الثاني: فقد تحدث الباحث عن منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة اليهودية، من خلال حديثهما عن نشأة اليهود القديمة، ثم حديثهما عن العقائد اليهودية المختلفة، وبيان أهم الأفكار المنحرفة فيها، ثم حديثهما عن الفرق والملل اليهودية، وقد قام الباحث بعمل مقارنة بين كل من أبي زهرة والفاروقي، وبين فيها أهم النقاط التي اتفقا عليها، وأهم النقاط التي وقع الاختلاف فيها بينهما.

وأما الفصل الثالث: فقد تحدث الباحث عن منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة النصرانية، من خلال حديثهما عن نشأة النصارى، وأثر اليهود في هذه النشأة، ثم حديثهما عن العقائد النصرانية المختلفة، وتأثرها بغيرها من العقائد السائدة، وبيان التحريف، ثم حديثهما عن الفرق النصرانية، وقد قام الباحث بعمل مقارنة بين كل من أبي زهرة والفاروقي، وبيَّن فيها أهم النقاط التي اتفقا عليها، وأهم النقاط التي وقع الاختلاف فيها بينهما.

أما الخاتمة: فقد دون الباحث فيها أهم النتائج، وأهم التوصيات النابعة من الدِّراسة.

Abstract

This research entitled ‘Abu Zahra and El-Farouqi’s Methodology in Comparative Religions: A Comparative Study’, includes an introduction, a preface, three chapters, and a conclusion.

In the introduction, the researcher dealt with the importance and reasons for selecting the subject and the research problem and objectives, as well as previous studies and research limits, methodology, and plan.

In the preface, the researcher addressed the definition of the science of comparative religions including its origin and development, and the definition of scientific methods in comparative religion. Then the researcher introduced Sheikh Mohammed Abu Zahra and Dr. Ismail El-Farouqi, talking about their era and personal and scholarly life.

The first chapter discussed the knowledge bases of the study of religions by Abu Zahra and El-Farouqi, then talked about the methodologies they used in their study of religions and also by comparing between both scholars .

In the second chapter, the researcher dealt with the methodology of Abu Zahra and El-Farouqi in the study of Judaism, through their talk about the origin of ancient Jews, and the different Jewish doctrines clarifying their most important deviant ideas, and the Jewish sects and denominations. The researcher conducted a comparison between Abu Zahra and El-Farouqi, stating the most important points they agreed on, and the most important points of disagreement between them .

The third chapter looked into the methodology of Abu Zahra and Farouqi in the study of Christianity, through talking about the emergence of the Christians, the impact of the Jews in this emergence, and then discussing the different Christian doctrines which were influenced by other dominant doctrines and the deviations they underwent. The researcher compared between the different Christian denominations, and also made a comparison between Abu Zahra and El-Farouqi, pointing out the most important points they agreed on, and the most important points of disagreement between them .

The researcher concluded by stating the most important findings and recommendations of the study.

بسم الله الرحمن الرحيم

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}

[المائدة: 82]

إهداء

إلى أبي وأمي الغاليين الحنونين، هما قدوتي ومصدر فخري

وهما اللذان علماني كل شيءٍ يحتاجه طالب العلم الهُمام

فإليهما أحن كلما أصحوا وأنام

وإلى زوجتي الصابرة، على الرغم من طول الليالي والأيام

وإلى أبنائيَ الأربعة، الذين أسأل الله لهم التوفيق والنجابة والسلام

وإلى إخوتي وأخواتي، سندي وظهري وعزوتي على الدوام

أخص منهم أخي عاصم الشهيد البطل المقدام

وإلى صديق الطفولة عليان، أدعو الله له بالشفاء التام

وإلى جامعتي العزيزة، التي علمتني العلم مع الأخلاق والالتزام

وإلى كل من علمني في حياتي ولو كان حرفاً، فله جفت عن التحية الأقلام

شكر وتقدير

أشكر الله تعالى أولاً أن من عليَّ بنعمة الإسلام، والتوفيق، والهداية، وأن شرفنا بالاختيار لحمل أمانة الإسلام الغالي، وإرساء قواعده بين الناس، والدفاع عنه، وقد قال رسول ﷺ:(من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، وبناءً عليه:

أتقدم بخالص شكري، وعظيم امتناني وتقديري وعرفاني، إلى أستاذي الفاضل الدكتور: **محمد مصطفى محمد الجدي**، المشرف على هذه الدراسة، لما لجهوده وتوجيهاته من أثر كبير في إتمامها على ما هي عليه، فقد كان لي نعم الأستاذ، والمربي، والموجه، إلى جانب مساعدتي في إحضار كتب ومقالات الدكتور إسماعيل الفاروقي، وأسأل الله تعالى أن يثيبه على هذا الجهد خير الثواب، وأن يجعل عمله وعملي خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك له في عمره وعمله وذريته، أن يختم له ولي وللمسلمين بخير.

كما أشكر أيضاً عضوي لجنة المناقشة كل من:

أ.د. خالد حسين عبد الرحيم حمدان.

د. عدنان أحمد العبد البرديني.

لتفضلهما وتكرمهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتوجيهي بالملاحظات السديدة التي سآخذها بعين الاعتبار إن شاء الله تعالى.

كما وأتوجه بالشكر لفضيلة الدكتور: **سعد عبد الله حسان عاشور**، الذي ساعدني في الحصول على مقالات وكتابات الشيخ محمد أبي زهرة، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر للقائمين على الجامعة الإسلامية بغزة، وأخص بالذكر منهم العاملين بكلية أصول الدين ورئاستها، وأعضاء هيئة التدريس بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، وأشكر كل من مد يده بالعون والمساعدة.

وأشكر كل من ساندني ووقف بجانبي ولو بدعوة في ظهر الغيب، وأسأل الله التوفيق والسلامة والقبول.

فهرس المحتويات

إقرار .... أ

نتيجة الحكم .... ب

ملخص البحث .... ت

Abstract .... ث

إهداء .... ح

شكر وتقدير .... خ

فهرس المحتويات .... د

المقدمة **1**

أولاً: أهمية البحث: 3

ثانياً: مشكلة البحث: 3

ثالثاً: أهداف البحث 3

رابعاً: الدراسات السابقة 4

خامساً: حدود الدراسة 5

سادساً: منهج البحث 6

خطة البحث **7**

التمهيد: **10**

أولاً: تعريف علم مقارنة الأديان، ونشأته، وتطوره. 11

ثانياً: بيان ماهية مناهج مقارنة الأديان، ونقدها: 26

ثالثاً: نُبذة تعريفية عن الشيخ محمد أبو زهرة: 32

رابعاً: نُبذة تعريفية عن الدكتور إسماعيل الفاروقي: 45

الفصل الأول **59**

الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة الفاروقي وتقييمها............................... 59

المبحث الأول: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة وتقييمها:.................... 60
المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة وتقييمها: 60
المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة وتقييمها:............... 66

المبحث الثاني: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند الفاروقي وتقييمها. 74
المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند الفاروقي وتقييمها:................... 74
المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند الفاروقي وتقييمها: 85

المبحث الثالث: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة والفاروقي:..... 91
المطلب الاول: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة والفاروقي:. 91
المطلب الثاني: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة والفاروقي 94

الفصل الثاني 96

مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة الدين اليهودي 96

المبحث الأول: منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة الديانة اليهودية: 97
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة نشأة اليهودية: 97
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة اليهودية:....................................... 104
المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة اليهودية: 118

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية:........................ 121
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد اليهودية:................................. 121
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد اليهودية: 131
المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية. 144

المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية:........................ 147
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق اليهودية.................................... 147
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق اليهودية:.................................. 152
المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية....... 171

الفصل الثالث 173

مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة الدين النصراني........................... 173

المبحث الأول: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة نشأة النصرانية:........................ 174
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة نشأة النصرانية:................................ 174
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة النصرانية: 183
المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة النصرانية:........ 188

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد النصرانية 190
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد النصرانية:............................... 190
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد النصرانية:............................... 213
المطلب الثالث: مقارنة بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في نقد العقائد النصرانية: 227
المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية 230
المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق النصرانية 230
المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق النصرانية: 239
المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية. .. 242

الخاتمة 244

أولاً: النتائج:... 244

ثانياً: التوصيات:.. 245

المصادر والمراجع 248

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:... 248

ثانياً: المراجع الأجنبية:.. 257

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا بالإيمان ودعانا بالقرآن وأجاب دعاءنا بالفضل والإحسان، والصلاة والسلام على سيد الخلق الذي جاءنا بدعوة الحق، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم السلام أما بعد..

فإن الله تعالى تكفل بحفظ دينه فقال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]، وحفظ الله للقرآن يكون بحفظه آياته، وحفظ الأحاديث المفسرة له، وبالعلماء الربانيين الذين يدافعون عن حياض هذا الدين من كيد الكائدين والمفسدين الذين يريدون تدمير دين الله تعالى، وتشويه صورته على مدار الزمان، من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى زماننا الحاضر وهم يحاولون ذلك بشتى الوسائل وبكل الطرق الباطلة، فقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: 36]، ولن يستطيعوا أبداً مهما بذلوا في سبيل ذلك، وسيغلبون بإذن الله تعالى وسينتصر هذا الدين وأهله إن شاء الله تعالى.

ومن الرجال الذين قيضهم الله تعالى للدفاع عن دينه، الشيخ محمد أبي زهرة بعلمه الغزير، ومؤلفاته الإسلامية الكثيرة، والتي تنوعت بحيث غطت كل العلوم الإسلامية تقريباً، وكان بحقٍ مدرسةً كاملةً حيث برع في الفقه والتاريخ والأديان والعقيدة والسيرة، وكان له كتب في ذلك كله، وقد تخرج آلاف الطلبة على يديه، وكان مثالاً للثبات على الحق، والثبات أمام الخصوم، لا يخشى في الله لومة لائم.

لم يقتصر علم الشيخ أبي زهرة على الكتب المنشورة، بل تعدى ذلك إلى المحاضرات القيمة الكثيرة، والمقالات التي غطت الكثير من مستجدات العصر، والتي منها مسألة دراسة الأديان، خاصة الديانة اليهودية والنصرانية.

وكذلك كان الدكتور إسماعيل راجي الفاروقي، المفكر الإسلامي، وعالم التاريخ والفلسفة واللغة والأديان وتاريخها، الشهيد إن شاء الله، حامل هم الشرق والغرب، الذي رضي بالشهادة في

سبيل الله، ونشر الحق، وكشف الزيف، ولم يقبل أن يبخل على الناس وعلى أمته بعلمه وقلمه وفكره، فاستشهد هو وزوجته (لمياء) في منزلهما بعد أن ترك نتاجاً فكرياً، وعلماً دينياً، كان له عظيم الأثر على تلاميذه من المسلمين وغيرهم؛ بل على العديد من خصومه.

والفاروقي كانت دراساته خليطاً بين الفكر الغربي الفلسفي، والفكر الاسلامي الملتزم بما قررته شريعة الإسلام، ولذا تميز بمنهج خاص جمع فيه ما بين الدراسات الإسلامية التراثية، وبين العلم الغربي الفلسفي.

ولا غرابة، أن نستشعر الحاجة الماسة لمن يتصدى للدعوة والرد على أباطيل وشبهات المغرضين من خصوم الأمة، وإلى مفكرين يكونون ذوو تأثير إيجابي على نفوس وعقول المحبين والكارهين على حد سواء.

وهذه المعاني هي ما تبغي هذه الدراسة الوصول إليه وبيانه من خلال الدراسة الدقيقة الواعية لإنتاج العالمين الحليلين الشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور إسماعيل الفاروقي، للإفادة منه على أكمل وجه.

أولاً: أهمية البحث:

يتناول البحث الحديث عن عالمين جليلين معاصرين لهما مكانة خاصة عند الباحثين الإسلاميين والغربيين ، تخصصا في مجالات عديدة، منها: مقارنة الأديان، حيث تتجلى أهمية البحث في إمكانية استخلاص منهجيهما والمقارنة بينهما، وبيان الدعائم العلمية لكل منهما في علم مقارنة الأديان، لتكون من السبل التي تنير الطريق أمام المتخصصين في هذا المجال المعرفي.

ثانياً: مشكلة البحث:

وجدت العديد من الكتابات العلمية المحكمة، وغير المحكمة، والتي تبحث في الإنتاج العلمي لكل من الشيخ أبي زهرة والدكتور الفاروقي، في اتجاهات متعددة، ومع أهميتها إلا أنها أغفلت استكشاف الأسس المنهجية لدراسة علم الأديان لكليهما بشكل علمي تفصيلي؛ ولهذا يتضح أن قصور في هذا الجانب، وتأتي هذه الدراسة لمعالجة هذا القصور.

ثالثاً: أهداف البحث

1. الكشف عن منهج مفكريْن إسلاميَّيْن، وداعيَيْن معاصريْن، كان لهما أثر كبير على ساحة علم الأديان، وهما الشيخ محمد أبو زهرة والدكتور إسماعيل الفاروقي.
2. مقارنة بين أبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بين منهجي أبي زهرة والفاروقي.
3. إبراز أهمية دراسة المناهج المختلفة للرد على أصحاب المذاهب والأديان المختلفة بالأسلوب العلمي الصحيح.
4. استكشاف مبررات صياغة الدراسات الإسلامية الجادة بالأساليب العلمية الحديثة، فيما يختص في علم مقارنة الأديان.
5. التعرف على حقيقة اليهود والنصارى حق المعرفة من خلال بيان طرق، وأساليب التحريف في كتبهم، والفساد في عقائدهم وأخلاقهم.
6. المساهمة في إبراز جهود علماء المسلمين في مقارنة الأديان.

رابعاً: الدراسات السابقة

لقد اهتم الكثير من الباحثين بالشيخ أبي زهرة، وكتبت الكثير من الكتابات حول منهجه وحياته وتراثه الفكري والعلمي والديني والحضاري، وكذلك كان الاهتمام بالدكتور إسماعيل الفاروقي، لكنها كانت كلها دراسات أكاديمية مختلفة تماماً عن موضوع الدراسة التي اخترتها، على حسب علمي، ونختار منها الاتي:

1- دراسة بعنوان "**الشيخ محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية**" [1] للباحث: سعد عبد الله عاشور ، وتحدث الباحث عن الشيخ محمد أبو زهرة وعصره وحياته وعلمه، ثم في الباب الثاني تحدث عن قضايا العقيدة التي أبرزها الشيخ أبو زهرة في دراساته، ثم تحدث في الباب الثالث عن موقف أبي زهرة من الفرق والأديان .

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي أنها تحدثت عن الشيخ أبي زهرة بكل القضايا العقدية التي تحدث عنها، وحيث سأخصص الحديث عن قضايا الأديان –المسيحية واليهودية– مع مقارنته بالفاروقي.

2- دراسة بعنوان: "**منهج الفاروقي في دراسة اليهودية**" [2] للباحثة: ليندا بوعافية، والتي تحدثت عن الفاروقي ومناهجه في مقارنة الأديان وفصلت الحديث عن اليهودية ومنهج الفاروقي في نقدها ودراسة الفاروقي لكتبهم وعقائدهم ، وتحدثت عن ما وراء الدين كمنهج للفاروقي في نقد الأديان ، ثم في النهاية منهج الفاروقي في دراسة الملل اليهودية المعاصرة.

وهذه الدراسة تحدثت عن مناهج الفاروقي بشكل عام وخصصت الحديث عن مناهجه في الحديث عن اليهود فقط ولم تتحدث عن الشيخ أبو زهرة.

([1]) الشيخ محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية ، عاشور (رسالة دكتوراه غير منشورة).

(2) منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، بوعافية (رسالة ماجستير غير منشورة).

3- دراسة بعنوان "**معالم منهج دراسة المسيحية بين أبي محمد بن حزم وإسماعيل راجي الفاروقي** " [1] ، من إعداد الباحثة: زينة محمد باخة، وقد استهدفت الباحثة دراسة معالم منهج دراسة المسيحية بوصفها منظومة عقدية من خلال نموذجين هما ابن حزم والفاروقي .

وما يميز بحثي أنه تحدث عن الشيخ أبي زهرة في مجال مقارنة الأديان ثم قارنه بالدكتور إسماعيل الفاروقي، وهذا ما لم يتطرق إليه الباحث.

4- دراسة بعنوان " **الشيخ محمد أبو زهرة وآراؤه الاعتقادية عرضاً ونقداً** " [2] ، للباحث: فهد بن أحمد النميري، حيث إن الباحث تحدث عن الشيخ محمد أبو زهرة وعن آرائه في الإيمان بالله تعالى وآرائه في بقية أركان الإيمان وآرائه في مسائل الأسماء والأحكام.

وهذه الدراسة إذ افردت الحديث عن الشيخ أبي زهرة ولكنها لم تتحدث عن منهجه في مقارنة الأديان ولم تقارن بين منهجه ومنهج غيره من العلماء.

بعد الانتهاء من استعراض هذه الدراسات يتبين أن هذه الدراسة تتميز عن سابقاتها:

أنها ستقارن بين جهود عالِمين – أبو زهرة والفاروقي- في الأديان وبيان مناهجهما في دراستهما للأديان بشكل تفصيلي وأكثر عمقاً.

خامساً: حدود الدراسة

سيركز البحث على مضامين علم مقارنة الأديان من خلال منهج الشيخ محمد أبو زهرة والدكتور إسماعيل الفاروقي والاكتفاء بهذين العالمين فقط ، ومقتصراً على اليهودية والنصرانية، وبالتحديد في مجال النشأة والعقائد والفرق.

([1])معالم منهج دراسة المسيحية بين أبي محمد بن حزم وإسماعيل راجي الفاروقي، باخة (رسالة ماجستير غير منشورة).

([2])الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، النميري (رسالة دكتوراه غير منشورة).

سادساً: منهج البحث

سيعتمد الباحث على أربعة مناهج في البحث وهي:

_**المنهج التاريخي:** حيث تتبع البعد التاريخي لعلم مقارنة الأديان، والبعد التاريخي لدراسة كل من أبي زهرة والفاروقي في كتاباتهما.

_ **المنهج الوصفي:** في التعريف بأبي زهرة والفاروقي، والبيئة التي عاشا فيها ، وخصائصها التي أثرت في إنتاجهما العلمي الغزير.

_ **المنهج التحليلي:** حيث قراءة نصوصهما في الأديان، وتحليل مضامينهما وتتبع مختلف أفكارهما ، وآراءهما العلمية.

_**المنهج المقارن:** حيث المقارنة بين آرائهما من حيث الاتفاق والاختلاف، ومدى تميز كل منهما في دراسته في الأديان المختلفة.

خطة البحث

وتتكون الخطة من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

وتتكون المقدمة من أهمية وأسباب اختيار الموضوع، ومشكلة البحث، وأهداف البحث والدراسات السابقة وما يميز هذه الدراسة عن غيرها، وحدود الدراسة ومنهج البحث.

المقدمة:

التمهيد:

أولاً: تعريف علم مقارنة الأديان، ونشأته، وتطوره.

ثانياً: مناهج دراسة مقارنة الأديان.

ثالثاً: نبذة تعريفية عن الشيخ محمد أبو زهرة.

رابعاً: نبذة تعريفية عن الدكتور إسماعيل الفاروقي.

الفصل الأول: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة والفاروقي وتقييمها

المبحث الأول: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة وتقييمها.

المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة وتقييمها

المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة وتقييمها

المبحث الثاني: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند الفاروقي وتقييمها.

المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند الفاروقي وتقييمها

المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند الفاروقي وتقييمها

المبحث الثالث: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة والفاروقي.

المطلب الأول: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة والفاروقي

المطلب الثاني: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة والفاروقي

الفصل الثاني: مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة الدين اليهودي

المبحث الأول: منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة الديانة اليهودية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة نشأة اليهودية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة اليهودية

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة اليهودية

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد اليهودية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد اليهودية

المطلب الثالث: مقارنة بين موقف أبي زهرة والفاروقي من العقائد اليهودية

المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق اليهودية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق اليهودية

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية.

الفصل الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة النصرانية

المبحث الأول: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة نشأة النصرانية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة نشأة النصرانية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة النصرانية

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة نشأة النصرانية

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد النصرانية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد النصرانية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد النصرانية

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي من العقائد النصرانية

المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق النصرانية

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق النصرانية

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات

التمهيد:

أولاً: تعريف علم مقارنة الأديان، ونشأته، وتطوره.

ثانياً: مناهج دراسة مقارنة الأديان.

ثالثاً: نُبذة تعريفية عن الشيخ محمد أبو زهرة.

رابعاً: نُبذة تعريفية عن الدكتور إسماعيل الفاروقي.

أولاً: تعريف علم مقارنة الأديان، ونشأته، وتطوره.

يعتبر علم مقارنة الأديان في زماننا من العلوم المهمة، التي تحظى باهتمام الكثير من الباحثين، الإسلاميين والغربيين، كيف لا يكون مهماً؟!، وهو الذي يبحث في أعظم شيء، في الأديان، التي من خلالها يفهم الإنسان أصله ومرجعه بعد الوفاة.

ومما يميز علم مقارنة الأديان بكونه كاشف خرافات، وأكاذيب رجال الدين من القساوسة، وأشياعهم، مما ألزم علماء المسلمين أن يبينوا الحق، وأن يوضحوا للناس سبل النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، إن التزموا به، ولم يحيدوا عن طريقه.

ناهيك عما سبق، فعلم مقارنة الأديان يلقي الضوء على الديانات القديمة، وكيف تطورت، حيث بدأت توحيدية ثم حرفت، وكيف انتشرت بِوَثَنِيَّتِها على بقاع الأرض المختلفة، وبيان أثرها على الناس، وحتى الديانات التوحيدية التي أرسل الله بها الرسل ليعيدوا مسار العبادة إلى الصراط المستقيم، لكن الناس أنفسهم يظلمون، هذه المعاني وغيرها، سيتم بيانها في الاسطر التالية:

1-تعريف علم مقارنة الأديان وبيان دلالاته:

سيتم التعرض لتعريف علم مقارنة الأديان، من خلال ما كتبه المهتمون بهذا العلم، ومن ثم الاجتهاد في بيان دلالاته على النحو التالي:

أ- تعريف علم مقارنة الأديان:

- **التعريف الأول:** "علم يمسك القضايا الدينية، ويشرحها، ويبرز عناصرها، ويقارن بينها؛ للخلوص بنتيجة وهي: أن الدين الإسلامي قمة شامخة وما سواه حافل بالانحرافات والوثنية والتعدد"[1]
- **والتعريف الثاني:** "رصد للظواهر، وتسجيل القضايا والأفكار، التي تتعلق بعنصر من العناصر الموجودة في دينين أو أكثر"[2]

([1]) مقارنة الأديان اليهودية، شلبي، ص35.

([2])علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، تركي، ص22.

- **وأما عن التعريف الثالث** فهو: " هو العلم الذي يوصلنا إلى دراسة المكونات العقدية لعدد من الديانات والعقائد، التي استقت تعاليمها من غيرها، أو تأثرت تأثيراً كلياً بعقائد أخرى سبقتها، وكان لها حضور وانتشار على مساحات واسعة من العالم "[1]
- **والتعريف الرابع** هو: "علم يقارن بين الأديان –سواء سماوية وغيرها– لاستخلاص أوجه الشبه والاختلاف بينها في معرفة الصحيح منها والفاسد. إظهاراً لحقيقة الإسلام بأدلةٍ يقينيةٍ"[2].

ومما سبق ذكره، يمكن بيان عناصر الاتفاق والاختلاف بين التعريفات المختلفة كالتالي:

* **وجه الاتفاق:**

تتفق التعريفات السابقة على وجوب شمول دراسة مقارن الأديان على أكثر من دين، حتى تصبح دراسةً مقارنةً.

* **أوجه الاختلاف:**

- يختلف التعريفان الأول والرابع عن باقي التعريفات في أن التركيز في مقارنة الأديان يجب أن ينصب على إعلاء راية الإسلام على غيره من الديانات المنحرفة أو المحرفة، وبيان الفرق الجوهري بين الإسلام وغيره من الديانات الأخرى، ولكن بطرق بحث علمي، من خلال ما هو موجود في كتبهم المقدسة، وكتاباتهم الشارحة.
- التعريف الثاني ينفرد برأيه عن أن علم مقارن الأديان هو رصد وسرد، دون أن يكون وراء هذا الرصد رأي للباحث، أو ترجيح منه حول أن هذا الدين أفضل أو أجدر للاتباع من غيره. كما وينفرد في أنه يجب دراسة ظواهر الأديان، وأن لا نظل جامدين في داخل نصوص الكتب، وأن العقائد المكتوبة ليست بالضرورة هي العقائد المطبقة فعلياً.

([1])علم مقارنة الأديان، الباش، ص76.

([2])مدخل الى علم مقارنة الأديان، كامل، ص2.

- التعريف الثالث ينفرد بحديثه عن تأثر الديانات بعضها ببعض، من خلال أن الدين السابق أثر في ما سبقه من ديانات، أو أن الديانات التالية ليست إلا تطور عن ما سبقها من أفكار.
- التعريف الرابع ينفرد بذكره أن العقائد محل الدراسة، ليست فقط الديانات التي وصفت بأنها سماوية؛ بل إن كل الديانات داخلة في الدراسة.

ب- التعريف المختار:

وأما التعريف المختار لعلم مقارنة الأديان –من وجهة نظر الباحث– هو:(**علم مقارنة الأديان اسم جامع لمختلف الدراسات العلمية التي تهتم بالأديان عموماً، من خلال دراسة المعتقدات والطقوس الدينية: تأريخاً، وتوصيفاً، وتحليلاً، ونقداً، بناءً على أسسٍ وضوابط علمية ومنهجية، من خلال مراجعهم المعتمدة، ومن خلال رصد الظواهر).**

ج- بيان دلالات علم مقارنة الأديان:

تم عرض العديد من المعاني المهمة المتعلقة بعلم مقارنة الأديان، ويمكن استنباط أهم هذه المعاني على النحو الآتي:

- وجود تشابه بين العناصر الأساسية في الأديان، ويزداد التشابه كلما زاد الاقتراب المكاني بينها.
- العجز عن الإحاطة بكامل التفاصيل الدينية من خلال الكتب المعتمدة فقط، بل لا بد من الاهتمام بدراسة الطقوس، والظواهر، وبعض الكتب الغير معتمدة.
- تَحَقُّق وجود الشبهات في الأديان المحرفة أو المنحرفة، والذي يحتاج إلى دراسة معمقة من الباحثين للرد عليها، وتبيين الحقائق، من خلال سبر النصوص المقدسة فيها.
- البرهنة على مصداقية النصوص الدينية في الإسلام، في مقابل تهاوي أو تزييف النصوص عند الديانات الأخرى.
- يهتم ببيان العلاقات بين الأديان المختلفة، ويبين عناصر الالتقاء والاختلاف بينها.
- يكشف حقيقة الأديان التي اخترعها الإنسان من وحي خياله، واستنباط الأسباب التي أدت إلى رواجها بين معتنقيها، أو رفضها عند العرض عليهم.

- يلزم الدارس لعلم مقارنة الأديان الاتصاف بصفات طالب العلم، كالاتصاف بالموضوعية والبعد عن شخصنة القضايا، والتعامل السلبي مع القضايا الدينية، وأنه يجب أن يكون غزير العلم؛ حتى يكون موضع قبول عند الآخرين.

2-نشأة علم مقارنة الأديان:

الإنسان بطبعه مخلوق تفاعلي في الوسط البيئي الذي يحيا فيه، ومن أوجه التفاعل التي يمارسها الإنسان: التفاعل المعرفي، والذي يلزمنا منه في هذا المقام، اهتمامه بالدين الذي جبل عليه، ولكن بسبب تعدد المعتقدات في المجتمعات، يقع البعض في الحيرة والاضطراب، بحيث يختلط الصحيح بالسقيم، فبرزت الحاجة لبيان الدين الحق، والبرهنة على صدقه، في مقابل بيان أوجه بطلان المعتقدات الأخرى، ومن هنا ظهر علم جديد في الوسط الثقافي عرف باسم علم مقارنة الأديان، وسيتم عرض الأقوال في بيان نشأة علم مقارنة الأديان في الأسطر الآتية:

الرأي الأول: ذهب البعض إلى أن بداية نشأة علم مقارنة الأديان هو ما سجله لنا علماء تاريخ الأديان، من أمثال هربرت سبنسر (Herbert Spencer)[1] وغيره، من بعض البدايات التي قام بها المفكرون اليونان، في عهد نبوغ الثقافة اليونانية-في القرن الثالث قبل الميلاد-، زمن أرسطو وغيره من المفكرين والفلاسفة، حيث قاموا بالتعرض لمسائل دينية، كمصير الأرواح بعد الموت، وقضية الألوهية، وهذه كانت بداية ظهور النقد الديني، الذي تطور عند الفلاسفة فيما بعد.[2]لكن الواقع يؤكد على أن هذه الدراسات لا ترقى أن تكون دراسات مقارنة؛ لأنها حصرت داخل فكرة معينة -كقضية الرب- ودرستها بمعزل عن بقية الأديان الأخرى، أو أنها ظلت داخل دين واحد فقط، كما حدث في القرن الثاني الميلادي مع المسيحية عندما حدث خلاف حول مسألة طبيعة المسيح والروح القدس[3].

([1])هربرت سبنسر: (1820-1903) فليسوف بريطاني، هو الذي أوجد مصطلح البقاء للأصلح، آمن قبل دارون بتطور الأنواع من أشكال بسيطة إلى أشكال معقدة، من أهم مؤلفاته (أسس علم الحياة)، و(الفلسفة التركيبية).
انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص233.

([2])انظر: مدخل إلى علم مقارنة الأديان، الكردوسي، ص73.

([3])انظر: علم مقارنة الأديان، الباش، ص30.

الرأي الثاني: بينما ذهب الكثير من الباحثين إلى أنه علم إسلامي، أسسه المسلمون، وتوسعوا في الكتابة فيه، وطوروه، وحدث هذا التوسع بداية من عهد النبي في الآيات التي نزلت عليه، وفي الحوارات التي دارت بين رسول الله وأهل الديانات السابقة من النصارى واليهود ومشركي العرب، ثم حدثت النقلة النوعية في العهد العباسي في القرن الثاني هجري، عندما حدث استقرار للدولة.

ومن أكبر الأدلة على هذا الرأي، الكم الهائل من المؤلفات والبحوث التي عنيت بدراسة الأديان، والتي سنذكر بعضها في موضعه.[1] ومن أبرز الدوافع التي أدت إلى إنتاج هذا الكم الهائل من المصنفات هي:

أ- الدفاع عن الإسلام ضد الأديان والأفكار الأخرى، وخاصة أن ذلك الزمان شهد تنوعاً كبيراً جداً في الأديان والأفكار داخل الدولة الإسلامية؛ بسبب الفتوحات الإسلامية، وبسبب وجود الدولة الإسلامية في الوسط بين أكبر حضارتين في العالم –الدولة الفارسية والدولة الرومانية-. [2]

ب-الإشارات الموجزة الواردة في القرآن الكريم، فكان على العلماء المسلمين أن يتوسعوا في دراسة هذه الأديان حتى يعطوها التفسير والمعلومات الكافية، في إطار لدراستهم للقرآن الكريم. [3]

ج- الحرية الفكرية والتسامح الديني الذي اتسمت به الدولة الإسلامية، تجاه الرعايا من غير المسلمين، على عكس العادات المتبعة في ذلك الزمان، من عدم قبول الآخر، حتى لو اختلف معه في جزئية من جزئيات الدين.[4]

د- ازدهار الحضارة الإسلامية أدى إلى تنشيط حركة البحث العلمي، وأدى إلى دراسة كل ما يمكن دراسته.[5]

([1])انظر: علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، ابراهيم التركي، ص55، مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدامى والمعاصرين في دراسة الأديان، الدوسكي، ص8

(2)انظر: مدخل الى علم مقارنة الأديان، كامل، ص3.

([3])انظر: علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، التركي، ص34

([4])انظر: مدخل إلى علم مقارنة الأديان، الكردوسي، ص74

([5])انظر: علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، التركي ، ص37.

هـ-اهتمام بعض الخلفاء بالعلم، وخاصة العلم القائم على الحوار والمحاجة، حيث ظهرت المحاورات في بلاط الخليفة الرشيد ثم المأمون من بعده.[1]

الرأي الثالث: يرى بعض الباحثين أن علم مقارنة الأديان علم جديد، عمره الأقصى مائة وخمسون عاماً، وأن من وضع اللبنات الأساسية لهذا العلم هم العلماء الغربيون، ويرجح البعض منهم أن أول من أسس لهذا العلم هو الألماني ماكس موللر(max muller) [2]، الذي حاول من خلال كتاباته أن يطعن في الأديان عامة، وأن ينسب نشأة العقائد الدينية إلى عجز اللغة الإنسانية، والعلم الحديث عن تفسير الظواهر الموجودة، أو شرحها.[3]وكان اسم كتابه حول مقارنة الأديان (علم الأساطير المقارن)، هذا يعني أنه اعتقد أن الأديان مبنية على أساطير وخرافات، وليس على وحي من الله تعالى.[4]

يتضح من الآراء السابقة أن مفكري الإسلام كان لهم قصب السبق في ظهور هذا العلم، حيث إنه لا يوجد قبل الإسلام مؤلفات عالجت هذا الموضوع بدقة وموضوعية، وإن كل الكتابات قبل الإسلام كانت تتحدث داخل إطار الدين نفسه[5]، مما يؤكد على أصالة المسلمين، وسبقهم لغيرهم في هذا المجال؛ بل إن الغرب قد استفادة من التراث الإسلامي الذي وجدوه، وصار علماً يدرَّس في الكثير من الجامعات العالمية[6].

3- مراحل تطور علم مقارنة الأديان:

تدرج علم مقارنة الأديان في مراجل متعددة، اتسمت في بدايتها بالبساطة، ولم تظهر على هذا النضج إلا في مراحلها الأخيرة، ويمكن إيجازها على النحو التالي:

([1]) انظر: علم مقارنة الأديان، الباش، ص31.

([2])ماكس مولر: (1823-1900م)، مستشرق بريطاني مولود في ألمانيا عام 1823م، درس اللغات والديانات وعلم الأساطير، درس الأديان دراسة مقارنة، وعمل أستاذا في تدريس اللغات، من أشهر كتبه (محاضرات في علم اللغة) و(المدخل إلى علم الدين). انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص442.

([3])انظر: علم مقارنة الأديان، الباش، ص 36.

([4])انظر: منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، عويس، ص48.

([5])انظر: علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، التركي، ص55.

([6])انظر: بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، الشرقاوي، ص6.

أ- مرحلة التكوين (منذ بعثة النبي ﷺ حتى ق2 هجري):

تبلورت معالم هذه الفترة المرحلة، والتي امتدت من بعثة رسول الله ﷺ حتى منتصف القرن الثاني هجري، مع نزول آي القرآن الكريم، التي دعت إلى محاورة أهل الأديان بهدف الوصول إلى الحق، وإقناع الخصوم، زادت تفصيلها بما ورد في الأحاديث النبوية، وما حدث في حياته ﷺ من أحداث مع أهل الكتاب.

وترتكز مرحلة التكوين على دعامتين:

- **الدعامة الأولى: القرآن الكريم:** الذي خطى خطوات في مجادلة اليهود والنصارى وفند ادعاءاتهم بأسوب سهل ميسر مقنع[1] ، حيث قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125]، ويقول تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: 24]. فهذه الآيات وغيرها، تدعو المسلم أن يزيد همته في الدفاع عن دينه بالحجة والموعظة الحسنة.

وقد حاور القرآن اليهود وفنَّد مزاعمهم وأبطل حججهم في العديد من المناسبات أحدها في مجادلتهم، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: 94، 95]، أي أن الله تعالى تحدى اليهود -بما زعموه من أن الآخرة لهم دون الناس- أن يتمنوا الموت، فإنهم صائرون كما يزعون إلى الجنان، وإن لم تعطوها علم الناس أنكم على باطل وضلال، وانكشف أمركم، فامتنع اليهود عن ذلك لعلمهم أنهم إذا تمنوا الموت فإن في ذلك هلاكهم [2].

وحاور النصارى أيضاً في كثير من الآيات، نذكر منها قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ

---

(1)انظر: تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، مهديّ، ص2.

(2)انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج2 ص362.

عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المائدة: 72، 73] هنا يبطل الله زعم النصارى، على اختلاف فرقهم أقوالهم في المسيح بن مريم، فمن قائل أنه هو الله، ومن قائل أنه ثالث ثلاثة، فتوعدهم الله بالعذاب، وأخبرهم أن المسيح بن مريم ما هو إلا بشر، وأنه هو من ألهوه، دعاهم إلى عبادة الله وطاعته، ولا ينبغي أن يكون لله ولد، ولا شريك أبداً [1].

- **الدعامة الثانية: السنة النبوية:** حيث وافق المنهج النبوي المنهج القرآني ، وما صدر عنه ﷺ ليس إلا فهمه للقرآن الكريم، والوحي الإلهي من خلال السنة النبوية المطهرة، ومنهجه في الحوار والمناظرة [2]، ولقد حاور رسول الله ﷺ المشركين في مواطن متعددة، وقضايا مختلفة، من أهمها:

- **المثال الأول:محاورته للمشركين:**

قصة حواره ﷺ مع عتبة بن ربيعة الذي جاء إلى رسول الله ﷺ ليحاوره، حيث عرض على رسول الله ﷺ المال والمُلك والرِّئاسة، إن كان ذلك هو ما دعاه ﷺ إلى الدعوة إلى الإسلام، فلما فرغ عتبة من دعواه، قال له رسول الله ﷺ أفرغت يا أبا الوليد، ثم قرأ عليه رسول الله ﷺ من سورة فصلت ﴿ حم (1) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (2) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (3) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [فصلت: 1 – 4] وأنهى رسول الله ﷺ قراءته عند الآية ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [فصلت: 38] وسجد رسول الله ﷺ، وقال له قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك، ورجع عتبة إلى أصحابه مخذولاً[3].

([1])انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج10 ص480-481.

([2])انظر: تاريخ وتطور عل مقارنة الأديان، مهدي، ص3.

([3])انظر: السير والمغازي ، بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ج1 ص206.

- **المثال الثاني: محاورته لليهود:**

حاور رسول الله ﷺ اليهود، وأدَّت هذه الحوارات إلى إسلام القليل منهم ، ومن هؤلاء (عبد الله بن سلام) حينما سأل رسول الله ﷺ أسئلة، فأجابه عليها، وبذلك ألزمه رسول الله ﷺ الحجة بأنه رسول مرسل من عند الله [1].

وهناك حوادث كثيرة على حواراته ﷺ مع اليهود، حيث كان قصد اليهود من هذه الحوارات تعجيزه عن الإجابات، ومضايقته عن مقصده في الدعوة إلى الله عز وجل [2].

- **المثال الثالث: محاورته للنصارى:**

حاور رسول الله ﷺ النصارى ، لكن لم يصلنا إلا القليل من هذه الحوارات؛ لقلة احتكاك المسلمين بهم ،وبعدهم الجغرافي عن مدينة رسول الله ﷺ، ومن أمثلة هذه الحوارات: حواره مع نصارى نجران الذين أتوا بوفد ضخم يريد مفاوضة رسول الله ﷺ وبعد أن فرغوا من صلاتهم دعاهم للدين القويم وشرح لهم دعوته، موضحاً كل ذلك بالبراهين والأدلة ثم دعاهم إلى الملاعنة، يقول تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61]، وقد كان لهذه المناظرة الأثر البالغ في التأثير على كثير من أهل نجران ليقفوا مع أنفسهم ويراجعوا أحوالهم.[3]

ب- مرحلة التدوين: (من القرن 2-4 هجري):

بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية، وزاد عدد الدّاخلين في الإسلام من عرب وعجم، مع ما عندهم من رواسب الجاهلية، والموروثات التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، زادت المناظرات، وتنوعت الأساليب، ثم ما كان من العلماء في ذلك العصر إلا أنهم اتجهوا إلى تدوين هذا العلم؛ حتى تظل كتبهم دليلاً يهدي الحيارى، واستمرت هذه الفترة إلى منتصف القرن الرابع الهجري، ولعله من أهم دوافع هذا الحراك العلمي والذي أدى إلى اندفاعهم إلى نصرة الحق هو: الانفتاح الفكري على الحضارات والترجمات في زمن (هارون الرشيد)[4] وإنشاؤه لبيت الحكمة[1]، الذي

([1])انظر: الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، ج5 ص69.

([2])انظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ج1 ص519، 546 ،: المسند الصحيح المختصر، مسلم ، ج1 ص252.

([3])انظر: السير والمغازي ، محمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، ج1 ص218.

([4])هارون الرشيد: أبو جعفر هارون بن محمد بن أبو جعفر المنصور، (149-193هـ) ولد في الري ، بويع بالخلافة عام 170هـ وكان عمره 22 عاما، يعتبر من أشهر الخلفاء العباسيين، وقد كان من خيرة الخلفاء، يحج

كان مخزناً لكل جديد من العلوم، ثم في زمان ابنه (المأمون)[2] والاهتمام بالترجمة والمناظرات الفكرية، وخاصة تلك التي كانت بين مدرسة أهل السنة وبين المعتزلة، وهذا إنما يدل على الاهتمام بالعلم وخاصة المقارنات العقدية بين الديانات[3]. اتسمت كتاباتهم في هذه المرحلة بأنها عبارة عن ردود مقتضبة على اليهود والنصارى، بغرض: الدفاع عن الدين، وتثبيت من دخل حديثاً في الإسلام، ومحاولة إقناع غير المسلمين في الإسلام.

من أهم الكتب التي كتبت في هذا الزمان للدفاع عن الإسلام، والرد على أصحاب الأديان المخالفة لما جاء به الإسلام:

- كتاب (الرد على أبي قرة النصراني) وكتاب (الرد على النصارى) لأبي موسى المردار (المتوفى: 226هـ).
- كتاب (الرد على عمار النصراني) وكتاب (الرد على اليهود) وكتاب (الرد على أهل الأديان) لأبي هذيل العلاف (المتوفى: 235هـ).
- كتاب (الرد على النصارى) وكتاب (الرد على اليهود) لأبي عيسى الوراق (المتوفى: 247هـ).
- كتاب (المختار في الرد على النصارى) لعمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى : 255هـ).

عاما ويغزو عاما، كان كثير صلاة النوافل، وكثير الصدقة، وقد فتحت الكثير من البلدان في عهده، واستتب الأمر وعم الرخاء البلاد، وتوفي في طوس. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج9 ص286– 293.

([1])بيت الحكمة: هي أول دار علمية أقيمت في تاريخ الحضارة الإسلامية، أسست في عهد هارون الرشيد، واتخذ من بغداد مقراً لها، حيث تم أخذ كل المخطوطات والكتب والتي كانت تعج بها جدران القصر في عهد أبي جعفر المنصور لتكون مكتبة عامة، وأسماها بيت الحكمة، ثم في عهد المأمون والذي جلب الكتب اليونانية من الروم، وترجمها، وكان عصر المأمون أفضل عصور بيت الحكمة. انظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، ج4 ص164.

([2])المأمون: عبد الله المأمون بن هارون الرشيد،(170–218هـ) سابع الخلفاء العباسيين، لما مات أبوه الرشيد اقتتل هو وأخوه الأمين على الخلافة أربع سنين إلى أن حاصر بغداد وقتل الأمين، وتولى هو الخلافة عام 198هـ، شهد عصره ازدهاراً بالنهضة العلمية والفكرية، تفرد عهده بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات، وفلك، واهتمام خاص بعلوم اليونان، وتوفي غازياً بطرسوس . انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج10 ص272 –290.

([3])انظر: المعارف، الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، ص33.

ج- **مرحلة النضج والتوسع في التأليف: (من القرن 4-8 الهجري).**

تميزت هذ المرحلة بتطور علم مقارنة الأديان تطوراً عظيماً، وتوسع العلماء في كتابة الكتب والأبحاث، وذلك خلال القرن الرابع إلى الثامن الهجري، والذي شهد تطورا علميا في معظم العلوم، وقد تميزت المؤلفات في هذه المرحلة بالغزارة المعرفية، وكبر حجم الكتب، مع التعمق أكثر في الردود على أصحاب الديانات المختلفة، وكان منهج الكُتَّاب -في هذه المرحلة- هو الإحاطة التامة بموضوع البحث [1]، ومن أهم ما كتب في هذه المرحلة :

- كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام) لأبي الحسن العامري (المتوفى : 381هـ)
- كتاب (الفصل في المِلل والأهواء والنِّحَل) لابن حزم الأندلسي (المتوفى: 456هـ)
- كتاب (الفَرق بين الفِرَق) للخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ) .
- كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) للغزالي (المتوفى : 505هـ) .
- كتاب (المِلل والنِّحَل) للشهرستاني (المتوفى: 548هـ) .
- كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية (المتوفى: 728هـ).
- كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، لابن القيم الجوزية (المتوفى:751هـ).

د- **مرحلة الضعف والاختفاء: (من القرن 8-14 هجري):**

امتدت هذه المرحلة من القرن الثامن حتى القرن الرابع عشر، وقد امتد هذا الضعف على كل المستويات العلمية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومن بينها: قلة الاهتمام بعلم مقارنة الأديان، ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هذا الضعف:

- ازدحام قصور الملوك والخلفاء في عصور الضعف بزوجات من أهل الكتاب، وبعدد من الأطباء والوزراء من غير المسلمين؛ فاستطاع هؤلاء بسبب نفوذهم أن يُسكِتوا أصوات المتحدثين والمؤلفين في علم مقارنة الأديان؛ لطعنهم في عقائدهم المنحرفة[2].

([1])انظر: تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، مهدي، ص3 ،: الملل والنحل، الشهرستاني، ج1 ص6.

([2])مثاله: العزيز بالله الفاطمي، ثاني الحلفاء الفاطميين، حيث كامت زوجته نصرانية، وكان مدير الدولة وكبير الوزراء نصراني، وكان متولي أعمال الشام يهودي، وبالمجمل في عهده استولى الوزراء والكتاب الذميون على

- زحف الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي والتي كانت (ثمان) حملات، ما بين الأعوام (489- 670هـ)، وهؤلاء لا يعرفون تسامحًا دينيًّا ولا مجادلةً بالحسنى، فقابلهم المسلمون بالقوة، فخفت صوت المجادلات والمحاورات التي يتولد منها علم مقارنة الأديان تحت صليل السيوف [1].
- التعصب الفقهي الذي فشا بين العلماء، وأدى التعصب للرأي، إلى أن يتجه العلماء إلى الانكفاء على أنفسهم، بدلاً من الدفاع عن عقيدتهم أمام العقائد الأخرى، وبالتالي خرجت مؤلفاتهم خالية من هذا النوع من العلوم، من أمثلة هذا التعصب الأعمى: ما حدث في مدينة نيسابور في العام 556هـ، حدثت فتنة بين الشافعية من جهة والأحناف من جهة أخرى، حيث خرب من مدارس الحنفية ثمان مدارس، ومن مدارس الشافعية سبع عشرة مدرسة، وأحرق خمس خزائن للكتب، ونهبت غيرها وبيعت بأبخس الأثمان [2].

وهناك فوضى في الفتاوى تثير الدهشة، كما ورد عن الأحناف فتوى تقول: (من لم يكن حنفياً فليس بمسلم) [3]، وفتوى أخرى معاكسة: (من اعتقد عقيدة ابن تيمية حلّ ماله ودمه)[4]، وغير ذلك الكثير مما أثر سلبا على كل العلوم الإسلامية، وخاصة علم مقارنة الأديان.

- تبني بعض المسلمين الاتجاه الذي كان سائدًا لدى أتباع الديانات الأخرى، وهو عدم إمكان المقارنة بين الأديان، حيث لا يعترفون بغير دينهم، فهاجموا علم مقارنة الأديان على اعتبار أن الإسلام لا يقارن بسواه [5].
- عدم اهتمام الحكام في تلك العصور بالعلم والعلماء كما كان أسلافهم من قبل، كالخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون الذي روي عنه أنه: كان يعطي المترجم زنة ما

معظم مفاصل الدولة. انظر: تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1 ص55. والكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7 ص475.

([1])انظر: أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، المغلوث، ص46، 188.

([2])انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج9 ص283.

([3])انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج17 ص625.

([4])انظر: كنز الدرر وجامع الغرر، الدواداري، ج9 ص138.

([5])انظر: تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، مهدي، ص4.

ترجمه إلى العربية –من كتب العجم– ذهباً[1]، وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين كانوا يكرمون العلماء.

لكن يجب أن نعرف أن هذه الأسباب المذكورة، لم تؤثر على علم مقارنة الأديان إلا بعد فترة زمنية طويلة، وبالتدريج، ولم يتدارك علماء المسلمين الأمر إلا بعد ذلك بزمن، وبعد أن استفحل الأمر وعم البلاء، قيض الله من العلماء من استعاد زمام المبادرة، وشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، وأكمل العلماء ما بدأه أسلافهم، ولكن بصورة أكبر وأكثر تأثيراً.

هـ- مرحلة التجديد والارتقاء: (من القرن 14هجري إلى الآن).

أفاق المسلمون في العصر الحديث من غفوتهم بعد أن أهملوا هذا العلم واهتم به الغربيون، وراحوا يحاولون استعادة الزمام مرة أخرى، وأن يُحيوا من جديد علم مقارنة الأديان؛ ليكون طريقاً من طرق نصرة الحق، وقد قطع العلماء المعاصرون شوطًا كبيرًا في هذه الدراسات، وبدأ الدعاة المسلمون يطبقون قوانين هذا العلم، وهم يقومون بالدعوة إلى الإسلام، وبدأت المؤلفات تظهر من جديد في علم مقارنة الأديان، أهم ما يميز هذه الكتابات، أنها كانت أكثر تفصيلا وتوسع من سابقاتها، كما في كتاب (إظهار الحق)، وأنها كانت في سبيل إقناع الخصوم بحقائق دياناتهم الباطلة، وكشف زيفها وتحريفها، كما في مناظرات (أحمد ديدات)، وأنها كانت تخاطب الغرب بلسانهم، وتحاورهم بطرقهم البحثية العقلية والفلسفية، كما في كتب (إسماعيل الفاروقي). وربما من أهم الدراسات الإسلامية المعاصرة في علم مقارنة الأديان:

- كتاب (إظهار الحق) لرحمة الله الهندي، (المتوفى:1891م).
- كتاب (محاضرات في النصرانية) وكتاب (مقارنة الأديان الديانات القديمة) للإمام محمد أبو زهرة، (المتوفى: 1974م).
- كتاب (الأخلاق المسيحية) وكتاب (الملل المعاصرة في الدين اليهودي) لإسماعيل الفاروقي، (المتوفى: 1986م).
- ما قام به الشيخ أحمد ديدات (المتوفى: 2005م) من مناظرات وتحولت فيما بعد إلى كتب.
- كتاب (نظرات في إنجيل برنابا) للشيخ محمد قطب، (المتوفى: 2014م).

([1])انظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، ص260.

ومن أهم الدراسات الغربية المعاصرة:

- كتاب(موازنة بين ما كتبه كلٌّ من البيروني والمسعودي عن المسيحية)، للبارون كارادي فو (Baron Carra de Vaux) [1].
- كتاب (ترجمة تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة)، لإيدوارد سخاو (Eduard Sachau)[2].
- كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية)، وكتاب (تاريخ الأدب العربي)، لكارل بروكلمان (Carl Brockelmann) [3].
- موسوعة (دائرة معارف الدين والأخلاق)، لمجموعة من المستشرقين.
- موسوعة (دائرة المعارف الألمانية عن الدين في الماضي والحاضر)، وقد ظهرت طبعتها الأولى عام 1914 ميلادية ، والطبعة الثانية ظهرت عام 1927 ميلادية.
- موسوعة (دائرة المعارف الإسلامية) لمجموعة من المستشرقين، وقد ظهرت طبعتها الأولى سنة 1927 ميلادية بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وقد ترجمت بعض أجزائها إلى اللغة العربية.

من الملاحظ أن علماء الغرب لم يؤلفوا هذه المؤلفات عبثاً، بل كان لهم مقاصدهم الخاصة التي تخدم مشروعهم الاستعماري الاستشراقي، فينبغي أن نكون على حذر عند الاطلاع على أعمال هؤلاء المستشرقين؛ حتى لا نقع في شباكهم دون وعي منا، والبعض القليل منهم كان همه الأساسي معرفة الحقيقة، أو من أجل العلم[4].

وعند البحث عن دوافع علماء الغرب لهذه الكتابات، يمكن تلخيص أهمها على النحو الآتي:

([1])كارادي فو: البارون (1868-1930م)، مستشرق فرنسي، من المعهد الكاثوليكي بباريس، درس العربية ودرَّسها في المعهد، وحقق العديد من المصادر، أهم كتبه (العبقرية السامية والعبقرية الآرية في الإسلام) ، (مفكرو الإسلام)، انظر: موسوعة المستشرقين، بدوي، ص462.

([2])إيدوارد سخاو: (1845-1930م) مستشرق ألماني، أصبح أستاذا في جامعة فينا وبرلين، وعين أستاذا للغات الشرقية، وأنشأ المدرسة الشرقية ببرلين، وترجم عدة كتب عربية، انظر: الأعلام، الزركلي، ج5 ص211.

([3])كارل بروكلمان: (1868-1956م)مستشرق ألماني، درس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، أتقن عدة لغات، وانتخب في العديد من المجامع، له اهتمام في ترجمة الكتب الإسلامية، انظر: موسوعة المستشرقين بدوي، ص98-100.

([4])انظر: تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، مهدي، ص4.

- **الدافع الديني:** كان همهم الطعن في الإسلام؛ ليثبتوا لجماهيرهم أنَّ الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأنَّ المسلمين قوم همَجٌ لصوصٌ، سفاكون للدماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن كل سمو روحي وخلقي، فأخذوا يشوهون سُمعة الإسلام في نفوس رُواد ثقافتهم من المسلمين؛ لإدخال الوهن إلى العقيدة الإسلامية، والتشكيك في التراث الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يتَّصل بالإسلام من علم وأدب وتراث، وهناك الهدف التبشيري الذي لم ينسوه في دراستهم، وهم أصلا رجال دين.[1]
- **الدافع الاستعماري:** بعد هزيمة الصليبيين في حملاتهم ضد المشرق، وعودتهم خائبين إلى بلدانهم، اتجهوا إلى دراسة هذه البلاد لمعرفة نقاط القوة والضعف فيها، ومحاولة بث الوهن والضعف في تفكيرنا، عن طريق التشكيك بكل الموروثات الدينية، والتراثية والفكرية، وما عندنا من قيم وعقيدة، وبعد ذلك نفقد الثقة بأنفسنا ونرتمي في أحضانهم، انظر إليهم كيف يُشَجِّعُون في بلادنا القوميات التاريخية التي عفى عليها الزمن، واندثرت منذ دخول الإسلام هذه البلاد، إنهم ما برحوا منذ نصف قرن يحاولون إحياء الفرعونية في مصر، والفينيقية في سوريا ولبنان وفلسطين، والآشورية في العراق وهكذا، ليتسنَّى لهم تشتيت جهود الأمة.[2]
- **الدافع التجاري:** رغبة منهم في التعامل معنا لترويج بضائعهم وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، حتى تقتل صناعتنا المحلية، والتي كانت مزدهرة على مر العصور والأزمان.[3]
- **الدافع السياسي:** ازدادت حاجة الدول الغربية –بعد استقلال الدول الإسلامية – إلى سفراء وملحقين متقنين للغة العربية وعالمين بدين وثقافة وأفكار الشعب، ليتمكنوا في ما بعد من الاتصال برجال الاعلام والسياسة، وتثبيت ما تريده بلدانهم. [4]
- **الدافع العلمي:** ومن المُسْتَشْرِقِينَ نفر قليل أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يكونوا يتعمَّدون الدَسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى

([1])انظر: تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، مهدي، ص20.

([2])انظر: المرجع السابق، ص23.

([3])انظر: نفسه، ص23.

([4])انظر: نفسه، ص24.

الحق وإلى المنهج العمليّ السليم من أبحاث معظم المستشرقين، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته. وممن اعتنق الدين الإسلامي من المستشرقين الغربيين، جوهن لويس بوركهارت (john lewis burckhardt)[1] وفريتس كرينكوف (Frit Krenkow)[2]، وهناك غيرهما الكثير [3].

والحقيقة أن أعداء الإسلام المدفوعون بحقدهم على الإسلام وأهله، والمدفوعون بحب السيطرة السياسية، والمالية، والتجارية على الشعوب الضعيفة والمقهورة، لن يألوا جهداً، ولن يدخروا وقتاً، في العمل على تحقيق أطماعهم، ولكن ما يقض مضاجعهم، ويؤرق لياليهم، هو الصحوة الإسلامية، وقدرة العلماء على إيقاظ الجيل من سباته، وإعادة حجمهم إلى حقيقته، وأنهم لم يبقوا جامدين على ما كان عليه سلفهم، بل تطوروا في أساليبهم ومناهجهم، حتى غلب المسجون جلاده.

ثانياً: بيان ماهية مناهج مقارنة الأديان، ونقدها:

بعد الحديث عن علم مقارنة الأديان، والحديث عن تطوره على مر السنين، من النشأة الأولى إلى الزمن الحاضر، هذا التطور الذي حصل؛ لا يمكن أن يكون إلاَّ إذا كان هناك منهجً سار عليه العلماء، إذ إن تقدُّم البحث العلمي بأي علم هو مرتهنٌ بالمنهج، فمتى وجد المنهج كان التقدم والتطور، عندها يعطي المنهجُ الدارسَ الطريق الذي سيسلكه، إذا أراد خوض غمار العلم، ليحميه من سلبية فقدان المنهج، كالبعد عن الموضوعية، وقصور الرؤية البحثية، وغيرها من الآفات [4].

([1])جوهن لويس بوركهارت: (1784–1809م) سويسري ، درس الكيمياء والطب والفلك، ثم اتقن العربية، وتفقه في الدين الإسلامي واعتنقه عام 1809م، وتسمى باسم إبراهيم بن عبد الله، انظر: شبكة الألوكة (مستشرقون اعتنقوا الإسلام) الألفي.

([2])فريتس كرينكوف: (1872–1953م) ألماني، درس عدة لغات منها العربية والفارسية، اعتنق الإسلام وسمى نفسه محمد سالم الكنكوري، حقق كثير من أمهات كتب التراث، بتكليف من دائرة المعارف العثمانية، انظر: شبكة الألوكة (مستشرقون اعتنقوا الإسلام) الألفي.

([3])انظر: الاستشراق والمستشرقين ما لهم وما عليهم، السباعي، ص25.

([4])انظر: علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام، التركي، ص89

وغلب على جموع المفكرين إغفال ذكر طبيعة المنهج المتبع، إلا أن الدارسين لهذه المصنفات العلمية تتبعوا مناهجهم، وخَلَصوا إلى أن من كتب بهذا العلم لم يخرج عن أحد منهجين: المنهج الوصفي التاريخي، والمنهج النقدي الجدلي، وفيما يلي عرض لهذين المنهجين:

1-ماهية المنهج الوصفي التاريخي، وبيان أوجه النقد عليه:

أ. ماهية المنهج الوصفي التاريخي:

هي الدراسة التي يقوم الباحث فيها بسبر المضامين من حيث عرض عقائد، وتشريعات، وتاريخ الأديان، كما وصفتها الكتب المقدسة عندهم، ويُعنَى هذا المنهج ببسط الآراء والمعتقدات، أكثر من اهتمامه بنقدها، وتقويض أسسها [1] ومن المعلوم أن الدراسات المقارنة على وجه العموم تعتمد أساساً على المنهج الوصفي [2].

فاهتمام الباحث هنا هو النقل، والمشاهدة، والوصف، وأن ينقل ذلك كله إلى الناس حتى يتعرفوا على ماهية هذه الديانة التي هي محل الدراسة، سواءً كان متفقاً مع ما جاء في دراسته أو لم يكن متفقاً.

ب. أشهر المؤلفات الإسلامية والغربية:

- **المؤلفات الإسلامية:**

- كتاب (الإعلام بمناقب الإسلام)، أبو الحسن العامري (المتوفى: 381هـ)
- كتاب (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل او مرذولة)، البيروني (المتوفى: 440هـ)
- كتاب (الملل والنحل)، الشهرستاني، (المتوفى: 548هـ).
- كتاب (مقارنة الديانات، الديانات القديمة)، محمد أبو زهرة، (المتوفى: 1974م)
- كتاب (الملل المعاصرة في الدين اليهودي)، إسماعيل الفاروقي، (المتوفى:1986م)

- **المؤلفات الغربية:**

---

(1)انظر: مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدامى والمعاصرين في دراسة الأديان ، الدوسكي، ص11-12

(2)علم مقارنة الأديان عند مفكري الاسلام، تركي، ص90.

- استخدم العلماء الغربيون هذا المنهج في دراستهم للأديان إما بنفس مسماه، أو سموه بمسميات أخرى مثل: (الفيمنومينولوجيا [1]) –أو الظاهراتية– التي تقوم على دراسة الظاهرة كما هي، بمعنى أن يسبر غور التاريخ ويعرف مقالة الدين حول القضية المعينة، ثم يصفها كما هي موجودة في الحقيقة دون زيادة أو نقصان.

ومن أمثلتهم موللر[2](Max Muller) في كتابه (المدخل إلى علم الدين)، الذي يعد من أوائل الكتاب الغربيين الذين كتبوا في مقارنة الأديان، والذي يتبين من خلال الاطلاع على الدراسات والبحوث التي قدمها، أنه تناول ظاهرة الدين عبر التاريخ، وما يرتبط به من أساطير وخرافات [3].

- وأطلقوا إسماً آخر عليه وهو: (المنهج الأنثروبولوجي) [4]، والذي يعتمد متبعوه على المنهج التاريخي، ويتبنوا فيه نظرية التطور[5]، والتي كان من روادها جيمس فريزر

([1])الفيمينولوجيا: (علم الظواهر) هي الدراسات التي تجعل من الظاهر موضوعاً أساسياً للدراسة، حيث يتم دراسة الظواهر الخارجية كما تبدوا للإنسان، وكما يدركها الشعور الإنساني. أو هي الدراسة الوصفية لمجموع الظواهر كما هي عليه في الزمان والمكان، انظر: الفيمينولوجيا عند هوسرل، سماح رافع محمد، ص56.

المعجم الفلسفي، صليبا، ج2 ص35.

([2])ماكس موللر: (1823–1900م)، مستشرق ألماني، وتتجس بالجنسية الإنجليزية. أحسن العربية والسنسكريتية والعبرية. انصرف اهتمامه إلى دراسة علم اللغات، والمقارنة بين الأديان. انظر: الأعلام، الزركلي، ج5 ص145.

([3])انظر: علم مقارنة الأديان ، الباش، ص54.

منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، عويس، ص48.

([4])المنهج الأنثروبولوجي: تقوم هذه الدراسات بدراسة خصائص الشعوب؛ وخاصة البدائية، من حيث العادات والتقاليد والطقوس والأساطير الشائعة، وهي صور المعتقدات الخارجية، يعني دراسة الدين كظاهرة ثقافية واجتماعية ، وتعتمد على دراسة الأحافير والآثار، الى تم اكتشافها لأقدم الحضارات الانسانية والتي، لم تكن معروفة قبل. انظر: منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، عويس، ص69

([5])نظرية التطور: هي نظرية تقول، أن الحياة الأولى للإنسان والحيوان والنبات بدأت على ظهر الأرض بجرثومة أو أكثر، تطورت من حال إلى آخر بفعل عوامل مختلفة، حتى وصلت إلى هذا التنوع الذي نرى على رأسه الإنسان، ويقولون إن هذه التحولات والترقيات جاءت بعد صراع طويل بين هذه الكائنات، عبر آلاف القرون. انظر: الإسلام ونظرية التطور، باشميل ص21

(James Frazer)[1] وكتابه الديني -الذي ألفه على طريقة المنهج الأنثروبولوجي- (الغصن الذهبي)، وفي هذا المنهج يقوم الدارسون بفحص تاريخ الدين من خلال الآثار التي خلفها القدماء، ويعتمدون على هذه الآثار حتى يثبتوا أي قضية دينية، ثم يقوموا بوصف هذه الظاهرة.

ج. نقد المنهج الوصفي التاريخي:

- عجز هذا المنهج عن إقناع الناس بدين معين، حيث الاكتفاء بالسرد والوصف دون محاولة التأثير على القارئ.
- الدارس لمقارنة الأديان من خلال هذه الكتب، سيجد نفسه محتاجاً إلى مجهود كبير جدا؛ حتى يستطيع الرد على أهل العقائد الباطلة والمحرفة، إذا اكتفى بدراسة الأديان من خلال الكتب التي استخدمت هذا المنهج.
- دراسة الأديان من خلال الفينومينولوجيا تعد دراسة قاصرة، لأنها كتبت دون الشعور الحقيقي الذي يخلفه الإيمان بالدين، ودون دراسة الأحاسيس البشرية، لأنها تقتصر في دراستها على ما هو ظاهر للعيان فقط.
- هناك خلل واضح لابد أن يحصل عند دراسة الأديان على طريقة المنهج الأنثروبولوجي، لأن الكثير من الآثار التي كانت موجودة في الماضي، قد اندثرت وانمحت عن الوجود في العصر الحاضر سواءً بعامل الزمان، أو عامل الطبيعة، أو عامل الإنسان.

2-بيان ماهية المنهج التحليل النقدي وبيان أوجه النقد عليه:

أ. ماهية المنهج التحليل النقدي:

يعرف المنهج النقدي بأنه هو الدراسة المقارنة، حيث الدراسة، والتحليل، والنقد وبيان الصحيح من الفاسد، من خلال دقة المناقشة، واستيفاء كافة الحجج المنطقية

([1])جيمس فريزر: (1854-1941م)، عالم انثروبولوجيا اسكوتلاندي، مؤلفاته كان لها كبير الأثر في تطور علم الأنثروبولوجيا وعلى العالم النفسي فرويد أشهر كتبه الغصن الذهبي وكتاب الطوطمية والزواج بغير ذي القربى.
انظر: الغصن الذهبي في السحر والدين، فريزر، ترجمة: نايف الخوص، ص6-8.

والعقلية[1]، بغرض معرفة الحقيقة، أو غرض طمسها -على حسب طبيعة الباحث-، وهذا المنهج لم يتخذ شكلا واحداً؛ بل كان على عدة أشكال منها:

- **الدراسة الكلية:** دراسة جانب أو أكثر من ديانتين مختلفتين أو أكثر ، حيث يُقارن بينهما، فيُجري عملية المقارنة، بإظهار بطلان هذا المعتقد؛ إما لمخالفته الفطرة السليمة، أو العقول الصحيحة، أو تناقضه مع معتقد آخر داخل الدين الذي يعتقده، أو مخالفته نصوص القرآن الكريم[2].
- **الدراسة الجزئية:** وفيها يتم التركيز على دراسة جزء من هذا الدين، كدراسة الأسفار التي يقدسها أصحاب الديانات، وتحليلها، ومقارنتها ببعضها البعض، أو مع غيرها من الأسفار الأخرى. مستشهداً بالنصوص المقدسة عندهم، وأقوال مفكريهم [3].

يفهم من هذا المنهج النقد في طرح أسس الأديان وأدلتهم؛ إلا أنه كان مبنيًا على الدليل البرهاني العقلي والنقلي، ولذلك انتقد ابن حزم أعمال سابقيه في نقد الأديان والمذاهب، مبيِّناً أنه على الرغم من كثرة التأليف في هذا المجال، فإن النزر اليسير منه فقط قد اتبع الطريقة السوية في النقد، وقد طرح فكرة البراهين الجامعة الموصلة إلى معرفة الحق، والتي تعتمد على البرهنة والانتقاد، لا على النقل الواصف فقط[4]، ويتبين من هذا كله أن مقارنة الأديان على هذه الطريقة تحتاج إلى بذل جهد كبير، وإلى علم غزير، وإلى ذكاء خارق، وإلى معرفة شاملة، وقدرة على النقد الموضوعي [5].

ب. أشهر المؤلفات الإسلامية و الغربية

- **المؤلفات الإسلامية:**

- كتاب (الفصل في المِلل والأهواء والنِّحَل) لابن حزم الأندلسي (المتوفى: 456هـ)

---

(1)علم مقارنة الأديان، الباش، ص44.

(2)انظر: مناهج دراسة الأديان(مدونة د مزقول)، مزقول.

(3)انظر: المرجع السابق.

(4)انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، الأندلسي، ج1 ص11.

(5)انظر: مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدامى والمعاصرين في دراسة الأديان ، الدوسكي، ص11.

- كتاب (الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل) للغزالي (المتوفى : 505هـ) .
- كتاب (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية (المتوفى: 728هـ).
- كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) لابن القيم الجوزية (المتوفى:751هـ).

– **المؤلفات الغربية:**

- أشهر من كتب من الغربيين موريس بوكاي (Maurice Bucaille) [1] من خلال كتابه (التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)، وقد تناول العديد من القضايا العلمية والتاريخية، من خلال التوافق بينها وبين ما جاء في القرآن والتوراة والإنجيل، وغير ذلك من المقارنات. [2]
- كتاب (أديان العالم) لهوستن سميث (Huston Smith) [3].

ج. أوجه النقد للمنهج التحليل النقدي:

– احتياجه إلى جهد كبير وتمرس عظيم من قبل الباحث، فلا يستطيع أي أحد أن يكتب فيه.

– عندما يدخل عنصر الرأي الشخصي في الدراسات؛ فإن التلبيس وقلب الحقائق يكون أكثر وجوداً، من الدراسات التي لا يتدخل الباحث فيها، وهذا ما هو موجود هنا، حيث استغل الباحثون الغربيون والمنحرفون هذا المنهج للطعن في الأديان عامة، أو الطعن في الدين الإسلامي خاصة.

([1])موريس بوكاي: (1920– 1998م)، طبيب فرنسي، وكان الطبيب الشخصي للملك فيصل سعود، درس الكتب المقدسة عند اليهود والنصارى والمسلمين، ولكن بمقاييس العلم الحديث، قال إن القرآن فوق المستوى العلمي للعرب وللعالم، ولا يمكن أن يصدر هذا عن أميّ، وأعلن إسلامه في العام1974م في حادثة فحصه مومياء فرعون الشهيرة، انظر: موريس بوكاي (ويكيبيديا).

([2])انظر: علم مقارنة الأديان، الباش، ص56.

([3])هوستن سميث: (1919–2016م)، ولد في الصين وكان عالماً بالدراسات الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية، ومؤلف كتاب أديان العالم. انظر: هوستن سميث (ويكيبيديا).

يتضح -من خلال عرض مناهج الباحثين المختلفة في مقارنتهم الأديان- دور المنهج في تحديد الطريق التي يسير عليها الباحث، ويوضح هدفه من دراسته، ثم يسهل على الباحثين المنتقدين له أو القارئين لكاتبه أن يستفيدوا من علمه، وفي النهاية لا علم بلا منهج؛ حتى يظل هذا العلم يتطور ويرتقي.

ويتضح أيضاً أن منهج التحليل النقدي أفضل المناهج لدراسة مقارنة الأديان، -مع الصعوبة الشديدة في تطبيقه على الباحثين-، خاصة إن كان الباحث يبحث عن الحقيقة، ولم يكن من مزوري التاريخ والأديان. ولكن يبقى الدين الإسلامي الدين الحق الذي لن يستطيع أحد أن يشوه صورته الناصعة، وسيكشف الله زيفهم في كل مرة يحاولون فيها أن يلبسوا على الناس دينهم.

ثالثاً: نُبذة تعريفية عن الشيخ محمد أبو زهرة:

تتعدد العوامل المؤثرة في صياغة شخصية العالم المعرفية، والتي منها: البيئة التي نشأ فيها، ومدى الثراء المعرفي والمادي فيها، وها ما سيكون محور الحديث، عن أبي زهرة، من خلال عرض عصره، وأهم الأحداث التي صقلته معرفياً، ودينياً، وذلك على النحو التالي:

1- عصر الشيخ محمد أبي زهرة:

حفل عصر الشيخ أبي زهرة بأحداث سياسية مهمة، انعكست بدورها على الواقع المجتمعي في زمانه، وقد أرخت سدولها على البيئة الثقافية، والتي أثرت في صياغة شخصية الشيخ أبي زهرة في مجمل نواحيها، وهذه المعاني سيتم بسطها في الأسطر التالية:

أ. الحالة السياسية:

معروفة هي مصر بعلمائها وأبطالها وكتابها ومفكريها، فلا تخلوا ثقافة جيل إلا من ذكر مصر، ودورها التاريخي في صناعة أحداث المنطقة، ولقد زاد ظهور دورها، كونها تقع في الوسط الإسلامي، بين الشرق والغرب، بالإضافة إلى تاريخها الحافل بالبطولات، خاصة بعد

فتحها من القائد عمرو بن العاص عام 20هـ[1] في زمن الفتوحات الإسلامية، لكن يد التخريب والإرهاب الحاقد أبت إلا أن تُدَمر هذا التراث وهذه الحضارة، على رأسها الاحتلال البريطاني – الذي أطلق عليه الحماية البريطانية– لمصر، عقب الحرب العالمية الأولى [2]، وككل احتلال في التاريخ، بدأ هذا الاحتلال الدموي يمارس جرائمه على الشعب المقهور، إلى أن ساءت أحوال الدولة تماماً في كل المناحي عامةً، والسياسية منها خاصة، وانفجرت ثورة 1919م، مما اضطر إنجلترا إلى الاعتراف بدولة مصر.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية [3] بكل ويلاتها على العالم أجمع، وبما حصدته من أرواح، وبما دمرت من إنسانية الإنسان، وأشنع ما ترتب على هذه الحرب؛ سقوط دولة فلسطين في أيدي الصهاينة، ثم دخول الجيش المصري والدول العربية الأخرى الحرب؛ لإعادة الأرض إلى أهلها، لكن ذلك لم يتحقق، وكان حجم المؤامرة كبير، وكمية الخيانات أكبر، وهزمت الجيوش، وسقطت فلسطين إلى تحت نير الاحتلال إلى يومنا هذا، ثم حدثت ثورة الضباط الأحرار[4]، التي أطاحت بالنظام الملكي عن حكم مصر، وأُعلن النظام الجمهوري[5].

([1])انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي، ج1 ص4.

([2])الحرب العالمية الأولى: حرب كونية وقعت بين دول كثيرة من العالم تصارعت فيما بينها بين الأعوام (1914–1918م)، حيث انقسم العالم إلى: دول المحور (الامبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية ودولة الخلافة العثمانية) هذه من جهة ، ودول الحلفاء (المملكة المتحدة وفرنسا والامبراطورية الروسية)، وانتصرت هذه الأخيرة. ومن أهم أسبابها: اغتيال ولي العهد النمساوي ، وأودت هذه الحرب بحياة اكثر من عشرة ملايين شخص. انظر: مشاهد علمية الحرب العالمية الأولى، آدمز، ص8–20، 64.

([3])الحرب العالمية الثانية: هي حرب كونية معاصرة تعتبر الأكثر دموية في التاريخ حيث شارك فيها معظم دول العالم بين الأعوام (1939–1945م)، شاركوا كحلفاء، إما لألمانيا النازية، أو مع الحلف الذي قادته بريطانيا، والذي انتصر في النهاية، واستسلمت ألمانيا وحلفاءها وقد شارك في القتال أكثر من 100 مليون شخص، وقتل أكثر من 49 مليون ما بين عسكري ومدني، ومن أهم أسبابها الشروط والاتفاقيات المجحفة التي فُرضت على المنهزمين في الحرب العالمية الأولى. انظر: مشاهد علمية الحرب العالمية الثانية، آدمز، ترجمة مروة عبد الستار، ص10–23، 62.

([4])ثورة الضباط الأحرار: انقلاب قام به ضباط من الجيش المصري ضد الملك والملكية في مصر، واستطاعوا بعد ذلك خلع الملك فاروق آخر الملوك من أسرة محمد علي، وفرضوا عليه الخروج من البلاد هو وحاشيته، مما أدى في نهاية الأمر بالبلاد إلى سيطرة الجيش على الحكم إلى الآن. انظر: فاروق وسقوك الملكية في مصر، سالم، ص987–988.

([5])انظر: فاروق وسقوك الملكية في مصر، سالم، ص987–989.

ضخامة هذه الأحداث لم تقيد حركة الشيخ، بل زادت من همته؛ فكان من المؤيدين لإنهاء النظام الملكي، باعتباره السبب في إغلاق باب الاجتهاد خوفاً من بطش الحاكم إلا قلة قليلة، وكان يقول صراحةً: لا ملكية في الإسلام ، وإن الشعوب الإسلامية ليست سلعاً تورث كما يورث المال[1] .

وظن الجميع أن عهداً من الرخاء قد حلَّ، لكن انقلبت الأمور رأساً على عقب، وبدل أن تصلح الأمور بعد زوال الملك، إذ بالبلاء يزيد على الناس والأمة أكثر، ويعبِّر الشيخ أبو زهرة عن هذا الأمر بقوله: "إنَّ فرحتي ما كانت لتحد، يوم عزل (فاروق) على يد زعيم الثورة (محمد نجيب) الوطني بحق، وظننت أن العدل قد تحقق، وأننا سوف نسترد أرضنا . إلى أن حدثت المفاجأة المذهلة، وتغير الوضع تماماً، وانتصرت الأهواء والنزاعات الشخصية، وانقلبت الثورة إلى انقلاب عسكري بقيادة –جمال عبد الناصر– [2].

ساد الظلام في هذا العهد، حيث القرارات السياسية الهوجاء والسياسات المالية الضعيفة، والحروب التي لا طائل من ورائها أبداً، وسياسات الذل والانبطاح أمام الأعداء، والاستئساد أمام الشعب، والهزائم المتتالية، ثم تبع ذلك سياسة الإعدام، والاعتقال، والتعذيب لكل من تسوِّل له نفسه أن يعارض الدكتاتورية [3]، فنال ذلك من العلماء الكثير، منهم: الشيخ محمد أبو زهرة الذي حورب في كلمته التي ينطق بها، بالرغم من علمه الغزير، وحاجة المجتمع الماسة لمثله، إلا أنه كان لا يُسمع له رأي إلا في مجلةٍ خاصةٍ صغيرةٍ، هي: مجلة لواء الإسلام [4]، ويقول هو عن هذه المحنة "عدت إلى التفسير كما بدأت في حياتي العلمية، واستمررت في هذا العمل المحبوب،

([1]) انظر: منهج الإمام محمد أبو زهرة في التفسير، الدريملي ، ص4.

([2])جمال عبد الناصر: هو جمال بن حسين بن خليل ابن سلطان عبد الناصر (1918– 1970م) ولد في الإسكندرية، تدرج في المناصب العسكرية إلى أن تولى منصب نائب رئيس الوزراء في آخر حكومة في عهد الملك فاروق، قاد ثورة الضباط الأحرار 1952 التي أدت إلى خلع الملك فاروق عن منصبه، وتولية محمد نجيب قائد أركان الجيش المصري الحكم، ثم قاد ثورة داخل الجيش ضد محمد نجيب أدت في النهاية إلى وضعه تحت الإقامة الجبرية1954م وتولى عبد الناصر الرئاسة 1956م حتى وفاته، انظر: الأعلام، الزركلي، ج2 ص134، 135.

([3])الدكتاتورية: حكم الفرد أو الجماعة دون الالتزام بموافقة المحكومين. انظر: المعجم الوسيط، ج1 ص291.

([4]) انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، البيومي، ص275.

إلى أن منعت من التفسير، ومن غيره بأمر طاغوتيٍّ بمن كان يحكم مصر إبَّان ذلك"[1] ، ظلَّ الحال كذلك إلى أن توفي جمل عبد الناصر في العام (1970م)، وعاد الشيخ إلى كتاباته، وتلاميذه بعد أن ألحوا عليه في العودة إلى الكتابة، وخاصةً كتابة تفسير القرآن الكريم[2].

ب. الحالة الاجتماعية:

ولقد كان لهذه السياسات والأحداث من تأثيرات جمة على المجتمع المصري، لذلك انتشرت في المجتمع مظاهر سلبية كثيرة وخطيرة منها:

- انتشار الجهل والخرافة والبدع المتعلقة بالقبور وعمارتها، ففي القاهرة وحدها ما يزيد على مائتي ضريح، لها سدنتها وعطاياها، مما صرف الناس على أمر ضرره أكبر من نفعه، بل إنه ربما يوصل صاحبه إلى الكفر[3].
- الانحراف الأخلاقي، والدعوة للتحرر والزنا وافتتاح الخمارات، ودور البغاء المرخصة من الحكومة والدعوات إلى تحرير المرأة وإفسادها، وخروجها سافرة حاسرة، وتم تأليف الكتب –المدعومة من الطبقة الحاكمة– لتدعوا الناس إلى ذلك، مثل كتب قاسم أمين[4].
- التفاوت الشديد بين طبقات المجتمع، فنجد الثراء الفاحش للقليل من الناس، مقابل الملايين من المعدمين، من الحالة التي أوصِلوا إليها [5].

الشيخ أبو زهرة لم يكن بمعزل عن المجتمع، فقد كان متابعاً للأوضاع الاجتماعية السائدة، حيث عالج في مقالاته ودروسه الكثير من القضايا المجتمعية السائدة، وكان وجود عدد

([1])زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص22.

([2]) انظر: السابق، ج1 ص22.

([3])انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية عرضاً ونقداً، النميري، ص14.

([4])قاسم أمين: قاسم بن محمد أمين المصري (1863–1908م)، ولد في بلدة طرَّة بمصر، هو كاتب وأديب ومصلح اجتماعي، وأحد مؤسسي الحوكة الوطنية بمصر وجامعة القاهرة، كما يعد رائد تحرير المرأة، وألف في ذلك كتاب تحرير المرأة والمرأة الجديدة، انظر: الأعلام، الزركلي، ج5 ص184.

([5])انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية عرضاً ونقداً، النميري، ص15–17.

من الأقباط [1]، أثَّر وجودهم على الشيخ وعلى المسلمين الذين يشاطرونهم الحياة في مصر، فكان الأقباط منزعجين مما يكتبه الشيخ عن ديانتهم، بما ينقُضُها من أساسها بأسلوبٍ علمي منهجي، فكان مجتهداً بشرح الدين لهم، وكان يذهب إلى بيوت نقاده حتى يبين لهم الحقيقة الكاملة، أو يتراجع -كما قال- إن كان فيما قاله تجنٍ عليهم أو ما ليس موجود عندهم أصلاً، وكان لفرط إحساسه بالمسؤولية تجاه الأقباط لا يطلق عليهم إلا لفظة (إخواننا)، حتى يحبب قلوبهم إلى الإيمان كما أمرنا الله [2]، في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:46].

ج. الحالة الاقتصادية:

أما بالنسبة للناحية الاقتصادية فقد تردت إلى درجةٍ سحيقةٍ، وضعف الدور المصري في تسيير أمور البلاد، في المقابل فإن الإنجليز الذين كانت لهم الكلمة الأولى استغلوا ثروات البلاد، وكانت أرض مصر لهم مرعى، ومزرعة، ومصدراً للمواد الخام لمصانعهم، وأهلها عبيداً بالسخرة لإقطاعيهم[3] وملاكهم، ولا شك أن الحكام المترفين، المتبعين لشهواتهم، البعيدين كل البعد عما ينفع بلادهم، زاد الطين بلة، وأدى هذا التدهور إلى اتساع الهوة بين الأسرة الحاكمة والطبقة البرجوازية [4] وكبار الأثرياء من البيوت الإنجليزية والمصرية من جهة، وبين باقي أغلبية الشعب المضطهد الذي لا يملك ما يسد به رمق نفسه وأسرته، من جهة أخرى[5].

([1])الأقباط: كلمة يونانية الأصل بمعنى سكان مصر ويقصد بهم اليوم المسيحيون من المصريين. انظر: المعجم الوسيط، ج2 ص711.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، زهرة، ص5.

([3])الإقطاع: نظام يقوم على العلاقة بين السَّادة ونوابهم، يقْضِي بتملك قطائع من الأَرْض على سَبِيل المنحة، ويمكن المالك من أَن يتحكم فِي الأَرض ومن فيها من النَّاس، والإقطاعي هو: المالِك الذي يملك الأرض في نظام الإقطاع. انظر: المعجم الوسيط، ج2 ص745.

([4])البرجوازية: طبقة نشأت في عصر النهضة الأوروبية بين الأشراف والزراع وأضحت دعامة النظام النيابي ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي وقابلت بهذا طبقة العمال. انظر: المعجم الوسيط، ج1 ص47.

([5]) انظر: تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث، عبد العزيز سليمان نوار، ص405.

د. الحالة العلمية والثقافية:

تبع ثورة 1919م ثورة علمية في كثير من المجالات، مثل: إنشاء المدارس والجامعات، والعناية بالأزهر عناية خاصة، وانتشار المعاهد في الكثير من البلدان[1].

هذه الثورة العلمية المكبوتة التي خرجت من رحم المعاناة والاضطهاد من الاحتلال ثم من خلال أذناب هذا الاحتلال، أدت إلى بروز مثقفين مميزين في علمهم الغزير وتأثيرهم في الناس في الكثير من المجالات – مع اختلافنا معهم في بعض الأطروحات التي يقدموها – ومن أمثالهم: أحمد شوقي[2]،عباس العقاد[3]، وغيرهم الكثير.

قام الاحتلال بتوجيه الناس إلى المدارس النظامية التي أنشأها؛ بغرض أن يعزُف الناس عن الأزهر، ويتجهوا إلى المدارس النظامية، التي فيها قوة التعليم والاستقرار بعد الدراسة، ثم قاموا بابتعاث الطلبة للدراسة في الخارج، ثم يعود الطالب وقد تشبع بالأفكار الغربِيَّة عن كل شيء، ثم لا يبقى منه إلَّا الالتزام الصُّوري بتعاليم الدين الإسلام، أي دين بلا روح[4].

رغم الانحراف والفساد والطغيان، في كل جزئيات المجتمع المصري –إلا من عصمه الله– فقد بقي الإسلام وسيبقى، وبقي الأزهر شامخاً بعلمائه وتاريخه المجيد، يبَصِّر الطريق للناس، ويمحوا العتمة[5].

2-نُبذة عن حياته الشخصية:

([1]) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ج5 ص532،533.

([2])أحمد شوقي: هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أمير الشعراء (1868–1932م)، ولد بحي الحنفية بالقاهرة، وهو كاتب وشاعر مصري، يعد من أعظم شعراء العربية في العصور الحديثة، يلقب بأمير الشعراء، وخلف ديواناً شعرياً كاملاً، عرف بالشوقيات، تفرغ للعمل المسرحي حيث يعد رائداً في هذا المجال، ومن أهم أعماله المسرحية (مصرع كليوبترا)، (ومجنون ليلى). انظر: الأعلام، الزركلي، ج1 ص136،137.

([3])عباس العقاد: هو عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى يعرف بالعقاد (1889–1964م)، ولد بأسوان، وهو أديب ومفكر وصحفي، وشاعر مصري ، وعضو في محلس النواب ، وعضو في مجمع اللغة العربية، يعد أخد أهم الكتاب المصريين في القرن العشرين ، وأضاف إلى المكتب العربية المئات من الكتب، من أهمها: (مجموعة العبقريات الاسلامية)، (التفكير فريضة إسلامية). انظر: الأعلام، الزركلي، ج3 ص266.

([4])دراسات في تاريخ مصر الحديث، العزيز، ص12،13.

([5]) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية ، عاشور، ص12.

لا بد من التعرف نشأته وشخصه وأسرته، وعلى أهم المحطات التي سار بها الشيخ في حياته الشخصية التي قادته إلى النبوغ العلمي والاجتماعي.

أ. اسمه ونشأته:

اسمه **(محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد بن عبد الله أبو زهرة)**، ولد في عام 1316هـ، الموافق 29 مارس 1898م في مدينة المحلة الكبرى في مصر، واشتهر باسم أسرته وهي الكنية التي عرف بها [1].

ونشأ في أسرة متوسطة الحال، لكنها تمتاز بالعلم والذكاء، وقد عرف والده بالتدين والتمسك بأحكام الإسلام، ومكارم الأخلاق، وحفظ القرآن، هذا ما كان له تأثير كبير عليه في حياته العلمية، والعملية [2].

ب. حياته العلمية:

كان أبو زهرة متعدد المواهب، تربى في الجامع الأحمدي بطنطا، وحفظ القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ومبادئ العلوم ، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا[3]، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعي، وحصل على عالمية القضاء الشرعي مع درجة أستاذ بتفوق عام 1924م، طمح بدراسة اللغة العربية، فاتجه إلى دار العلوم لينال المعادلة، سنة 1927م، فاجتمع له تخصصان قويان، لا بد منهما لكل من أحب التضلع في العلوم الإسلامية المختلفة [4]، ثم حصل على شهادة دار العلوم العليا من الخارج سنة 1927م [5].

تولى تدريس العلوم الشرعية والعربية في دار العلوم وكلية أصول الدين بالأزهر، وكلية الحقوق بجامعة القاهرة، ثم شغال منصب أستاذ محاضر بجامعة القاهرة ثم منصب أستاذ محاضر للدراسات العليا بالجامعة، وعضو المجلس الأولى للبحوث العلمية، ورئيس قسم الشريعة ووكيل كلية الحقوق ومعهد الدراسات الإسلامية، ولم ينقطع عن المحاضرات والندوات، حتى عدَّ

([1])انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص771.

([2])انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، وهدان، ص11، 12.

([3])انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، مجموعة مؤلفين، ص327.

([4])انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، البيومي، ص277.

([5])انظر: العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، زهرة، ص6.

حضوره الكثير للمؤتمرات، وإعطاءه العديد من المؤتمرات من أعظم مزاياه[1]، وقد حضر الشيخ العديد من المؤتمرات العلمية في العالم العربي والإسلامي، في الكويت وباكستان ولاهور والرياض والرباط وليبيا والجزائر وغيرهم، ولم ينقطع عن المحاضرات حتى بعد تقاعده، فكان يحاضر في كلية الحقوق لكلبة الدراسات العليا، بالإضافة إلى التدريس في الكثير من المعاهد العلمية [2].

ومما برع فيه الشيخ أبو زهرة إلى جانب هذه الأمور، تدريسه النصرانية، فقد عهد إليه تدريس مادة تاريخ الديانات، فشمر لذلك عن ساعد الجد والاجتهاد، ولبس -كما يقول- رداء الباحث المنصف، ليصل إلى الحقيقة الكاملة، فكون بذلك محصلةً علميةً في مقارنة الأديان، كان لها الأثر الكبير على معتنقي الديانة المسيحة عامة، وعلى المسيحيين في بلده مصر خاصة [3].

تلقى الشيخ علمه على يد الكثير من العلماء، ومن أبرزهم تأثيراً: الشيخ محمد عاطف بركات باشا [4] ، والشيخ أحمد إبراهيم [5]، والعديد غيرهم.

وتتلمذ على يديه العديد من الطلاب من أبرزهم: الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ محمد الطيب النجار، وغيرهم الكثير [6].

ج. صفاته وأخلاقه:

([1])انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص771.

([2])انظر: أبو زهرة عالماً إسلامياً، ناصر وهدان، ص42-49. قمم إسلامية، عبد الرازق، ص1-12.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، زهرة، ص11.

([4])محمد عاطف بركات باشا: (المتوفى: 1924م) خريج دار العلوم، واول مبعوث منها إلى إنجلترا، اختير ليكون ناظر مدرسة القضاء الشرعي. انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، النميري، ص27. نقلا عن كتاب المصلحة في الشريعة الإسلامية، مصطفى زيد.

([5])أحمد إبراهيم: (1874- 1945م)خريج دار العلوم ، وكان مدرساً بمدرسة القضاء الشرعي، ثم استاذاً ورئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بالجامعة المصرية، من مؤلفاته: (طرق القضاء في الشريعة الإسلامية)، و(أحكام الهبة والوصية). انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، النميري، ص28. نقلا عن كتاب المصلحة في الشريعة الإسلامية، مصطفى زيد.

([6])انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، النميري، ص29. نقلا عن كتاب أبو زهرة ورأي علماء العصر فيه.

لا يصلح الإنسان ولا يستقيم حاله إلا إذا تحلى بالأخلاق الحميدة، فكيف إذا تحدثنا عن العلماء، فإن الأخلاق في حقهم أكثر طلباً من غيرهم، وهكذا كان الشيخ أبو زهرة، حتى كانت أخلاقه علَماً مميزاً له في حياته، ومن أهم الصفات التي اتصف بها:

- **غزارة العلم:**

هذه الصفة أكثر ما يميز به بين أبي زهرة وأي عالم آخر، حيث كان بارعاً في العديد من العلوم الشرعية المختلفة، من فقه ولغة وسيرة وتاريخ وأديان وغيرها، وهذا سببه؛ تتلمذه على يد كبار علماء عصره، بداية من الجامع الأحمدي، مروراً بمدرسة القضاء الشرعي، وانتهاءً بدار العلوم، والسبب الآخر المميز فيه هو أن حياته في صباه كانت جادة لا هزل فيها، ولم تصبه صبوة الشباب، وتاقت نفسه إلى حب العمل، والعلم والجد فيهما [1].

- **الإخلاص:**

كان الشيخ مخلصاً لدينه ولدعوته، ولم يكن يتعلم العلم لمجرد المنفعة الشخصية، أو ليتصدر المجالس بل كان لا يتعصب لرأيه، فيرغمه إخلاصه للحق أن يفتح قلبه للآخر، وأن يعتقد –مع غزارة علمه– أن رأيه يحتمل جانباً من جوانب الخطأ. مثال ذلك: ما حدث به أحد أصدقائه [2] بأنه يتقبل الانتقادات على أبحاثه بكل واسع صدر، بل ويعد بأن يتداركها في طبعات أخر [3].

([1])انظر: قمم إسلامية، عبد الرازق، ج1، ص45.

([2])هو: علي عبد الواحد وافي.

([3])انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، النميري، ص34. نقلا عن كتاب أبو زهرة في رأي علماء العصر.

بالرغم من كثرة المحاضرات التي كان يلقيها فإنه كان يرفض أن يأخذ عن المحاضرات العامة أي أجر يذكر، وكان يعتبر مشاركته في الدرس بمثابة مشاركة في أعمال الخير التي كانت تقوم بها الجهة التي دعته إلى إلقاء المحاضرة [1].

- **حدة الذكاء والقدرة على الحفظ:**

تميز الشيخ بالقدرة على الحفظ والذكاء بدرجة منقطعة النظير، حتى كان مع مصاف الحفاظ، فقد كان يناقش رسائل الماجستير والدكتوراه من الذاكرة لأكثر من ساعتين دون أخطاء، حتى إن الطالب لما كان يراجع الشيخ في مسألة فإنه كان يحيله إلى أكثر من مرجع محدداً الصفحة والسطر، حتى يؤكد وجهة نظره، وكان إذا ذهب إلى محاضرة أو مؤتمر فإنه لا يحمل ورقة ولا قلم ولا يعد بحثاً؛ بل يكفيه أن يعلم ما هو موضوع الندوة، وكان لا يقرأ الكتاب إلا مرة واحدة[2].

- **الشجاعة:**

لا بد للعالم أن يكون شجاعاً في الحق مهما كانت الظروف والمناسبات، وهذه من أكثر الصفات التي تميز بين العلماء وغيرهم ممن يدعون العلم، كما كان الشيخ أبو زهرة شجاعاً يقول الحق مهما كان، وأينما كان، وأمام أي أحد، دون أن يخاف في الله لومة لائم، وقد روي عنه لما سئل عن الحكام الذين يدفعون أموالاً للمخربين حتى يخربوا جزءاً من ديار الإسلام، فكان جوابه صريحاً: إن شر الولاة من يعمل على نشر الفساد، وأن الذين يفعلون ذلك، عقابهم كعقاب قطاع الطريق تماماً، حتى أنه كان يصرخ على طلابه بالميكروفون، صارخاً ضد سلطة النظام الناصري في الأعوام بعد 1955م[3].

وقد دُعي إلى مؤتمر مع جماعة من العلماء، وكان رئيس الدولة [4] الداعي إلى المؤتمر يريد أن يعلن عن ما يسمى باشتراكية الإسلام، وأن يدعو العلماء المشاركين أن يؤيدوه، فاعتلى

([1])انظر: موت عالم، العقيل، ص16.

([2])انظر: قمم اسلامية، أبو زهرة إمام عصره، عبد الرازق، ج1 ص46، 47.

([3])انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص775، 781.

([4])هو: الرئيس معمر القذافي.

الشيخ المنبر ورد عليه في شجاعة وعزة، وأمره أن يترك العلم الشرعي إلى رجاله، ودعا الرؤساء أن يقفوا عند حدودهم، وكان أثر هذه الكلمات أن فضَّ المؤتمر بعد الجلسة الأولى له (1).

- **الصبر:**

الطريق الموصلة إلى الفلاح في الدنيا والآخرة لن تكون مفروشة بالورود والأزهار أبداً ، بل لا بد من مصاعبَ تطيحُ بالجبال، لكنها لا تطيح بالرجال، الذين يُكشف –بتلك المحن– عن معدنهم الأصيل، كما كان الشيخ محمد أبو زهرة، حيث تعرض لابتلاءات ومحن شديدة، كمنعه من الكتابة والفتيا، وإلقاء المحاضرات، والإقامة الجبرية في منزله دون أن يراه أحد، بأمرٍ من السلطة الجبرية الحاكمة، ورفض أن يقوم أحد بالشفاعة له عند السلطة (2).

ومن صبره على محنة المرض ما قال فيها: "لزِمَنا المرض المقعد نحو شهرين، فكان ألم الابتعاد عن القرآن أكبر من ألم المرض المُمْض، ولقد مَنَّ الله تعالى بالشفاء فخرجنا من الداء العقام، ومن منعتنا وعثاء المرض، فعدنا إلى القرآن، نقتبس من نوره، ونعبق من عرفه"(3) ، هنا تعرف حقيقة الشيخ وكيف أن الابتعاد عن القرآن كان أكثر إيلاماً له من المرض العضال الذي أصابه، وأن أول ما فكر به بعد التماثل للشفاء هو القرآن وما يقربه إلى الله تعالى.

- **إنصافه للخصوم**

أكثر الحالات دلالةً على إنصاف المرء، هو أن تشاهده كيف يكون مع خصومه أو معارضيه، فكان الشيخ أبو زهرة مثالاً لذلك، مثلاً: كتب عن المسيحية، وانتُقِد من الأقباط في حيِّه، فكان يذهب إليهم ويشرح لهم أقواله، ويبين الحقيقة كاملةً، وكان على استعداد أن يتراجع عما قال في حقهم إن ثبت له خطأه، وكان في كتاباته عن النصرانية يكثر من ذكرهم بلفظ (إخواننا) (4).

---

(1)انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، البيومي، ج2 ص276.

(2)انظر: قمم إسلامية، عبد الرزاق، ص56.

(3)القرآن المعجزة الكبرى، أبو زهرة، ص6.

(4)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص5، 6، 8.

وعندما طبع كتابه محاضرات في النصرانية أنه تعرض لنقد كبير، فيقول في ذلك "جمعت النقد، وشكرت الناقد، وتغاضيت عن عبارات نالني بها؛ لأنها من سقطات القلم، ولقد أخذت أدرس ذلك النقد حرفاً حرفاً، لأصحح به خطأ جرى في الكتاب، أو سوء تفسير فسرناه" [1] مع العلم أن الشيخ لم يجد أي خطأ يذكر، إلا أنه أراد أن يثبت لهذا المنتقد أنه قد قام بالعمل على أتم وجه، وبإنصاف كامل.

هذه من أبرز الصفات التي وصف بها الشيخ أبو زهرة، إلى جانب اتصافه بالتواضع الشديد وروح الدعابة التي لا تكاد تفارق محياه، وحسن المظهر والعناية التامة بهندامه، هذه الصفات لتعطيه زيادة في التقدير ممن رافقوه، وممن عاشوا معه، سواءً الخصوم أو الأصدقاء أو التلاميذ.

د. تراثه العلمي:

بارك الله في وقت الشيخ فألف ما يزيد عن أربعين كتابًا، رزقها الله القبول فذاعت بين الناس وتهافت الناس على اقتنائها والاستفادة منها؛ فخلف هذه الكتب عالم جليل يقدره الناس قدره، عالم بكل ما تحمله الكلمة من معاني، لا يخاف بالله لومة لائم، ومن أشهر مؤلفاته:

- تاريخ المذاهب الإسلامية.
- العقوبة في الفقه الإسلامي.
- الجريمة في الفقه الإسلامي.
- علم أصول الفقه.
- محاضرات في النصرانية.
- زهرة التفاسير، وقد نشر بعد وفاته.
- مقارنات الأديان.
- خاتم النبيين.
- كتب تراجم للأئمة العظام، (ابن تيمية، مالك، ابن حزم، ابن حنبل، أو حنيفة، الإمام الصادق، الإمام زيد).

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص8.

وإلى جانب هذا الكم الكبير من المؤلفات المتنوعة الفنون، فقد كانت كتابات كثيرة، ومقالات عظيمة، تنشر دورياً في المجلات، مثال ذلك: مشاركاته في مجلة لواء الإسلام، فقد كانت له صلة قوية بها، وفي بعض الأحوال كان ينشر له ثلاث مشاركات، ما بين مقال ومشاركة في ندوة المجلة، تعددت المواضيع التي كتب فيها في المجلة من هذه المواضيع: العقيدة، والفقه، والسيرة، والفرق، والحضارة الإسلامية، والأديان سماوية، وتفسير للقرآن، وغير ذلك الكثير من المقالات[1].

هذه الغزارة البحثية عند الشيخ لتؤكد على الذكاء العالي، والاستغلال الأفضل للوقت، حتى مع الانشغال الشديد، أو المرض المقعد، فإن ذلك لم يؤثر عليه، وعلى استعداده للكتابة في المواضيع المختلفة، وبكفاءة عالية تُنافس المتخصصين.

3-وفاته:

الموت هو النهاية المحتمة لكل مخلوق، المسلم والكافر، العالم والجاهل، يقول تعالى: ﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [يونس:49]، وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال وبكل ما يحمد عليه، وبعد أن أنتج ثروة معرفية هائلة، من كتابات ومن تلاميذ انتشروا على مستوى العالم، ينشرون كتابات الشيخ وأفكاره إلى قيام الساعة، توفي الشيخ في مساء يوم الجمعة الموافق التاسع عشر من شهر ربيع أول سنة 1394هـ الموافق للعام1974م في القاهرة بمنزله بالزيتونة، عن ستٍ وسبعين عاماً، أثناء نزوله من الدور الأعلى، وهو يحمل المصحف مفتوحاً على سورة النمل، وكذلك الأوراق التي كان يكتب فيها تفسيراً لبعض الآيات في السورة، وسقط في هذه اللحظة عن السلم ساجداً لله، وأصيب بغيبوبة حتى فاضت روحه إلى لقاء ربها، تاركاً تراثاً خالداً وذكرى عطرة ومواقف مشرفة [2].

([1])انظر: مجلة لواء الإسلام، السنة الثامنة، والتاسعة، والعاشرة، الثامنة عشر، والتاسعة عشر، والعشرين.

([2])انظر: المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، مجموعة مؤلفين، ص327. انظر: منهج الإمام أبو زهرة في التفسير، نادية الدريملي، ص26. انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية، عاشور، ص29.

رابعاً: نُبذة تعريفية عن الدكتور إسماعيل الفاروقي:

تكثر العوامل المؤثرة في إنماء شخصية العالم المعرفية، كالبيئة التي عاش فيها، والعلوم المختلفة التي تلقاها، وهذا ما سيكون محور الحديث، على النحو التالي:

1-عصر الدكتور إسماعيل الفاروقي:

زخر عصر الفاروقي بالكثير من الأحداث السياسية الهامة، والتي انعكست بدورها على الواقع المجتمعي في زمانه، وقد أثرت على البيئة المحيطة به، وأثرت بدورها في صياغة شخصيته في الكثير من نواحي الحياة. هذه المعاني سيتم بسطها في الأسطر التالية:

أ. الحالة السياسية:

العيش على الأرض المقدسة فلسطين، ليس بالمجان، فإن لذلك ضريبة لسوف تدفعها؛ لأنها أرض الديانات الثلاث، وخاض الناس من أجل أرضها عل مدى العصور، إنها أرض الرباط المباركة، يقول تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الإسراء: 1] هي الأرض التي تكالب عليها الأعداء، وسلبوها من أهلها عُنوَة، وبدون وجه حق، لكن بداية إسقاط فلسطين التي عاش فيها الفاروقي بداية حياته، حيث كانت هذه السنين مفصلية في التاريخ الحديث، حيث كانت ولادة الفاروقي بين الحربين العالميتين الأولى(1914-1918م)، والثانية(1939-1945م)، حيث نشأت في ذلك الوقت إمبراطوريات وانتهت أخرى، وكان من أهم نتائجها إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية عام 1924م، حيث كان للدول الغربية والمحافل الماسونية -بمساعدة داخلية من جمعية الاتحاد والترقي[1]- الأثر الأكبر في الاضطرابات العظيمة في دولة الخلافة، والتي نتج عنها في النهاية إسقاط الخلافة، وخلع الخليفة عبد الحميد الثاني عن منصبه [2]. كان لسقوط الخلافة أعظم

([1])جمعية الاتحاد والترقي: تأسست عام 1889م، من قبل بعض الكتاب الجامعيين، وهي حركة معارضة لسياسات نظام الخلافة العثماني ممثلا بالسلطان عبد الحميد الثاني، قامت الجمعية بإثارة المشاعر القومية في نفوس الأتراك، ونادت بمفاهيم جديدة مثل الوطن والدستور والحرية، وقد ضمت في صفوفها الشباب التركي المثقف بالإضافة إلى يهود الدونما، والغاية الأساسية لهم؛ الإطاحة بحكم عبد الحميد الثاني، انظر: الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، الصلابي، ص453-457.

([2])انظر: الدولة العثمانية عوامل النهضة واسباب السقوط، الصلابي، ص458- 466.

الأثر في ضعف الإسلام وأهله حتى الآن ، وبذلك تقسمت الدول الإسلامية وتجزأت إلى دويلات، تفصل بينها حدود استعمارية، حيث أخذت كل دولة من الدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى نصيبها من الدول التي انبثقت من دولة الخلافة العثمانية، ولما خرج المستعمرون من البلاد التي استعمروها، فإنهم سلموها لحكام علمانيين في أفكارهم، غربيين في توجيهاتهم، ووقعت الكثير من الصراعات نتيجة لهذه التبعية، وغيرها من المشكلات[1].

وأكثر الدول تضرراً من الاستعمار ومن حروبه هي فلسطين وشعبها، الذي عانى من نير الاحتلال البريطاني الذي وضع لليهود قَدماً على أرض فلسطين، كما وعدهم بذلك (بلفور) بوعده المشؤوم [2]، بقي الاحتلال البريطاني جاثماً على أرض فلسطين حتى عام 1947م، ولم يخرج حتى مكَّن للاحتلال الصهيوني الذي أعلن قيام دولته في عام 1948م، وجَنَت بذلك دولة فلسطين وأهلها الويلات تلو الويلات، والحروب تلو الحروب، حتى يومنا الحاضر[3].

ولم يكن الفاروقي بعيداً عن هذه الأجواء حيث انخرط في الدفاع عن أرضه، وشارك في بعض العمليات الجهادية ضد الاحتلال الصهيوني لبلده فلسطين. وتأثر الفاروقي كثيراً بالهزيمة التي منيت بها الدول العربية على أيدي (العصابات الصهيونية)[4] في حرب 1948م والتي انتهت بهزيمة الجيوش العربية مجتمعة ، مما كان له عظيم الأثر عليه ودفعه في النهاية للسفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية[5].

ب. الحالة الاقتصادية والاجتماعية.

([1])انظر: حاضر العالم الاسلامي، حران، ص56.

([2])وعد بلفور: هو البيان الذي أصدرته الحكومة البريطانية عام 1917م، خلال الحرب العالمية الأولى، لإعلان دعم تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وقد كان موجها من وزير خارجية بريطانيا (آرثر بلفور) إلى اللورد (روتشيلد) والذي نقلها إلى الاتحاد الصهيوني. انظر: القضية الفلسطينية خلفيتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، محسن صالح، ص36.

([3])انظر: القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، صالح، ص66.

([4])العصابات الصهيونية: نشأت هذه العصابات في إبان احتلال بريطانيا لفلسطين عام 1917م، وكانت بمثابة القوة الضاربة للجيش الصهيوني، وهي المسؤولة عن المجازر الصهيونية بحق الفلسطينيين، ومن أمثلة هذه العصابات :(الهاجانا، وشتيرن، والأرجون). انظر: اليهود في الوطن العربي، سنقرط، ص13.

([5])انظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الفكر المعاصر، الملكاوي وآخرون، ص26.

كان للحالة السياسية الأثر المرهق على الحالة الاقتصادية والاجتماعية للدول الإسلامية المُستعمَرَة من الدول الغربية، والتي فرضت على الدول الإسلامية أن تعيش وفق منظومة الدول الغربية، وما تفرضه عليها من وصاية، من تدخل في الاقتصاد والتعليم والصحة وكل نواحي الحياة التي تمس المواطن في هذه الدول. وبيانه على النحو الآتي:

- الأوضاع الاقتصادية:

أراد الاستعمار أن يفرض سيطرته على الدول عن بُعد، فقد جعل هذه الدول فقيرة، معتمدة عليه دائماً، ليسهل على الاستعمار استعبادها والسيطرة الكاملة عليها، و حتى لا يستطيع الحكام أن يتخلصوا من التبعية للحاكم الغربي أبداً، أدى كل ذلك في النهاية إلى ضعف الأمة الشديد اقتصادياً، وزايدت الاحتياجات والواردات، مقابل استيراد البضائع والسلع بصورة كبيرة من الدول الاستعمارية نفسها، فلا تكاد تجد أي دولة إسلامية مكتفية ذاتياً في أي احتياج من احتياجاتها[1].

وفي فلسطين نقب المندوب السامي البريطاني (هربرت صاموئيل) (Herbert Samuel) إلى كل وسيلة لإفقار العرب وإبعادهم عن أرضهم، مثال ذلك أنه شجعهم على الاستدانة من المرابين، ولما عجزوا في النهاية عن الوفاء بديونهم، أقيمت حجوزات على محصولاتهم، ثم بيعت الأرض نفسها للوفاء بالديون المتراكمة عليهم، وفي الوقت الذي كان يهدم اقتصاد الفلسطينيين، كان يسعى إلى تنمية ثروة اليهود وتمكينهم اقتصادياً من فلسطين، حيث إنه أقطعهم أراضي عربية كانت للعرب منذ أكثر من ألف عام، ثم عمد إلى المشاريع الهامة فسلمها لليهود وحدهم[2].

- العلاقات الاجتماعية:

إن الفلسطينيين عانوا طوال القرن الماضي من محاولة طمس الهوية، والتهجير القسري، بالإرهاب تارة، وبالضغوط الاقتصادية تاراتٍ أخرى، غرضهم في ذلك إحلال ملايين اليهود

([1])انظر: إسلامية المعرفة، الفاروقي، ص42، حاضر العالم الإسلامي، حران، ص55، القضية الفلسطينية، صالح، ص44.

([2])انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، أبو بصير، ص99 -100.

-الذين أتوا بهم من كل أصقاع الأرض- ؛ ليحلوهم محل أصحاب الأرض، تنفيذاً للوعد المشؤوم الذي وعد به بلفور، في إقامة وطن قومي لليهود، على أرض فلسطين. غير الذي عاناه الناس من دخول ثقافة جديدة على المجتمع، هؤلاء الذين اجتمعوا على أرض فلسطين لهم عاداتهم التي تختلف تماماً عن عادات أصحاب الأرض الأصليين، حيث إن اليهود شعب لمم، تجمع من كل أصقاع الأرض، كل مجموعة عرقية لها ثقافتها المختلفة، وعاداتها الاجتماعية المختلفة، كمثال لذلك: كانت العادات الغربية المنفتحة لليهود القادمين من الدول الغربية، وفي المقابل فإن عادات أهل البلاد العرب المسلمون تختلف تماماً عنهم، وهو ما اكتوى به الفلسطينيون على مدى السنين[1].

ج. الحالة العلمية والثقافية:

يثبت عبر التاريخ أن المنتصر -غالباً- هو الذي يفرض ثقافته وهويته على المهزوم، فهؤلاء المنتصرون على دولة الاسلام في الحرب العالمية الأولى، أول ما فعلوه بعد انتصارهم: هو عملية القهر الثقافي والتغيير الفكري حتى يضمنوا لهذه الأمة أن لا تقوم لها قائمة على أساس ديني أبداً، واستعانوا في سبيل هذا الهدف الدنيء بكل الوسائل من إعلام وأموال وأجراء بكل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا[2].

قام الإنجليز بالتمكين لليهود في البلاد حتى يمارسوا ما شاءوا فيها، ومن أكثر الإجراءات التي أثرت في تغيير الصورة العامة للبلاد، أن اليهود غيروا لغة البلاد الرسمية من العربية إلى العبرية، وأصبحت المدارس اليهودية مدارس حرة لا سلطان عليها إلا من اللجنة اليهودية، وكما قالوا أن الوجود اليهودي في فلسطين هو وجود حق لا وجود منَّة، وتم إخضاع المدارس العربية لإشراف مفتشين إنجليز؛ حتى يعطوهم السبيل لإعلاء ما يشاؤون من الأفكار وغرسها في نفوس الصغار، وتم تغيير العديد من أسماء المدن الفلسطينية إلى أسماء جديدة، كمدينة (القدس) التي صار اسمها (أورشاليم)، ومدينة (أم الرشراش) التي صار اسمها (إيلات)، وغيرهم الكثير من المدن. هذه الإجراءات العنصرية وغيرها لازالت مستمرة إلى يومنا الحاضر ومن أكبر أمثلتها في الواقع الحاضر المعاش، هو إقرار قانون القومية اليهودية، حيث لا تعترف

([1])انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، أبو بصير، ص116.

([2])انظر: إسلامية المعرفة، الفاروقي، ص29.

الدولة اليهودية إلا بمن ثبت دينه اليهودي، وغير ذلك يكون مواطن درجة ثانية لا يعامل معاملة اليهود[1].

لكن بالرغم من كل تلك المشاق؛ فإن الأمة لم تعدم الوسيلة، حيث كان يخرج منها من يعيد إليها مجدها، ومن يجدِّد فيها الروح الإسلامية الحقيقية حتى تتغلب على هذه الصعاب، ومن هؤلاء الدكتور إسماعيل الفاروقي رحمه الله تعالى، وفي ما يأتي نبذة عن حياته.

2-نُبذة عن حياته الشخصية:

نتعرف في البداية عن اسمه وولادته، وحياته، وتعليمه، ونشأته، و من أين استقى علمه، وكيف نضج فكره.

أ. اسمه و نشأته:

- **اسمه ومولده: (إسماعيل راجي الفاروقي)** [2] ولد في مدينة يافا في فلسطين عام 1341هـ الموافق لشهر يناير من العام 1921م .

- **نشأته:** نشأ في أسرة فلسطينية عريقة وثرية، جمعت بين العلم والمال، حيث كان والده يعمل قاضياً متمرساً في العلوم الشرعية.

بدأ الفاروقي حياته التربوية في الأسرة التي كان لها عظيم الأثر في تربيته الأولى، وكان لوالده الدور البارز في تشجيعه على حفظ القرآن الكريم في سنينه الأولى، ثم يلتحق بعدها بمقاعد الدراسة في مدرسة ألفريز الدومينيكان، وهي مدرسة كاثوليكية فرنسية، أنهى الفاروقي دراسته الثانوية فيها عام 1936م، ثم حصل على البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأمريكية ببيروت عام 1941م، كان لهذه الدراسات عظيم الأثر في تكوين شخصيته العلمية والثقافية، خصوصاً أن الناس في ذلك الزمان كانوا يعانون من سياسات الاحتلال، التي تحاول أن تجهِّل الجيل، وتبعده بشتى الطرق عن التعليم. وبعد أن تخرج الفاروقي من الجامعة اشتغل بأعمال حكومية تحت سلطة الانتداب البريطاني، من هذه الأعمال أنه أصبح حاكماً لمنطقة الجليل في

([1])انظر: جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، أبو بصير، ص114.

([2])بعد البحث والتدقيق لم نجد إلا هذا الاسم الثلاثي، ولم نجد عند الباحثين الذين كتبوا رسائل أو أبحاث حول الفاروقي أي أحد كتبه اسمه بأكثر من ذلك.

العام 1945م، حيث كان يبلغ من العمر 24 عاماً فقط، لكن كحال كل من عاش في تلك الفترة على أرض فلسطين، جاءت كارثة النكبة الفلسطينية والتهجير القسري من الوطن، حيث كان له بعض الدور في الدفاع عن فلسطين بمشاركته في بعض العمليات الجهادية ضد الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين، لكنه وبعد انتهاء الحرب وخسارة العرب بجيوشهم، وسقوط فلسطين بأيدي العصابات الصهيونية، وتهجيره هو وأسرته إلى لبنان في العام 1948م، تحول صوب المجال الأكاديمي، لإعادة بناء حياته وعمله الوظيفي. وأصبحت (الولايات المتحدة) ميدان تعليمه، فقد أعد نفسه لذلك، واختيار الولايات المتحدة الأمريكية بالذات للدراسة؛ لما لها من تأثير عالمي على جميع المستويات، ولقوة التعليم بها، ولأنه ضليع باللغة الإنجليزية والفرنسية فلا يحتاج أن يدرس اللغة، رغم ترحال الفاروقي المستمر، إلا أنه استقر به المطاف في الولايات المتحدة الأمريكية، ليحقق استقراره الأسري في مدينة (بنسلفانيا) الأمريكية، بعد زواجه من الدكتورة الأمريكية (لويز) [1]أستاذة تاريخ الفن الإسلامي، والتي اعتنقت الإسلام وتسمت باسم لمياء، والتي كان لها دور عظيم في مسيرة حياته العلمية، حيث كانت المساعدة له، وألفوا كتباً بالاشتراك مع بعض، ورزقا بنتا وحيدة، أسموها (أنمار الزين) [2].

ب. حياته العلمية:

تابع الفاروقي دراسته العلمية بعد سفره إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فحصل على الماجستير في الفلسفة ثم على الدكتوراه في عام 1952م من جامعة (إنديانا)، وكانت أطروحته بعنوان: "**تبرير الخير الجوانب الميتافيزيقية والأبستمولوجية للقيم**" (Justifying the Good Metaphysics and Epistemology of Value)، واجهت الفاروقي تحديات هائلة في الساحة الأكاديمية الأمريكية، وأدرك أن تكوينه العلمي في الإسلام لا يكفيه في مواجهة هذه التحديات، فرحل إلى القاهرة وأمضى أربع سنوات (1954-1958م) في دراسة العلوم الإسلامية

([1]) لويز لمياء الفاروقي: لويس إبسان (: 1986-1926م) زوجة إسماعيل الفاروقي، أمريكية، متخصصة في الفن الإسلامي. تحصلت على شهادة لليسانس سنة 1948م، لتلتحق بعدها بجامعة إنديانا، وتتحصل على شهادة الماجستير في الموسيقى سنة 1949م، كتبها: (أطلس الحضارة الإسلامية) بالاشتراك مع زوجها، (التجربة الجمالية والفنون الإسلامية) انظر: لويز الفاروقي، ويكيبيديا، باللغة الإنجليزية.

([2])انظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الفكر المعاصر، مجموعة مؤلفين، ص25،

See: Makers of contemporary Islam, john esposito,p.23

في الأزهر الشريف وليغمر نفسه في دراسة الإسلام، حتى اكتمل تكوينه العلمي الإسلامي إضافة إلى التعليم الغربي، ثم عاد إلى الولايات المتحدة، أستاذاً لفلسفة الأديان في (معهد الدراسات الإسلامية) في (جامعة ماكجيل) في (كندا)، وزميلاً في (كلية اللاهوت) في الجامعة نفسها، بين عامي (1959–1961م)، واكتسب منزلة مرموقة في تدريس الأديان المقارنة، وأنشأ عدداً من مجموعات البحث في دراسة الإسلام[1].

قاده حبه للعلم للتنقل بين عدد من الجامعات والبلدان، منها: الجامعة الأمريكية في بيروت عام 1941م، الأزهر الشريف في مصر(1954–1958م) ، جامعة ماكجيل بكندا (1959–1961م)، المعهد المركزي للبحوث الاسلامية بكراتشي عام 1961م، جامعة شيكاجو الأمريكية (1963–1964م)، جامعة سيراكيوز الأمريكية (1964– 1964م)، وأخيراً جامعة تمبل بفيلادلفيا، التي مكث فيها ثمانية عشر عاماً من العام 1968م حتى وفاته، عندما كان يرأس المعهد العالمي للفكر الإسلامي بواشنطن[2].

ج. مراحل تطور الفاروقي فكرياً:

عَيْشُ الإنسان في الدنيا لابد أن يكون لهدف، وكلما كان الهدف نبيلاً كان الوصول إلى تحقيقه أصعب، ولا بد في طريق تحقيقه من عقبات؛ ومن هذه العقبات، عقبات الفكر التي تغزوا عقل الإنسان، من خلال اندماجه بالمجتمع الذي يعيش فيه، خاصةً إذا كان هذا المجتمع غريب عن الإنسان دينياً وثقافياً، والفاروقي الذي عاش في مجتمع غربي خضع لهذه التجربة التطورية في أفكاره، ومن أبرز هذه المراحل:

- **مرحلة العروبة:**

حيث هيمنت معاني العروبة على خطاباته، وتجسدت كمرحلة أولى في فكره من خلال كتابه (العروبة والدين)(Urubah and Religion) والذي صدر في العام1962م، حيث احتلت العروبة في هذا الكتاب الحقيقة المركزية في التاريخ، والدين، والثقافة، وحدود العربية من منظور الفاروقي متسعة للغاية، فهي الحاضنة للمجتمع الإسلامي بمجمله، وتحتضن غير

([1])انظر: إسماعيل الفاروقي وإسهاماته في الفكر المعاصر، مجموعة مؤلفين، ص25.

([2])انظر: أطلس الحضارة الاسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ص14، خيرة العقول الإسلامية في القرن العشرين، الشنقيطي، ص42.

مسلمين منه أيضاً، وتظهر معالم فكرة العروبة في العناوين التي اختارها في كتابه السابق، حيث بوَّبَه بأبواب هي: العروبة والدين، العروبة والفن، العروبة والمجتمع، العروبة والإنسان، وقد اعتبر أن العروبة تنسجم مع قيم الإسلام، ووصلت قناعات الفاروقي بالعروبة في هذه المرحلة أنه ميَّز بين النصارى العرب والنصارى الغربيين، فالعرب عنده حافظوا على الإيمان بالنصرانية الأصيلة، المبتعدة عن التشوهات–برأيه– التي أضافها أتباع أفكار بولس[1] الغربيين، ودعائم هذه الأفكار كانت مبنية عنده على أساس العلاقة التكاملية بين العروبة والإسلام، فالقرآن لا ينفك عن الشكل العربي الذي نزل عليه[2].

والفاروقي مع كل هذ الطرح للفكر العربي إلا أنه كان لا يعتقد بصلاحية الفكر المتطرف الذي كان يدعو إلى التعصب للقومية العربية، الذي استورده أصحابه من الغرب وسوَّقوه في الشرق، حتى يبعد الناس عن الإسلام، وعن تعاليم الإسلام بحجة القومية والعصبية العربية [3].

كثير من الباحثين [4] –الذين لم يدققوا النظر في أطروحة الفاروقي واستخدامه لمصطلح العروبة– وقعوا في كثير من المغالطات الفاحشة، إذ اعتبروا الفاروقي من دعاة القومية العربية، وأنه يود إعلاء شأن العرب على حساب بقية المسلمين من الأعراق المختلفة الأخرى، والأمم خلاف ذلك، فمن يدقق في أفكاره، ويقرأ من كلامه نصياً من أول الكتاب إلى آخره، لا يجد لهذه الاتهامات أدنى دليل، حيث شرح هو نفسه في نهاية الكتاب أن القومية العربية بدون الإسلام ليس لها من الأخلاق إلا السطح الخارجي، وأن التجليات الأخلاقية العربية بلغت ذروتها في الإسلام. [5]

- **مرحلة الانتقال من العروبة إلى الإسلام:**

([1])بولس الرسول: شاول الطرسوسي(5–67م)، يهودي الأصل، هاجر إلى القدس وعمل مخبراً لحساب روما مطارداً أتباع المسيح عيسى عليه السلام، يسجنهم ويعذبهم، فجأة وكما ادعى أوحي إليه بهذه المسيحية الجديدة، التي فيها كثير من العقائد الجديدة كعقيدة التثليث وغير ذلك، وكان من أهم ما ألفه (رسائل بولس في الإنجيل)، انظر: بولس وتحريف المسيحية، هايم ماكبي، ترجمة: الزين، ص8.

See: Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.24([2])

See: Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.24–26 ([3])

([4]) من أمثالهم: فضل الرحمن وشابير أختر. انظر: نظرية القيم عند الفاروقي، زين، ص9.

([5])انظر: نظرية القيم عند الفاروقي، زين، ص10.

انتقل الفاروقي إلى مرحلة التكوين الفكري والتدقيق، حيث وصل به النضح الفكري والثبات القيمي إلى أن يقول:" كان هناك وقت في حياتي... كان كل ما يهمني هو أن أثبت لنفسي أنني يمكن أن أفوز بوجودي الجسدي والفكري في الغرب. ولكن، عندما فزت به، أصبح بلا معنى. سألت نفسي: من أنا؟ فلسطيني، فيلسوف، إنساني[1]، ليبرالي؟[2] جوابي كان: أنا مسلم"[3].

جرى تحول في فكر الفاروقي امتد من آخر 1960م وحتى أول 1970م، وحل الإسلام محل العروبة، واختلفت نظرة الفاروقي تماماً، ومن أهم الأدلة على هذا التحول: أنه استبدل السلسلة المتوقعة من الكتب عن العروبة، بالكتب حول الإسلام، وأصبح الموضوع الآن: الإسلام والثقافة، والإسلام والمجتمع، والإسلام والفن، أسلمة المعرفة، قدم فيها الإسلام بوصفه الهبة الأساسية، ومصدر الوحدة، لمجتمع عالمي متنوع من المؤمنين[4].

يتبين مما سبق أن الفاروقي انتقل انتقالاً حقيقياً من العروبة إلى الإسلام، بدليل المؤلفات التي أنتجها فيما بعد وخلت عن مظاهر العروبة، كان الغرض منها إعلاء كلمة الإسلام، وبيان الفرق بينه وبين الأديان الأخرى المحرفة، والتي منها اليهودية والمسيحية، وهو ما سنقوم بدراسته في قادم الفصول.

د. أهم صفات الفاروقي الشخصية التي أهلته لما حصله من علم:

خلال الرحل الشاقة، والمسيرة المضنية، تشكلت أخلاق الفاروقي، وصفاته الشخصية، التي كانت له علماً مميزاً، ونبراساً مضيئاً في سماء العلم، لم يهزه التهجير عن موطنه، ولا التهديدات المحيطة به عن أن يسير في طريق دعوته وعلمه، ومن أهم الصفات التي اتصف بها:

([1])الإنسانية: هي فلسفة تقوم على أساس الاكتفاء بوحدة الأصل الإنساني، والاشتراك في الصفات العامة التي يختص بها هذا النوع، مع نبذ أو إهمال كل الفوارق القومية والوطنية والدينية والمذاهب والعقائد والمصالح ومناهج السلوك بنزعة إنسانية عالمية. انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، ص276.

([2])الليبرالية: هي فلسفة ترتكز على أولويات الفرد، بوصفه كائناً حراً، فمن الناحية الفكرية تعني حرية الاعتقاد والتفكير، ومن الناحية الاقتصادية تعني حرية الملكية الشخصية، ومن الناحية السياسية تعني حرية التجمع وتأسيس الأحزاب واختيار السلطة. انظر: نقد الليبرالية، بو عزة، ص21.

([3]) Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.27

([4]) See: Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.27

- **أخلاقه:**

كان دمث الأخلاق محبباً وثيق الصلة بطلابه، يعرفهم جميعا بأسمائهم، ويتصل بهم، ويزورهم، ويغضب كثيراً إن عَلِم أن أحدهم مرض ولم يُخبَر بذلك، وكان يفرح إن اتصل أحد الطلاب ليسأله، بل كان بيته ملتقى للطلبة المسلمين [1].

كان شديد التواضع، وهذه كانت من الصفات المميزة فيه حتى إنه كان يسأل عن بعض القضايا فينسب الفضل فيها إلى ابن تيمية أو أحد العلماء ولا ينسبه إلى نفسه [2].

ويذكر أحد طلابه [3] أنه دعاهم إلى وجبة طعام – وكانت هذه عادته–، فقام باصطياد سمك بنفسه، ثم نظفه وطهاه بيديه، وكان مصمماً على القيام بالضيافة، ويأبى أن يساعده أحد من ضيوفه –طلابه–، وهذا يدل على التواضع المطلق الذي كان يتمتع به الفاروقي[4].

- **حب الترحال والسفر:**

سافر الفاروقي على نطاق واسع وبانتظام؛ في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقام بإلقاء المحاضرات في الكثير من الجامعات، منها: الجامعة الأمريكية في بيروت، الأزهر الشريف في مصر، جامعة ماكجيل بكندا، المعهد المركزي للبحوث الاسلامية بكراتشي، جامعة شيكاجو، جامعة سيراكيوز، وجامعة تمبل، وقد تنقل بين القارات الأربع: آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا، فخَبِر الشعوب والحضارات المختلفة بنفسه، وكون رؤيته الذاتية حول طبائعهم لتكون له عوناً في معرفة الطرق المكتسبة لدعوتهم، وإقناعهم بالحق الذي يعرفه[5].

- **إتقانه عدة لغات:**

أتقن الفاروقي اللغة العربية –لغته الأم– في حياته في فلسطين، وخاصة أنه التحق بالمسجد، ودرس فيه أهم قواعد اللغة، ودرس الفرنسية في مدارس القساوسة الفرنسيين فبرع فيها،

([1])انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص139.

([2])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ص16.

([3])هو إبراهيم محمد زين.

([4]) محمد الجدي، قابله: محمد أبوراس، 2018/11/22م.

([5])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ص13،

See: Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.30

ثم تبحر في الإنجليزية، ابتداء من الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم في كندا وأمريكا حتى وفاته، وقد أصبح أديباً في اللغات الثلاث، لدرجة أنه يفكر ويخطب، ويكتب بالعربية والفرنسية والإنجليزية على أعلى المستويات كأن اللغات الثلاث لغته الأم[1].

- **التأهيل الجامعي والثقافة الموسوعية:**

كان الفاروقي مثالاً للعالم الموسوعي، حيث كان متضلعاً في الفلسفة، والأديان، والتاريخ، وفي مختلف العلوم الإنسانية الأخرى، هذه العلوم درسها في جامعات عالمية كبيرة فقد درس البكالوريوس في الفلسفة من الجامعة الأمريكية في بيروت، ثم تحصل على شهادتي ماجستير في فلسفة الأديان من جامعة إنديانا 1949م والثانية من جامعة هارفارد 1952م، ثم درس الدكتوراه من جامعة إنديانا في العام 1952م ، ثم دراسة ما بعد الدكتوراه في الأزهر لمدة أربع سنوات(1954 - 1959م)[2].

يكفي مثالاً للدلالة على العلم الموسوعي عنده، والقدرة العالية على استحضار المعلومات، وإقناع الحضور بعلمه، أنه دعي لحفلة عشاء في جمعية الطلبة المسلمين بولاية أريزونا عام1972م، وتحدث مع الجالسين من أصحاب الديانات المختلفة لمدة ساعة، فعبَّر قسٌّ -كان حاضراً- على ذلك فقال: (لقد تعلمت عن المسيحية الليلة وحدها أكثر مما تعلمته في دراستي لها خلال الثلاثين سنة الماضية) [3].

ومما يدل على الثقافة الموسوعية التخصصية عند الفاروقي المواد المختلفة التي درسها فقد درس: التاريخ الإسلامي، والحضارة الإسلامية، والحكم الإسلامي، والدولة الإسلامية، والأدب الإسلامي، والفن الإسلامي، أصول الفقه، والفلسفة الإسلامية، وعلم الكلام، وحركات التجديد في الإسلام، ومناهج البحث لدراسة الأديان ومقارنتها [4].

- **الاهتمام بالعمل المؤسساتي:**

([1])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ص13 ،14، انظر: خيرة العقول الإسلامية في القرن العشرين، الشنقيطي، ص44.

([2])انظر: خيرة العقول الإسلامية في القرن العشرين، الشنقيطي، ص42.

([3]) انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ص16.

([4])انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص135.

كان الفاروقي عضواً في رابطة الطلاب المسلمين، منذ نشوئها، وهو مؤسس ورئيس جمعيات مهنية إسلامية متعددة، مثل: رابطة علماء الاجتماعيات المسلمين، ورئيس مجلس أمناء الصندوق الإسلامي في أمريكا الشمالية، كما أنشأ وترأس لجنة توجيه الدراسات الإسلامية في الأكاديمية الأمريكية للأديان بين عامي (1976-1982م)، وهي أكبر رابطة مهنية لأساتذة الاديان في أميركا ،كما أسس الكلية الإسلامية الأمريكية في شيكاغو، وشغل منصب أول رئيس لها[1].

هـ. تراثه العلمي:

كان الفاروقي من المكثرين في التأليف والكتابة، وكان لقدرته اللغوية عظيم الأثر في غزارة ما نتج عنه من مؤلفات، أهمها:

- **ترجمته للعديد من المؤلفات:** من اللغة العربية إلى اللغة الإنجليزية، مثل: ترجمة كتاب من هنا نعلم لمحمد الغزالي، وترجمة كتاب من هنا نعلم لخالد محمد خالد، وترجمة كتاب حياة محمد لمحمد حسين هيكل، وغيرها من الكتب.
- **كتب ألفها باللغة الإنجليزية**، منها:

- Urubah and Religion: An Analysis of the Dominant Ideas of Arabism and of Islam as Its Heights Moment of Consciousness.

العروبة والدين: تحليل للأفكار السائدة عن العروبة والإسلام بوصفه قمة حركة الوعي.

- Christian Ethics: A Systematic and Historical Analysis of Its Dominant. الأخلاق المسيحية: تحليل نظمي وتاريخي للأفكار السائدة.
- The Great Asian Religions . أديان آسيا الكبرى.
- Islam and Culture. الإسلام والثقافة.
- Islam and the Problem of Israel. الإسلام ومشكلة إسرائيل.
- Tawhid: Its Implications For Thought And Life.

---

(1) See: Makers of contemporary islam, john Esposito, John Voll,p.31

التوحيد؛ مضامينه على الفكر والحياة.

أطلس الحضارة الإسلامية — The Cultural Atlas of Islam.

هذا بالإضافة إلى العديد من المقالات المنتشرة في العديد من المجلات المختلفة، مثل مجلة العالم الإسلامي، والمجلة الكندية لعلم الكلام، ومجلة الكتاب المقدس، ومجلة الدراسات الإسلامية، والمجلة الدولية في تاريخ الأديان ... وغيرها الكثير.

- **أعمال للفاروقي نشرت باللغة العربية:**
  - محاضرات في تاريخ الأديان.
  - أصول الصهيونية في الدين اليهودي .
  - الملل المعاصرة في الدين اليهودي.
  - الإسلام والفن.
  - التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة.

3-وفاته:

ركز الفاروقي جهده في آخر حياته على الصهيونية العالمية، واليهود، لبيان خطرهم على العالم والقضية الفلسطينية من جهة، وعلى دراسة الديانة اليهودية وما بها من تحريفات من جهة أخرى، فتلقى في أواخر حياته عدداً من التهديدات والتي كانت تقول: (إننا سنقتلك إن لم تتوقف عن الحديث عن الفلسطينيين وحقوق قضيتهم)، لكننه لم يحسب لها حساباً، ولم يتخذ الحيطة والحذر لذلك، فاغتيل هو وزوجته في مساء يوم 18 من رمضان 1406هـ الموافق 27 مايو 1986م ، وذلك طعنا بالسكين حتى الوفاة. على يد رجل زعم أنه بهائي يحمل سكينا بها رقم 19، وقال أنه قتله لأنه يكره الرقم 19، لكن الملابسات تدل بوضوح على أن اليهود خلف عملية الاغتيال، وقاموا بالتغطية على جريمتهم، وكانوا هم الأكثر استفادةً من قتله، ولم تنج من الجريمة إلا ابنتهما الوحيدة [1].

([1])من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، العقيل، ص143.

الفصل الأول

الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة الفاروقي وتقييمها

المبحث الأول: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة وتقييمها:

يتناول الباحث في هذا المبحث الأسس المعرفية التي اعتمد عليها أبو زهرة في دراسته للأديان، وتتضمن الأسس المعرفية: (المصادر الأساسية في دراسته، ومضمون المنهج الذي قاده في دراسته)، وذلك من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة وتقييمها:

يتناول الباحث في هذا المطلب ذكر الأسس المعرفية التي اعتمد عليها أبو زهرة في دراسته لليهودية، من خلال كتبه ومقالاته حول اليهودية، وذلك على النحو التالي:

أولاً: مصادر أبي زهرة في دراسته لليهودية.

كانت مصادر دراسة الشيخ أبي زهرة لليهودية كما كان أسلافه من الباحثين، حيث اعتماد الوحي أساساً للدراسة وخاصة القرآن الكريم فكان يكثر من الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم، وبالكثير من أحاديث رسول الله ﷺ، إلى جانب ذلك كان أبو زهرة يستعين بالكتب التراثية مثل: كتب السير وكتب التاريخ الإسلامي، وبيانها على النحو التالي:

1- المصادر الإسلامية:

وهي المصادر التي اعتمد عليها أبو زهرة كثيراً في كتاباته عن اليهودية، وبيانها على النحو الآتي:

أ. المصادر الأصيلة:

- **القرآن الكريم:**

كان أبو زهرة دائم الاعتناء بالقرآن الكريم، وتفسيره، حتى إنه توفي أثناء عمله في تفسيره، وكان دائم الاستشهاد بالآيات في مجال الأديان، حيث يستشهد بالآيات التي تثبت تحريفهم، وانحرافهم العقائدي، والفكري، والتي توضح مدى البعد عن الأخلاق القويمة عندهم، ويسقط هذه الآيات على الواقع، ومن أمثله ذلك:

- توضيحه للمسائل الأساسية المشتركة بين الأديان الثلاثة بأن الأصل في جميع الديانات الوحدانية، واستشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [غافر:78][1].

- يشرح أبو زهرة بعضاً من أوصاف اليهود، ويذكر أن الله تعالى يبين بعض أحوالهم، وأوصافهم، كذكره لصفة الفساد في الأرض، في قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: 64] [2]، وبين أبو زهرة بعض الأوصاف الخاصة والتي اختص بها اليهود وميزهم الله بها، منها: أن الله تعالى نسب إليهم قتل الأنبياء، مع أن القتل كان من بعضهم، فقال الله تعالى:﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الفاتحة:87] [3]. وبين أبو زهرة عظيم خطر اليهود على المسلمين، يقول تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: 82] [4].

- يذكر أبو زهرة أن اليهود قد غيروا في كتبهم، فلبسوا الحق بالباطل، فنهاهم الله عن ذلك، في قوله: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42][5].

- **السنة النبوية:**

- توضيحه للمسائل المشتركة بين الأديان، ومنها أن اليهود والنصارى يجب عليهم الدخول في الإسلام حتى يدخلوا الجنة، واستدل بقوله ﷺ: {ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، وآمن بي}[6].

---

[1] انظر: ندوة (لواء الإسلام) بعنوان الديانات السماوية، أبو زهرة، ص191-192.

[2] انظر: اليهود اليهود(1)، أبو زهرة، ص605.

[3] انظر: اليهود اليهود(1)، أبو زهرة، ص605.

[4] انظر: اليهود في القرآن(1)، أبو زهرة، ص232.

[5] انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص212.

[6] متفق عليه، رواه البخاري، كتاب العلم (97)، ومسلم، كتاب الإيمان (154).

انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص109.

- بيَّن أبو زهرة أن اليهود كانوا يحرِّضون المؤمنين على الشح وعدم الإنفاق في سبيل الله، ويتهكمون على القرآن، وعلى دعوة الرسول ﷺ، واستدل على ذلك بحديث ابن عباس، أنه لما نزلت آية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: 245] جاءت اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: "يا محمد ربك فقير يسأل عباده القرض" (1).

ب. المصادر التراثية:

تتبع أبو زهرة حياة اليهود من خلال ما ذكر من أحوالهم في كتب التراث الإسلامي المختلفة؛ حتى يجلِّي حقيقتهم، وحتى يبيِّن أن أحوالهم الحالية لا تختلف عمَّا كانوا عليه بصفةٍ عامة، وفي عصر النبي ﷺ خاصةً، وبيان ذلك على النحو التالي:

- **كتب السير:**

- ذكر أبو زهرة أن من صفة اليهود العيش في الحصون؛ حتى تحميهم من أعدائهم، ثم ذكر أمثلةً لذلك، أنهم كانوا يعيشون في حصون في المدينة وفي خيبر(2). ثم ذكر أن العرب كانوا قبل الهجرة ليس فيهم منافقون يظهرون غير ما يبطنون، ويقولون ما لا يفعلون، حتى هاجر النبي ﷺ فالتقى باليهود، فوجد بينهم النفاق، فهم مصدره، وهم مورده (3)، وهذه الأخبار قد وردت مفصلةً في كتب السيرة الإسلامية.
- نقل أبو زهرة عن المؤرخ الإسلامي المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) فقال: أن اليهود صاروا منذ وضع هذا التلمود الذي كتبوه بأيديهم، وضمنوه ما هو من رأيهم، ينسبون ما فيه إلى الله تعالى (4).

- **كتب التفاسير المختلفة:**

نبغ أبو زهرة في التفسير، وكان ممن أتقن تفسير القرآن، حيث كان منهجه في التفسير هو التفسير النقلي، حيث يفسر القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، وكان

---

(1)حديث حسن رواه ابن أبي حاتم ، تفسير ابن أبي حاتم، ج3 ص828، انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج3 ص1528.

(2)انظر: اليهود اليهود(1)، أبو زهرة، ص609.

(3)انظر: اليهود اليهود (2)، أبو زهرة، ص702.

(4)انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص18.

يستشهد بما نقل عن المفسرين الآخرين عند الحديث عن اليهود، ومثال ذلك: عند حديثه عن أن الفوقية والعلو هي للدين، ولم التزم بما أمره الله به من شرائع، ليس من كذب على الله من أمثال اليهود، نقلا عن الزمخشري في كتابه (الكشاف) [1].

- **الكتابات المعاصرة:**

يبدوا أن استعانة أبي زهرة بالكتب المعاصرة كانت قليلة، أو أنه لم يذكر المصدر الذي اقتبس منه، إلا في مواضيع قليلة، منها:

- ما ذكر فيه أنه نقل عن أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام)، عن اختلاط الفلسفة اليونانية وغيرها من العلوم بالدين اليهودي[2].
- ما نقله عن أن الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه (إظهار الحق) أثبت أن التغيير والتبديل لا يزال يجري إلى الآن في كتبهم، وهو يتحدث هنا عن التوراة والإنجيل[3].

2- المصادر اليهودية:

لم يعتمد الشيخ أبو زهرة على المصادر اليهودية كثيراً في كتاباته، حيث اقتصر على ذكر للكتاب التوراة المحرفة وذكر لبعض ما فيها من أخبارٍ يستحيل عقلاً أن تكون هذه الأخبار نزلت على موسى عليه السلام من عند الله تعالى، وبيان ذلك على النحو التالي:

أ. المصادر الأصيلة:

اعتمد أبو زهرة على التوراة التي عند اليهود على أنها مصدر أصيل في كتاباته عنهم، ومن أمثلة ذلك:

- أورد أخباراً مذكورة في التوراة للدلالة على تحريفها، كزعمهم أن لوطاً شرب الخمر وزنى بابنتيه، وكزعمهم أن داود أرسل إلى الحرب رجلاً ليختلي بزوجته، فهذه الأخبار دليل قاطعٌ في أن هذا الكتب لا يمكن أن تكون صحيحة النسبة إلى الله سبحانه وتعالى[4].

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج3 ص1246.

([2])انظر: تاريخ الجدل، ابو زهرة، ص20.

([3])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص 278.

([4])انظر: ندوة لواء الإسلام بعنوان: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص192.

- بيَّن أبو زهرة كذبهم على نبي الله هارون، فيقول: "كما توهمتم في التوراة التي بأيديكم من أن هارون عليه السلام عبد العجل مع الذين ضلوا منكم" [1].
- نقل عن التوراة تفسير النفس عندهم هو: الدم [2].

ب. المصادر التراثية:

اعتمد أبو زهرة قليلاً على الكتب التراثية عند اليهود، ولم يقتبس منها إلا ممن اعتقد أنهم يخبرون عن حقيقة ما هو موجود في ديانتهم بلا تحريف، ومن ذلك:

- نقل أبو زهرة عن أحد المؤرخين أنه يقول: عن الأمريكان انهم يهود، وإن لم يكونوا من بني إسرائيل، ألم تر نائب كبيرهم الذي يزعم أنه مسيحي يقول عن اليهود أنهم رسل الله في الأرض [3].

ثانياً: تقييم المصادر المعرفية عند أبي زهرة في دراسته لليهودية:

تنوع المصادر التي استند عليها أبو زهرة في دراسته لليهودية، والتي أثْرَت دراساته ومقالاته، وبيان هذا التقييم على النحو التالي:

1- **أصالة المصادر:** اعتمد أبو زهرة كثيراَ على المصادر الإسلامية الأصيلة، مثل القرآن والسنة النبوية، وهذه من أفضل المصادر التي يمكن الاعتماد عليها من حيث الثبوت، لكن هذا يعتبر خطاب للجمهور الإسلامي، أو الجمهور الباغض للأخلاق اليهودية عموماً، ويحتاج الخطاب للطوائف اليهودية أو المحبة لهم أن يكون هناك تنويع أكبر في المصادر، حيث إنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم أصلاً.
2- **دقة النقل والتوثيق:** يتميز أبو زهرة عن غيره من الكتاب المعاصرين، على قدرته العالية على الحفظ والاستظهار، والقدرة الفائقة على الإتيان بالمعلومة في مكانها المناسب، لكن أبا زهرة في كثير من الأحيان لم يكن يوثق المصدر الذي استقى منه المعلومة، هذا لأن معظم كتاباته حول اليهودية هي عبارة عن محاضرات له نشرت في مجلة لواء الإسلام، وكل هذه المحاضرات كانت من حفظه.

---

[1] زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص213.

[2] انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص23.

[3] انظر: اليهود اليهود (1)، أبو زهرة، ص609.

3- **صوابيَّة الاستدلال:** إن السنين التي قضاها أبو زهرة في كتابة تفسير القرآن الكريم، وما تخلله من ذكر لأحوال اليهود، ووصف دقيق لما هم عليه من أخلاق وعقائد، مكن أبا زهرة من أن يسقط الاستدلال في المكان المناسب تماماً، وأنه لم يكن يخبر عنهم بخبر إلا استنادًا إلى نص صريح يفيد بما أخبر عنهم.

4- **الطرح لم يكن بالعمق الكافي في بعض القضايا:** يؤخذ على أبي زهرة أن الأفكار التي كان يطرحها في دراسته لليهودية كانت أقل عمقاً من المطلوب، وذلك لما قلناه سابقاً، أن دراسته لليهودية كانت عبارة عن محاضرات من ذاكرته، ولكن الدراسة المعمقة تحتاج إلى بذل جهد أكبر من خلال التفرغ للكتابة والتأليف، ولو قدِّر له أن يتفرغ للكتابة حول اليهودية، فإنه سيخرج بنتاج علمي راقٍ في هذا الموضوع.

ثالثاً: منهج البحث والدراسة عند أبي زهرة في دراسته لليهودية:

اتبع أبو زهرة في دراسته لليهودية المنهج الوصفي التاريخي، حيث يصف الدين اليهودي كما هو قديماً وحديثاً، من خلال كتبهم، وما ذكر في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وما ورد في الكتب الإسلامية التراثية التي تحدثت عنهم، من دون أن يفنِّد عقائدهم، ولا أن يرد عليهم رداً قاسيًا يبرز معالم الانحراف والتحريف في معظم الأحيان، ومن أمثلة ذلك:

1. تتبع أبو زهرة مسار حياة اليهود قديماً، حتى الوصول إلى الزمن الحاضر، وكيف أن أخلاقهم لم تتغير، وأن إفسادهم في البلاد والعباد لم يقل، حتى لو اختلفت الأزمنة عليهم أو اختلفت الأمكنة التي عاشوا فيها، فحاربوا الأخلاق والفضائل، وحاولوا طمس الفطرة الإنسانية، ونشر الرذيلة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[1].
2. قام أبو زهرة بتتبع فرق اليهود، دون أن يفند أقوالها ولا أن يظهر عقائدها الفاسدة من خلال الشرع، بل يكتفي بذكرها، حيث ذكر أن اليهود انقسمت بعد خراب بلادهم إلى: (الربانيون، والقراء، والسامرة)، وذكر أن أهم أسباب هذا الانقسام هو اختلاط اليهودية بالفلسفات المختلفة[2].

([1])انظر: اليهود اليهود، أبو زهرة، ص718- 719.

([2])انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص19.

يتبين من خلال المطلب السابق القدرة الفائقة لأبي زهرة على الحفظ وتجميع المادة العلمية بما يتناسب مع المقام الذي تعطى فيه، حيث غلب على أبي زهرة –في دراسته لليهودية– طريقة السرد بنظام المحاضرات.

المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة وتقييمها:

يتناول الباحث في هذا المطلب ذكر الأسس المعرفية التي اعتمد عليها أبو زهرة في دراسته للمسيحية، من خلال كتبه ومقالاته حول المسيحية.

أولاً: مصادر أبي زهرة في دراسته للنصرانية.

تميز أبو زهرة في دراسته للمسيحية، تميزه كان ناتجاً عن تدريسه لمادة المسيحية في الجامعة، ثم كتب كتاباً حول المسيحية، تميز هذا الكتاب بأسلوب العرض وتنوع المصادر، حيث كان للوحي نصيب، وللكتب الإسلامية التراثية نصيب، وللكتب المسيحية أيضاً نصيبٌ، حيث استطاع استيعاب الكثير من نصوصهم، والرد عليها بما يناسبها، وكان لهذه الردود عظيم الأثر على أسماع من تلقاها منهم، ومن هذه المصادر:

1- مصادر إسلامية:

تنوعت مصادره، لكنه كعادته كان للقرآن الكريم نصيبٌ كبيرٌ من مصادره، ومن هذه المصادر:

أ. المصادر الأصلية:

- **القرآن الكريم:**

استعان أبو زهرة بالقرآن الكريم في دراسته للنصرانية كما كان في دراسته لليهودية، ومن أمثلة ذلك:

- ذكر أن القرآن ينص على أن عقيدة المسيح الحقيقية هي التوحيد الكامل، وإن عيسى عليه السلام ما دعا إلّا إلى التوحيد الكامل، يقول تعالى: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [المائدة: 117] [1].

- يبين أن ولادة المسيح من غير أبٍ لحكمة يعلمها الله جلَّت قدرته، وقد أشار الله تعالى في قوله: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم:21] [2].

- في حديثه عن صفات المسيح عيسى عليه السلام ذكر قوله تعالى: ﴿ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ [آل عمران:46] [3]

- **السنة النبوية:**

استعان أبو زهرة في السنة النبوية المطهرة كثيراً في حديثه عن المسيحية، لكنه لم يذكر الأحاديث بنصها، إنما كانت ضمن سياق الكلام، وخاصةً في تفسيره لآيات القرآن الكريم التي تتحدث عن المسيحية، مثال ذلك: حيث يذكر أمثلةً من دعوة رسول الله ﷺ لغير المسلمين من المسيحيين، ومنهم هرقل عظيم الروم، والمقوقس عظيم مصر [4].

ب. كتب تراثية:

استفاد أبو زهرة من الكتب التي كانت في الأزمان السابقة لعصره، كما استفاد من كتب السير والتاريخ، وبيان ذلك على النحو التالي:

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص15.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص21.

([3])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج3 ص1223.

([4])انظر: ندوة لواء الإسلام بعنوان: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص191.

- **كتب التفاسير:**

– نقل أبو زهرة عن المفسرين من خلال تفسيره للقرآن الكريم، ومن المفسرين الذين نقل عنهم: الزمخشري، عندما فند مزاعم المسيحيين في نبوة عيسى عليه السلام [1].

- **كتب الفرق والمذاهب والأديان:**

– يتحدث أبو زهرة عن بعض عقائد المسيحية، ومن ذلك حديثه عن النسطوريون[2]، الذين يرون أن مريم ولدت الإنسان، ولم تلد الإله منه، والإله لم ينله شيء، وهذا نقلا كتاب ابن حزم(الفصل في الملل والنحل) [3].

– يتحدث أبو زهرة عن بعث عيسى عليه السلام، وتبشيره بالروح، وهجر الملذات، التي استغرقت النفوس في تلك الأيام، ويبشر بعالم الآخرة، وهذا نقلا عن كتاب (الملل والنحل)، للشهرستاني [4].

- **كتب السير:**

– نقل أبو زهرة عن كتاب المقريزي (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) في معرض حديثه عن فكرة التثليث عند النصارى، وإجماعهم القول أن معبودهم ثلاثة أقانيم، وهذه الأقانيم هي شيء واحد [5].

2- مصادر نصرانية:

تبحر أبو زهرة كثيراً في الكتب المسيحية بحثاً عما يستطيع به تغيير واقع النفوس المسيحية، وحتى يحاول التأثير عليهم، وبيان ذلك على النحو التالي:

---

(1)انظر: زهرة التفاسير، أبو هرة، ج4 ص2099.

(2)النسطوريون: هم أتباع الأسقف نسطور المسيحي، الذي كان يقول أن المسيح له أقنومين، واشتهر بالقول بأن العذراء ليست أماً للمسيح وأن المسيح لا يقوم بأقنوم واحد. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، خياطة، ص91.

(3)انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص22.

(4)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص23

(5)انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص21.

أ. **المصادر الأصيلة:**

درس أبو زهرة الكتاب المقدس دراسة متفحصة، ونقل عنه في الكثير من المواضع ليدلل على الخلل الذي يطرق النفوس والعقول، ومن هذه المواضع: حيث إنه نقل عن إنجيل متَّى في مسألة صلب المسيح[1]، ونقل عن رسالة بولس إلى أهل أفسس، ورسالة يعقوب [2]، وإنجيل لوقا [3] وإنجيل متى[4]، وغير ذلك من المواضع.

ب. **المصادر التراثية:**

اهتم أبو زهرة في إرفاق كلام الكثير من المؤرخين، والفلاسفة، ورجال الدين المسحيين، ذلك ليؤكد على كلامه من ناحية، ولتزيد حجته وضوحاً، وبيان ذلك كما يلي:

- **كتب الدين النصرانية:**

– نقل عن كتاب(سنوسة سليمان)، لنوفل بن نعمة الله النصراني[5]، أن عقيدة النصارى التي لا تختلف بالنسبة لها الكنائس، وهي أصل الدستور الذي بينه المجمع النيقاوي[6].

– ينقل عن كتاب (تاريخ الكتاب المقدس) للكاتب المسيحي جورج بوست (George Post) [7] في أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس[8].

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص130.

([2])انظر: المرجع السابق، ص136.

([3])انظر: نفسه، ص138.

([4])انظر: نفسه، ص139.

([5])نوفل بن نعمة الله نوفل: (1812–1887م) أديب مترجم. من أهل طرابلس الشام. مولده ووفاته فيها، وكان يحسن التركية والفرنسية، من كتبه (صناجة الطرب في تقدمات العرب)، و(زبدة الصحائف في أصول المعارف). انظر: الأعلام، للزركلي، ج8 ص55.

تعلم بمصر. وعين ترجمانا لبعض " القنصليات " في بيروت.

([6])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص120.

([7])جورج بوست: (1838–1909) طبيب أمريكي، درس اللاهوت في نيويورك، ارتحل إلى طرابلس في لبنان حيث عمل طبيباً ومبشراً، من كتبه (مبادئ علم النبات) و (علم الحيوان). انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص118.

([8])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص121.

- ثم في معرض حديثه عن الصلاة عند النصارى نقل عن كتاب(الأصول والفروع) [1] النصراني، أن الصلاة عندهم ركن من أركان الدين، وهي في زعمهم تقربهم إلى الله عن طريق المسيح عليه السلام [2].

- **كتب التاريخ الغربية:**

- كان أبو زهرة ينقل عن أقوال المؤرخين المسيحيين، من ذلك أنه قال: ودعوة عيسى عليه السلام، -كما ورد في الأخبار، وكما تضافرت عليه أقوال المؤرخين- تقوم على الزهد والأخذ من أسباب الحياة بأقل قسط يكفي لأن تقوم عله الحياة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر[3].
- ينقل أبو زهرة عن المؤرخ الفرنسي (رينان) (Ernest Renan)[4]، عن رأيه في مسألة ولادة المسيح بأم دون أب [5].

- يثبت أبو زهرة بعض الأخبار التاريخية، والبلايا التي حلت بالمسيحية في الأزمنة التاريخية المختلفة، من العام 64م إلى عصر قسطنطين[6] ، وهذه الأخبار نقلاً كما قال عن كتاب (تاريخ الحضارة) [7].

([1]) بعد البحث لم يجد الباحث هذا الكتاب ولم يتم التعرف على اسم مؤلفه، ولم يذكر أبو زهرة اسم مؤلفه بل أبقاها على العموم.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص135.

([3])انظر: المرجع السابق، ص16.

([4])أرنست رينان: (1823 – 1892م)، مستشرق ومؤرخ وكاتب فرنسي، عني بتاريخ المسيحية وتاريخ شعب إسرائيل، واشتهر بأفكاره التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدينية نقدًا تاريخيًا علميًا وإلى التمييز بين العناصر التاريخية والعناصر الأسطورية الموجودة في الكتاب المقدس ، أشهر مؤلفاته عن الإسلام: (ابن رشد والرشدية)، وكتاب (مقامات الحريري). انظر: موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ص3111-312.

([5])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص22.

([6])قسطنطين الأول: (272 – 337م) العظيم، هو إمبراطور روماني، حيث كان حكم قسطنطين نقطة تحول في تاريخ المسيحية. عام 313 أصدر مرسوم ميلانو الذي أعلن فيه إلغاء العقوبات المفروضة على من يعتنق المسيحية، وبذلك أنهى فترة اضطهاد، دعا إلى عقد مجمع نيقية، المجمع المسكوني الأول عام 325م، وقد تم تغيير اسم المدينة إلى القسطنطينية. انظر: قصة الحضارة، ديورنت، ج 11 ص382-390.

([7])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص37.

- نقل أو زهرة عن المؤرخ ابن البطريق [1] المسيحي في كتابه (تاريخ البطارقة) والذي شرح فيه أخبار مجمع نيقة، وما دار فيه من الإعلان عن ألوهية المسيح ﷺ [2].

ثانياً: تقييم المصادر المعرفية عند أبي زهرة في دراسته للنصرانية:

تنوع المصادر التي استند عليها أبو زهرة في دراسته للمسيحية، والتي أثْرَت دراساته ومقالاته، وبيان هذا التقييم على النحو التالي:

1- **أصالة المصادر:** اعتمد أبو زهرة كثيراً على القرآن الكريم، وهذا من أفضل المصادر التي يمكن الاعتماد عليها من حيث الثبوت، إلى جانب الاعتماد على المصادر الأصلية المسيحية كالإنجيل، واعتماده أساساً يرجع إليه ليثبت رأيه في العقائد المختلفة.
2- **دقة النقل والتوثيق:** يتميز أبو زهرة عن غيره من الكتاب المعاصرين، على قدرته العالية على الحفظ والاستظهار، والقدرة الفائقة على الإتيان بالمعلومة في مكانها المناسب، وكانت بداية كتاباته حول المسيحية عبارة عن محاضرات علمية جامعية، لذلك كان لتطويرها ووضعها في كتاب -نال عنايته الشخصية، وتطويره من حين لآخر- الأثر البارز في تحسين مسألة التوثيق للمعلومات التي أدرجها في كتابه.
3- **صوابيَّة الاستدلال:** إن السنين التي قضاها أبو زهرة في كتابة تفسير القرآن الكريم، ثم تبعها السنين التي قضاها في تدريس مادة حول المسيحية، وما تخلله من ذكر لأحوالهم، ووصف دقيق لما هم عليه من عقائد، مكّن أبا زهرة من أن يستدل على أحوالهم بالنصوص المناسبة، سواءً بما جاء به القرآن الكريم، أو مما ذكر في كتبهم المختلفة.
4- **عمق الفكرة:** ليست دراسة أبي زهرة للمسيحية كأي دراسة أخرى، فقد خبرهم في حياتهم من خلال معايشتهم واقعاً في حياته اليومية، وقد عرفهم علمياً من خلال الأوقات التي

---

(1)سعيد بن البطريق: (877-940م)، طبيب مؤرخ، من أهل مصر، ولد بالفسطاط، وأقيم بطريركا في الإسكندرية، من كتبه (نظم الجوهر) في التاريخ، و (الجدل بين المخالف والنصراني). انظر: الأعلام، الزركلي، ج3 ص92.

(2)انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج4 ص2096.

قضاها في تدريس عقيدتهم، مما أدى إلى أن تخرج كتاباته في النهاية، أكثر عمقاً من أي دارس آخر.

ثالثاً: منهج البحث والدراسة عند أبي زهرة في دراسته للنصرانية:

الأساس المنهجي لأبي زهرة في المسيحية كما كان في اليهودية، هو المنهج الوصفي التاريخي، فقال في كتابه: "سنحاول دراسة المسيحية، مجردين من أنفسنا ناظراً غير متحيز عليها، لنصورها كما هي، وكما يعتقد أهلها، ولنتمكن من أن نكتبها بروح الإنصاف، ولقد نضطر إلى أن ننقل عبارات من كتبهم المقدسة وغير المقدسة من غير أن نتصرف بأي تصرف..." [1].

وهو مع ذلك يوضح: أنه لن يترك النقد العلمي النزيه، الذي يستمد قوانينه من العقل. ويقول: أنه من باب الإنصاف أن لا يهمل العقل. ويضيف أنه لا يجب أن يدفعنا حرصنا على إنصافهم إلى ظلم العلم والحق والعقل [2]، وهذا يعني أن أبا زهرة كما أنه اتبع المنهج الوصفي التاريخي، بسرد عقائدهم من كتبهم، بلا أي تحيز، وبإنصاف تام، إلا أنه لابد له –ومن باب الأمانة البحثية– أن يطرق العقول ببعض الملاحظات التي تطرأ على العقل السليم، ولا بد منها حتى يتكامل البحث، أي أنه سينقد عقائدهم في المواقف التي لابد لها من هذا النقد، ومن المواقف التي استخدم أبو زهرة المنهج النقدي:

1- ذكر أبو زهرة بعضا من الأسفار التي تعود إلى الإنجيل عند النصارى، وناقش بعدها مسألة مؤلفي هذه الأسفار، وأنه لا مقنع فيما جاء فيها، خاصةً ما جاء في سفر الأعمال، وإنجيل لوقا [3].

2- دعوى الإلهام التي يبني المسيحيون عليها ديانتهم وكتبهم ليست محل إجماع عندهم، سواءً قديما أو حديثاً [1].

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص14.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص14.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص97.

3- يوضح أبو زهرة أن هناك تضارب بين كتب العهد الجديد، وهذا الاختلاف الموجود في الإنجيل يكون في الأمر الواحد الذي لا يقبل إلا حقيقة واحدة، ومن أمثلة ذلك: الخلاف في نسب عيسى عليه السلام، والخلاف في خبر القبض عليه، وغير ذلك [2].

4- يناقش أبو زهرة قضايا تدل على عدم صحة ما جاء في الإنجيل من أخبار، ومن أمثلة ذلك: أنه يناقش مسألة صراخ المسيح عند صلبه المذكورة في إنجيل متى، "وأنه لما صرخ انشق حجاب الهيكل إلى اثنين، وأن الأرض تزلزلت، والصخور تشققت، والقبور تفتحت" [3].

5- الرد على الموازنة والمقارنة التي عقدها بعض المؤرخين المسيحين بين الأحاديث الشريفة وبين إنجيل لوقا[4].

هذه بعض الأمثلة وغير ذلك، مما يدل على أن أبا زهرة استخدم كلا المنهجين في دراسته للمسيحية، مع أن السمة الغالبة على كتاباته في الأديان، تدل على أنه كان يكتفي بذكر العقائد المختلفة سرداً، إلا أنه كان يحلل الآراء الواردة ويخضعها لميزان العقل والعلم، حتى يقيم الحجة ويوضح رأيه، ويحاول أن يوضح للمسيحين أن دينهم الآن، يختلف اختلافاً كلياً عن الدين الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام.

نخلص في هذا المطلب إلى أن أبا زهرة اهتم اهتماماً شديداً في دراسة النصرانية، وأولاها اهتماماً كبيراً فخرجت دراساته للنصرانية متميزة في المصادر، ومتنوعة المراجع، ثم القدرة العالية على الإلقاء في أثناء المحاضرات، مع الاهتمام الكبير بالتطوير والمراجعة من حين لآخر.

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص101.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص102.

([3])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص107.

([4])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص111.

المبحث الثاني: الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند الفاروقي وتقييمها.

تعتبر الأسس المعرفية التي اعتمد عليها الفاروقي في دراسته للأديان من المعالم المهمة والدلالات القيمة على منهج الفاروقي في هذ المجال المعرفي، وتتضمن الأسس: المصادر الأساسية في دراسته، ومضمون المنهج الذي قاده في دراسته، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند الفاروقي وتقييمها:

نظراً لحياة الفاروقي في فسطين أثناء الاحتلال البريطاني لفلسطين، ثم ما تلاها من هجرة الشعب الفلسطيني إلى بلدان الأرض، واكتواء الشعب الفلسطيني بنيران الصهيونية اليهودية في التاريخ المعاصر، ولقد أثرت هذه الأحداث على الفاروقي بشكل إيجابي مما دفعه إلى الكتابة عن اليهودية بتعمق علمي واسترسال منهجي مميز، وبالتالي سيتم تخصيص هذا المطلب: ذكر الأسس المعرفية التي اعتمد عليها الفاروقي في دراسته لليهودية، من خلال كتبه ومقالاته حول اليهودية، وذلك على النحو الآتي:

أولاً: مصادر الفاروقي في دراسته لليهودية:

تميز الفاروقي في كتاباته عن اليهودية حيث جمع بين النمط الشرقي الإسلامي، الذي نشأ وسطه في بداية حياته، وبين النمط الغربي الذي ترعرع فيه وتلقى معارفه فيه، خلط بين العنصرين فكون نظاماً علمياً مميزاً، وبيانه على النحو التالي:

1- المصادر الإسلامية:

دراسة الفاروقي لليهودية تشابهت إلى حد ما مع الدراسات السابقة له، بالرغم من وجوده في محيط العالم الغربي، حيث تأثر بالمصادر الغربية، وطرق وأساليب البحث الغربية، لكن ظلت أصالة المصادر -في كتابات الفاروقي- حاضرة من خلال اعتماده على المصادر الإسلامية الأصيلة والتراثية، والذي نبينه بما يأتي:

أ. المصادر الأصيلة:

- **القرآن الكريم:**

استشهد الفاروقي بالمصادر الإسلامية الأصيلة، والتي كان القرآن الكريم أهمها وأبرزها على الإطلاق، حيث اهتم بما قرره القرآن من حقائق تخص اليهود وتحريفهم لكتبهم، وأخلاقهم السيئة التي اشتهروا بها على مدى العصور، ومن الأمثلة التي استدل بها:

– **بلادة الوعي:**

تحدث الفاروقي حول موضوع أنهم لم يتغيروا بعد ستة قرون من بعثة عيسى عليه السلام كما أنهم لم يتغيروا مع بعثة رسول الله ﷺ ولم يستفيدوا من الكتاب الذي بين أيديهم ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: 5] (1).

– **تحريفهم للنص المقدس:**

استشهد بالقرآن عند الحديث عن تحريفهم للتوراة التي عندهم بالآية التي يقول الله تعالى فيها ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة: 41] (2)، ثم في حديثه عن اليهود وما كانوا يقومون يه من إخفاءٍ للآيات التي عندهم، والكتاب الذي بين أيديهم، استشهد بآياتٍ، منها، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 101] (3)

والمعتمد فيما قدّم الفاروقي للقارئ الغربي من ترجمته القرآن باللغة الإنجليزية، مع الحرص على الحفاظ على المعنى الكامل للآية، بما يوضح لنا قدرته على استحضار المعنى مع الآية مع ترجمة المعنى، وهذا من أصعب الأمور.

---

(1)See: Ismail Al Faruqi, Christian Ethics, page62.

(2) See: Ismail Al Faruqi, Christian Ethics, page63

(3)انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، الفاروقي، ص105.

- **السنة النبوية:**

امتنع الفاروقي عند الاستشهاد بالأحاديث النبوية في معرض حديثه عن اليهودية، والأديان بشكل عام، وفيما يلي بعض الأسباب التي ربما هي التي دفعته لذلك:

- أن الفاروقي اعتبر دراسته للأديان، هي في معرض الرد على أصحاب الديانات التي لا تؤمن بالإسلام، ولا بالقرآن، فأراد الرد عليها ببيان فساد عقائدها ابتداءً، اعتقاداً منه أن عدم ذكر الحديث أفضل في هذه الفترة من الإفهام.
- أراد الفاروقي أن يبين لأهل الديانات الأخرى الفرق الجوهري بين عقيدة الإسلام وغيرها من العقائد والديانات من خلال وجود القرآن الكريم الذي لم يطرأ عليه أي تحريف أو تبديل، وأن كل حرف هو كما كان بلا أي تغيير كما نطقه رسول الله ﷺ، وهذا غير موجود في أي ملة أخرى.
- منهج الفاروقي في إيراد القرآن هو من خلال ترجمة معانيه، فربما اعتقد أن بإيراد الحديث مترجماً كالقرآن سيوهم القارئ الغربي أن الحديث كالقرآن، لما عندهم من الخلط بين كلام النبي والوحي.

لكن هل الفاروقي من العلماء القرآنيين الذين لا يؤمنون بالأحاديث النبوية؟

هذا كلام باطل بكل تأكيد؛ فقد أكد الفاروقي على أن جهود علماء المسلمين في السنة النبوية كان بنفس الدقة التي عومل بها القرآن الكريم، وتم تطبيق مناهج تحليل النصوص التي تعلموها من خلال القرآن الكريم على السنة النبوية متناً وسنداً، ولم يستخدم في أي مكان في العالم فن علم الرجال أو الجرح والتعديل إلا في علوم الحديث [1]، وإن الفاروقي وإن لم يستدل بالسنة في معرض الحديث عن الأديان، فإنه استدل به في مواطن أخرى، ومن أمثالها الآتي:

- استدل الفاروقي بحديث أنس بن مالك ، أنه سمع النبي ﷺ يروى عن رب العزة في الحديث القدسي:" يا ابن آدم، لو جئتني بقراب الأرض خطايا لا تشرك بي شيئاً، أتيتك بمثلها مغفرة"[2].

([1])انظر: الإسلام في القرن المقبل، الفاروقي، ص10.

([2])التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، الفاروقي، ص66.

- استشهد الفاروقي بحديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ:"من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية" [1].
- ذكر الفاروقي حديث رسول الله ﷺ من حديث ابن عبد الله بن عمر، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: { كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ} [2].

ب. المصادر التراثية:

اعتمد الفاروقي في كتاباته أيضاً على الكتب التراثية الإسلامية، لم يبين الفاروقي من أي الكتب أخذ فكرته، لكنه أخبر أنه استقى الكثير من أفكاره من ابن تيمية [3]، هذا مع الفارق الزماني والمكاني لهما، وهذا مما يؤكد على الأصالة المعرفية لفكر الفاروقي في الأديان خاصة، وفي الدراسات الإسلامية بشكل عام، وقد اتفق الفاروقي مع ابن تيمية على العديد من القضايا المعرفية، مما يزيد تأكيداً على أصالة الفكر عنده، وعلى اعتماده منهج السلف في الكثير من المسائل الفكرية، ومن أمثلة ذلك اتفاقه مع ابن تيمة في كتابه درء تعارض العقل والنقل [4].

أما من ناحية امتناع الفاروقي عن التصريح بالكتب التراثية الإسلامية التي استقى منها فربما يكون منها الأسباب التالية:

- أن غرض الكتاب الأساسي لم يكن أن يطبع على شكل كتاب، بل كان عبارة عن محاضرات، مثل كتاب أصول الصهيونية اليهودية.
- الفئة التي استهدفها الفاروقي في كتاباته، هي فئة الغير مسلمين، فأراد أن يبين عوار مذهبهم من كتاباتهم.

([1])التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، الفاروقي، ص152.

([2])نحو جامعة إسلامية، الفاروقي، ص52.

([3])ابن تيمية: شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية، تقي الدين ،(661-728) فريد العصر علماً ومعرفةً وذكاءً وحفظاً وكرماً وزهداً وكثرة تآليف، وعني بالرواية، وسمع الكتب والمسند والمعجم الكبير، وواجه السجن والاعتقال عدة مرات وتوفي في السجن، وله مؤلفات جمة من أهمها: (درء تعارض العقل والنقل) وكتاب (الإيمان)، انظر: معجم الشيوخ الكبير للذهبي، ج1 ص56. الأعلام، الزركلي، ج1 ص144.

([4])انظر: أصول الفكر التيّمي وأثرها على الجانب التوحيدي عند الفاروقي، الجدي، ص18.

- طبيعة الأسلوب التأليفي والمنهج المتبع عند الفاروقي يحتاج إلى الفهم والتحليل والنقد، لذلك فإنه لم يلزم نفسه بمتابعة أفكار موروثة عن سابقيه.
- ربما بسبب حالة الضعف التي كانت عند الفاروقي بالكتابات الإسلامية، مما يفسر عودته إلى مصر لدراسة بكالوريوس في الشريعة بعد انتهائه من دراسة الدكتوراه.

بالرغم من الانتقادات التي لاقاها الفاروقي في المصادر الإسلامية إلا أن كتاباته لاقت صداً كبير عند الغربيين الذين خصصت لهم الدراسة.

2- المصادر اليهودية:

حياة الفاروقي العلمية في أمريكا، وحبه بأن تكون كتاباته لا تشبه الكتابات التقليدية لبعض الكتَّاب الإسلاميين، دفعت به لأن يعتمد في دراسته لدين اليهود على العديد من المصادر اليهودية، بغية الوصول إلى الفهم الصحيح للطبيعة التركيبية للعقل اليهودي كما تصوره كتبهم المقدسة، وكما يراه ويفهمه أتباعه العلماء منهم، والفرق المختلفة، تحرياً للموضوعية، وسعياً لإقامة الحجج عليهم بالدليل الدامغ، مما يفسر حالة العمق من الوعي في شرح العقيدة والأخلاق والتشريعات اليهودية من أي باحث غيره، وفي ما يلي تفصيل ذلك:

أ. المصادر الأصيلة:

كان لاستظهار [1] الفاروقي للكتاب المقدس عظيم الأثر في مساعدته على استدعاء الأفكار والدلائل المختلفة الداعمة لأفكاره التي يريد إيصالها، والمتعلقة بالعقيدة والديانة والتاريخ اليهودي. ولماذا كان تركيز الفاروقي على التوراة على حساب الكتب الأخرى؟ لأن اليهود يعدونها الجديرة بالقداسة، وهي المصدر الأول للشريعة عندهم، كما أنها تعتبر أهم جزء في العهد القديم، وفيما يلي بعضاً من هذه الأمثلة:

- حديث الفاروقي عن تاريخ اليهود، وإحراق الهيكل –المزعوم– وتفتت المملكة، وتفرِّق سكانها، استشهد الفاروقي على ذلك بالتوراة، من سفر أرميا(4: 11) [2].

([1])محمد بخيت، قابله: محمد أبوراس، 2018/11/22م.

([2])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص5.

- حديثه عن زعماء اليهود الروحيين، والذي كانوا يفسرون الأحداث لليهود، خاصةً في فترة السبي البابلي، حتى يصبروهم على الأذى الذي حل بهم في تلك الفترة، استشهد الفاروقي بالتوراة، من سفر حزقيال (36: 26-27) [1].
- يبين الفاروقي عن حقيقة قيام طبقة جديدة من أنواع الكهنة اليهود، وهي طبقة الكتبة للتوراة، الذين يوقفون حياتهم على دراسة القانون، وتحليله، واستدل على ذلك بالتوراة، من سفر يوشع (38: 24-34) [2].
- يتحدث الفاروقي عن الأنشطة المحظورة في أيام السبت نقلاً عن المشناة (THE MISHNAH, SHABBATH, VII, 2) [3].

يتبين من خلال هذا العرض مدى الاهتمام الكبير الذي أولاه الفاروقي للتوراة، ومدى اعتماده عليها كمصدر مهم من المصادر الأساسية لدراسة اليهودية.

ب. المصادر الحديثة:

ركز الفاروقي كثيراً على كتب اليهود أنفسهم، إذ عمد إلى نقل أقوالهم بكل أمانة، قبل إخضاعها للتحليل، والنقد، ما يؤكد حرصه الشديد على التحلي بالموضوعية، التي لا تتحقّق إلا بفهم للدين اليهودي كما يراه أتباعه القدامى والمعاصرون، لا كما يفهمه هو، أو يفهمه المسلم بصفة عامة، وهذا هو المنهج الذي اتبعه في دراسته للأديان كما في منهجه لاحقاً، وكان اقتباسه من كتب اليهود الحديثة على النحو التالي:

- **كتب تتحدث عن عقيدة اليهود:**

اعتمدت دراسات الفاروقي لليهودية على الظاهراتية، لأنه يعتقد أن النقد يحتاج إلى الفهم أولاً، لذلك فقد سعى جهده لأخذ الدين اليهودي وعقائده المختلفة من معتنقيه وغيرهم من كتاب الديانات الغربيين، ومن أمثلة ذلك:

---

(1) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص7.

(2) انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص14.

(3) SEE :Christian Ethics, Ismail Al Faruqi p101.

- ينقل الفاروقي عن (جون برايت) في كتابه (تاريخ إسرائيل) (A HISTORY OF ISRAEL) أن اليهود حرفوا كثيراً في كتبهم حتى تنسجم مع الوضع الجديد في المنفى[1].
- في حديثه عن قيام الصهيونية، وتضحيتهم –المزعومة– في سبيل إعلاء قويتهم، وإيجاد وطن قومي واحد لهم، وهذا اقتباس عن (إسرائيل كوهين) في كتابه(الحركة الصهيونية) (THE ZIONIST MOVEMENT) [2].
- يرد الفاروقي على ما قاله (فرويد) حول شخصية موسى ﷺ، وما انطوت عليه من عقد نفسية حللها تحليلاً نفسياً، وهذ نقلاً عنه في كتابه (موسى والتوحيد) (MOSES AND MONOTHEISM) [3].

- **كتب تتحدث عن اليهود تاريخياً واجتماعياً:**

علم تاريخ الأديان قائم على التأصيل والفهم والنقد، من خلال تتبع الأفكار والعقائد المختلفة تاريخياً، ولذلك تجد أن الفاروقي كان من أبرع الباحثين في الكتابات التاريخية الدينية، خاصة الكتابات التي تتحدث عن اليهودية، في المناطق التي عاشوا فيها في البلدان المختلفة وفي الأزمان المختلفة [4]، وكذلك أيضاً براعته في عرضه في مسألة علم الاجتماع وتركيزه عليها، لما وجده من انعزال اليهود في مناطق خاصة، وتأثير النصوص التوراتية العنصرية عليهم وعلى من حولهم [5]، وربط هذه المصادر التاريخية والاجتماعية، مع علاقتها بعقيدة اليهود، وبيان ذلك من خلال:

- حديث الفاروقي عن أوضاع اليهود وأحوالهم في الولايات المتحدة الأمريكية، وانخراطهم في جميع أسلاكها الإدارية والدبلوماسية والعسكرية، وهذا الكلام نقلاً عن (يوسف بلاو)

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص8.

([2])انظر: المرجع السابق، ص119.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص9.

([4])انظر: المرجع السابق، ص14.

Christian Ethics, Al-faruqi, p52([5])

في كتابه (اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية) (THE JEWS OF THE UNITED STATES) [1].

- تحدث الفاروقي عن التنوع الموجود في الأسماء اليهودية، وبيان أصل تلك الأسماء وعلاقته بأصول اليهود، وذلك نقلاً عن، (سيسيل بوث) في كتابه (تاريخ قصير للشعب اليهودي) (A SHORT HISTORY OF THE JEWISH PEOPOL)[2].
- حديثه عن بداية التفكير الصهيوني عند اليهود، وأنه بدأ منذ الأسر البابلي وأن حلم العودة إلى أورشليم يطاردهم منذ ذلك الزمان، ونقل هذا عن (توري سي) في كتابه (تسجيل أحداث التاريخ الإسرائيلي) (THE CHRONICLES HISTORY OF ISRAEL) [3].
- نقل الفاروقي عن الصراع الحاصل بين الفرق اليهودية المختلفة، نقلاً عن (و.ف.ألبرايت) في كتابه (من العصر الحجري إلى المسيحية) (FROM THE STONE AGE TO CHRISTIANITY) [4].

- **مقالات وأبحاث معاصرة:**

استند الفاروقي- بجانب الكتب التي أوردها في دراسة اليهودية- إلى بعض المجلات العلمية والمقالات والأبحاث التي تحدثت عن اليهود، ومنها ما يلي:

- تحدث الفاروقي عن تاريخ اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك كما نقله من مجلة وثائقية تاريخية من جامعة كولومبيا في نيويورك (A Documentary History New York: Columbia University)[5].
- شرح الفاروقي وصول اليهود إلى سيناء ومدْيَن وتآلفهم، وتصاهرهم مع أهلها، وذلك نقلاً عن مجلة الدراسات القريبة من الشرق، طبعة 1948م (Journal Of Near Eastern Studies) [1].

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص37.

([2])انظر: المرجع السابق، ص40.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص77.

([4]) SEE :Christian Ethics, Ismail Al Faruqi p59.

([5])انظر: الملل المعاصرة في دين اليهودي، الفاروقي، ص36.

يتبين من العرض السابق مدى التنوع الذي استخدمه الفاروقي في الاستدلال على العقائد اليهودية المختلفة، ومدى عمق استدلالاته في هذا الجانب من الدراسة.

ثانياً: تقييم المصادر المعرفية عند الفاروقي في دراسته لليهودية:

تتنوع المصادر التي استند إليها الفاروقي في دراسته لليهودية، والتي أثْرَت دراساته ومقالاته، وبيان تقييمها على النحو التالي:

1- **أصالة المصادر:** اعتمد الفاروقي على المصادر الإسلامية الأصيلة، مثل القرآن الكريم، ومع أفضليتها من حيث الثبوت والمصداقية إلا أنه لم يكثر من الاحتجاج بهذه المصادر؛ نظراً لأن خطابه كان لأناس لا يؤمنون أصلاً بقداسة القرآن، ولا السنة النبوية، وكان استدلاله بالقرآن عبارة عن ترجمة لمعانيه، ولم يكن يستخدم النص القرآني العربي في كتاباته؛ نظراً لأن جمهور قرائه -غالباً- ممن لا يفهمون اللغة العربية، ولو أنه وضع نص الآية القرآنية، ثم ترجم معانيها لكان أفضل.
2- **دقة النقل والتوثيق:** يعتبر الفاروقي من الكتّاب المميزين في هذا المقام، نظراً لقدرته العالية على الحفظ والاستظهار، والقدرة المميزة على الاستدلال بالدليل في مكانه المناسب، ونظراً لأن كتابات الفاروقي كانت بالأغلب كتابات أكاديمية، على طريقة البحث العلمي، فإنه كان يوثق كل كلمة من المصدر الذي استقاها منه، هذا عند استدلاله من الكتب والدراسات الغربية، ويؤخذ عليه أنه في دراسته للأديان لم يكن يورد الكتب العربية التي أخذ منها أو استقى منها معلوماته.
3- **صوابيَّة الاستدلال:** نظراً لأن الفاروقي برع بعلم الأديان، وعلم تاريخ الأديان، وعلم الفلسفة، فإنه كان موفقاً في الاستدلال المناسب بالعبارات، حيث استدل على كل أمر من أمور الدين اليهودي من مصدره الخاص، سواءً عقيدتهم من الكتب العقدية عندهم، أو على تاريخهم من كتب التاريخ، وهكذا.
4- **عمق الفكرة:** لم يكن الفاروقي يطرح العقيدة الدينية عند اليهود إلا بعد أن يفند، ويشرح -بالتفصيل- البعد الزماني والتاريخي والأخلاقي والفلسفي لها، مما يأخذ بيد القارئ إلى فهم العقيدة الدينية على أوضح صورة، وهذا إنما يدل على عمق الفهم،

([1])انظر: أصول الصهيونية في الديانة اليهودية، الفاروقي، ص37.

وتبلور الفكرة في عقله للمسائل العقدية، وعلى القدرة العالية على استحضار المعلومات المختلفة.

يظهر مما سبق بيانه حالة التكامل المعرفي من حيث استخدام المصادر الأصلية، والأمانة في النقل والتوثيق مع التعمق في المضامين العلمية جوهر النقاش.

ثالثاً: منهج البحث والدراسة عند الفاروقي في دراسته لليهودية:

ارتكز الفاروقي في دراسته لليهودية على المنهج الوصفي التاريخي، حيث قام بسبر مضامين العقائد من حيث عرض أصول العقائد، وأسس التشريعات وتطورها، مع الاهتمام بتاريخ اليهودية في الأزمنة المتتالية، كما وصفت في التوراة وغيرها من الكتب المقدسة، ويتميز الفاروقي مع ما سبق بتتبع الأسلوب الغربي في البحث والتصنيف؛ حتى أكثر تأثيراً على ما عندهم من أفكار وعقائد باطلة، فوظّف عدة مناهج لتدعيم بحثه ، وسنذكرها كما يلي:

1- المنهج الظواهري (الفينومينولوجي):

اهتم الفاروقي كثيراً بهذا المنهج، وعد دراسته لليهودية دراسة ظواهرية، ولئن كانت كمنهج جديد، لكنها كممارسة تقتضي من الباحث أن يترك الظواهر تتحدث دون أن يتدخل، من خلال أفكاره المقررة سلفاً، وهو يشبه المنهج الوصفي، فالظاهراتية تقوم بالوصف أكثر من التحليل، حتى لا تدخل الذاتية في البحث أبداً، ولقد وظف الفاروقي هذا المنهج في دراساته، لسعيه لفهم الدين كما يفهمه أتباعه، وكما تعرضه كتبهم المقدسة، حيث استبعاد الأحكام المسبقة والتي ربما تقف عائقاً أمام مصداقية البحث العلمي الجاد [1] ، ومع هذا الإعلاء للمنهج الظاهراتي من قبل الفاروقي إلا أنه انتقد على اكتفاءه بالوصف، وابتعاده عن النقد، مع اعترافه بأن الوصف الذي تقدمه الظاهراتية متميز، غير أنه لا فائدة من الوصف بلا حكم، ولذلك فقد عدّ (التوقف) مرحلة منهجية أولى، تتبعها مرحلة (نقدية)؛ حيث يتم بعدها العمل بمنهجية منضبطة بمعايير تضمن أقصى درجات الحياد [2].

([1])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص25 ،26.

SEE :Christian Ethics, Al Faruqi, p11([2])

بناءً على هذا، وضع الفاروقي مجموعة من المعايير التي من خلالها يمكن تقييم ونقد ديانات العالم، متمثلة بما يلي:

أ- ضرورة وجود تناغم داخلي في الديانة الواحدة.

ب-وجوب التوافق بين الدين والمعرفة الإنسانية المتراكمة.

ج- انتفاء التعارض بين الديانات السماوية باعتبار وحدة مصدرها.

د- لزوم وجود نسبة بين الدين والواقع الإنساني، والقدرة على معالجة مشاكل الإنسان الواقعية [1].

2- المنهج التاريخي:

يعد أحد أهم المناهج التي اعتمدها الفاروقي، حيث ارتكز عليه في التأصيل التاريخي للقضية اليهودية والمسألة الصهيونية، ويتداخل هذا المنهج كثيراً مع المنهج الظاهراتي الذي كان أساس دراسة الفاروقي لليهودية، لكنه يتميز عنه بأنه يقوم بتتبع الظاهرة مجال الدراسة منذ نشأتها، ومراحل تطورها، ثم وصف وضعها القائم، بهدف تفسير الظاهرة زمانياً، أو المشكلة في سياقها التاريخي، واستخلاص النتائج المرتبطة بها؛ لتساهم في الفهم المتعمق لماضي الظاهرة، وهذا ما يوجد في كتاباته عن اليهودية حيث تتبع المسار التاريخي للحياة اليهودية، من المنفى إلى إنشاء الدولة [2]، ومن بداية نشوء النزعة الصهيونية الحالمة بالرجوع إلى فلسطين بعد السبي البابلي لهم إلى الرجوع إلى فلسطين [3].

3- **منهج ما وراء الدين في نقد الأديان:**[4]

وهو منهج اقترحه الفاروقي في نقد الأديان، ويعني به التقييم أو إصدار الحكم على الدين والنقد للمعتقدات الواردة فيه [5]. ويعتقد الفاروقي أن النقد للدين هو مقدمة لأي دراسة

SEE :Christian Ethics, Al Faruqi, p11-16.([1])

([2])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص120.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص77.

([4])يشبه إلى حد كبير المنهج الذي أشرنا إليه في الفصل التمهيدي بمسمى المنهج التحليلي النقدي، ولكن بمسمى يتناسب مع أساليب الدراسات الغربية، التي كان الفاروقي يوجه إليها دراساته ، ص21 من هذا البحث.

SEE :Christian Ethics, Al Faruqi, p10.([5])

مقارنة للدين تهدف إلى تحليله بغرض التقييم والتحليل النقدي [1]، والسبب في استدعاء الفاروقي لهذا المنهج، واستخدامه له يكمن في:

أ. قصور المناهج الظاهراتية والوصفية عن أغراض دراسة الأديان، لاكتفائها بالفهم والوصف، هذا إذا غُضَّ الطرف عن مدى صحة فهمها للدين المدروس، وهذا ما أكّده الفاروقي، ودعا إلى ضرورة إعادة النظر فيه[2].

ب. طبيعة علم تاريخ الأديان، واقتصار البعض فيه على البحث المقارن، وأنه لا يتعدى فهم جوهر دين الآخر إلى غير ذلك من الأغراض، وبالتالي لا يعدو كونه دفاعاً من الباحث عن عقائده والإعلاء من شأنها، في المقابل الحط من عقائد الآخر بشكلٍ أو بآخر[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الجديد الذي قدمه الفاروقي في طرحه؛ أنه أوجد طريقة تمكنه من الجمع بين أسلوبه الأساسي في الدراسة، وبين بحثه عن الموضوعية في دراسة الأديان، من خلال اعتماد إجراء التوقف، إلى حين فهم دين الآخر، ليتمكن بعدها من نقده، والحكم عليه حكماً مستفيضاً.

المطلب الثاني: الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند الفاروقي وتقييمها:

كانت دراسة الفاروقي للنصرانية أقل عمقاً من دراسته لليهودية، لكنها كانت مستوعبة للنصوص الدينية، والبدايات التاريخية المصاحبة لنشوء النصرانية في ظل الوجود اليهودي المهيمن على تلك البلاد، وكانت كتاباته عن النصرانية بعيدةً كل البعد عن الدراسات الجدلية التي تعيد إنتاج أجواء ثقافة الصراع التي صاحبت حروب الفرنجة، وبعيدةً عن الأحكام المسبقة التي تغلب على أكثر الكتابات الإسلامية، جاءت كتابات الفاروقي لتؤكد أن الفكر الإسلامي لا يزال قادراً على الولوج في الأفكار الدينية المختلفة، وقد استفاد الفاروقي من وجوده في أمريكا حتى يأخذ من المصادر الأصلية والتراثية التي يؤمنون بها، وحتى يعطي نموذجا جديداً عن الباحث الإسلامي المعاصر المتميز في مناهجه، وبيان ذلك على النحو التالي:

---

(1) SEE :Christian Ethics, Al Faruqi, p21.

(2) انظر: أطلس الحضارة الإسلامية اسماعيل ولمياء الفاروقي، ص25.

(3) SEE :Christian Ethics, Al Faruqi, p279.

أولاً: مصادر الفاروقي في دراسته للنصرانية:

1- المصادر الإسلامية:

دراسة الفاروقي للنصرانية أعدها بناءً على طلب من مؤسسة مسيحية [1] استشراقية، وفي معقل من معاقل التعليم المسيحي الغربي [2]،بمعنى أن المؤسسة طلبت منه الحديث حول موضوع الأخلاق وعدم الدخول في التفاصيل الجزئية في العقيدة، لذلك فإنه لم يستشهد بالمصادر الإسلامية إلا نادراً، لمراعات العقول التي تقرأ كتاباته، ومن ذلك نقله قول عيسى حول أنه بشر، وليس إله، من خلال استشهاده بالآية، التي يقول الله تعالى فيها: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم:30، 31][3].

2- مصادر نصرانية:

تمحور عمق دراسة الفاروقي للنصرانية حول الكتب النصرانية الأصيلة منها والتراثية، وأفاد منها في تدعيم مصادره البحثية، من خلال الاستشهاد بما يقدمه علماؤهم في هذا الإطار، وبيان ذلك بالآتي:

أ. مصادر أصيلة:

([1])يسمي الفاروقي النصارى في كتاباته بـ(المسيحيين) حتى أن كتابه في النصرانية كان بمسمى (الأخلاق المسيحية)، وسوف يتطرق إلى هذا الموضوع في الجزء المخصص بالحديث عن منهج الفاروقي في دراسة النصرانية، في الفصل الثالث من هذا الكتاب، وسيلتزم الباحث عند الاقتباس من كلام الفاروقي بتسميته كما هي.

([2])نحو علم مسيحيات إسلامي، الحافي، ص455.

([3]) SEE :Christian Ethics, Al Faruqi p74.

استفاد الفاروقي من الكتاب الإنجيل، حيث يستدل على العقائد في النصرانية، من خلال إسناد العقائد إلى شواهد عندهم، في كتابهم المقدس، وهذا من أقوى طرق الاستدلال، كما فعل عند دراسته لليهودية، ومن شواهد ذلك ما يلي:

- انتقد الفاروقي القول بأن جوهر النصرانية موجود في القاعدة: "فكل ما تريدون أن يعاملكم الناس به فعاملوهم أنتم به أيضاً"، واقتبس ذلك من الإنجيل، (متى: 12:7) [1].
- ذكر الفاروقي أن المسيح لن يأتي بميلاد كامل وجديد للعالم، ولذلك أخبر اليهود بأنه لا يرى ملكوت السماء بينهم، أي أنه لا فرق بين إنسان وآخر إلا بالعمل، ذكر ذلك من خلال استشهاده بالإنجيل (مرقص 3: 35) [2].
- نقل الفاروقي ما ذكر على لسان المسيح عيسى عليه السلام ، بما يفيد بأن المعنى المراد من الكنيسة بوصفها (مكان تجمع الرجال)، وهو ما ورد في (متى 17: 18) [3].

ب. مصادر حديثة:

أفاد الفاروقي من الدراسات الغربية النقدية المعارضة للنظرة المسيحية التقليدية للمسيح، وبيان ذلك على النحو التالي :

- روى الفاروقي قصة تحول الديانة المسيحية إلى القول بالتثليث، يروي ذلك عن (هنري بترسون) (Henry Patterson) في كتابه (وثائق عن الكنيسة المسيحية) (DOCUMENTS OF THE CHRISTIAN CHARCH) [4].
- في حديث الفاروقي عن بعض الفرق اليهودية التي قبلت الدخول في المسيحية، وانعزالهم عن باقي طوائف اليهود الأخرى، نقله عن (أدولف هارنوك) (Adolf Harnack) في كتابه (تاريخ الدوغمائية) (HISTORY OF DOGMA) [5].

SEE :Christian Ethics, Al Faruqi ,p83.([1])

SEE :Christian Ethics, Al Faruqi ,p91.([2])

SEE: Christian Ethics, Al Faruqi ,P248.([3])

([4])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص107.

([5])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص108.

- في حديثه عن الأعمال الممنوعة والمسموحة في يوم السبت المقدس عند اليهود ومقارنتها بما حدث بعد قدوم المسيح ﷺ، اقتبس الفاروقي من (باول رمزي) في كتابه (قواعد الأخلاق المسيحية) (BASIC CHRISTIAN ETHICS) [(1)].
- في نقده لتفسير موقف المسيح ﷺ من قضية الطلاق، نقل ذلك من (ر. هـ. تشارلنج) في كتابه (تعاليم العهد الجديد في الطلاق) (THE TEACHING OF THE NEW TESTAMENT ON DIVORCE) [(2)].

يتبين من خلال العرض السابق الجهد الذي بذله الفاروقي في دراسته للمسيحية، لكن دراسته للمسيحية لم تطن بذلك العمق المطلوب، هذا لأنها ركزت على الجوانب التي أرادها أن تصل للقارئين لها.

ثانياً: تقييم المصادر المعرفية عند الفاروقي في دراسته للنصرانية:

تتنوع المصادر التي استند عليها الفاروقي في دراسته لليهودية، والتي أثْرَت دراساته ومقالاته، وبيان تقييمها على النحو التالي:

1- **أصالة المصادر:** فقد اعتمد الفاروقي على المصادر الإسلامية الأصيلة، مثل القرآن الكريم، وذلك لأن خطابه كان لأناس لا يؤمنون أصلاً بقداسة القرآن، ولا السنة النبوية، ولأن دراسة الفاروقي للمسيحية قد أعدها بناءً على طلب من مؤسسة مسيحية استشراقية، وفي معقل من معاقل التعليم المسيحي الغربي.

2- **دقة النقل والتوثيق:** مثل ما كان من الفاروقي في دراسته لليهودية فقد تميز الفاروقي على قدرته العالية على الحفظ والاستظهار، والقدرة المميزة على الإتيان بالمعلومة في مكانها المناسب، فإنه كان يوثق كل كلمة من المصدر الذي استقاها منه.

3- **صوابيَّة الاستدلال:** نظراً لأن الفاروقي برع بعلم الأديان، وعلم تاريخ الأديان، وعلم الفلسفة، فإنه كان موفقاً في الاستدلال المناسب للعبارات، حيث الاستدلال على كل أمر من

([1])SEE: Christian Ethics, Al Faruqi ,P100.

([2])SEE: Christian Ethics, Al Faruqi p108.

أمور الدين المسيحي من مصدره الخاص، حيث الاستدلال على عقيدتهم من الكتب العقدية والتراثية عندهم.

4- **عمق الفكرة:** طرح الفاروقي البعد الزماني والتاريخي والأخلاقي والفلسفي للديانة المسيحية، حيث شرح تاريخ العقيدة المسيحية بعد أن شرح أساسها اليهودي، وما كان رد الفعل الأخلاقي اليهودي عليهم، لكن شرح العقائد المسيحية لم يكن بذلك العمق، حيث أنه اقتصر على أساسات معينة وبنى عليها بحثه ثم قام بشرحها شرحاً وافياً.

ثالثاً: منهج البحث والدراسة عند الفاروقي في دراسته للنصرانية:

الأساس المنهجي للفاروقي في دراسته للمسيحية كان المنهج الوصفي التاريخي، ليشابه تماماً المنهج الذي اتبعه في دراسته لليهودية، حيث المنهج الظاهراتي، ثم منهج ما وراء الدين لدراسة الأديان حيث لا يكتفي بالوصف فقط، بل بالوصف والنقد والتحليل، بغرض معرفة الحقيقة، حيث تبين هذا المنهج من خلال الأمثلة الآتية:

1- انتقد الفاروقي إظهار (متّى) المسيحَ عليه السلام معلماً للشرائع اليهودية، كما ترسخت هذه العقيدة في قلوب المسيحيين على مدار الأجيال المتعاقبة، وبين الخطأ في هذه العقيدة، من أن المسيح عليه السلام إنما جاء رسول من الله تعالى ليصحح مسار الدين الخاطئ الذي كان عليه اليهود، وليعيد بني إسرائيل إلى جادة الصواب[1].

2- تناول الفاروقي موضوع القيم القديمة والقيم الجديدة، وسعى إلى إبراز التباين القيمي في الروايات المسيحية عن المسيح عليه السلام، حيث أبرز الاختلاف الكبير بين الروايا المسيحية المختلفة عن المسيح من مكان لآخر، مما يعطي الشك في الروايات أصلاً [2].

3- سعى الفاروقي للرد على مروِّجي الصوفية الإسلامية، حيث يرى أن الاعتقاد بأن التصوف هو الذي يقرب المسيحية والإسلام، هو انحياز غربي فحسب، وسخَّر الفاروقي جهداً كبيراً في مناقشة أصول هذا التصور وانتقاده [3].

([1])SEE: Christian Ethics, Al Faruqi p92.

([2])SEE: Christian Ethics, Al Faruqi p89-99.

([3])SEE: Christian Ethics, Al Faruqi p136-140.

من خلال هذا العرض المقتضب عن مصادر الفاروقي وأساسه المنهجي يتبين التنوع الكبير في المصادر التي استخدمها في بحثه عن اليهودية والمسيحية، من خلال منهجه المتميز في البحث، حيث خلط بين المنهج الوصفي التاريخي الظاهراتي والمنهج التحليلي الذي أسماه منهج (ما وراء الدين)، ليخرج لنا بنتاج علمي بحثي مميز، مؤثر في كل من قرأه.

المبحث الثالث: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة الأديان عند أبي زهرة والفاروقي:

تميز أبو زهرة والفاروقي بكتاباتهما، ومصادرهما، ومناهجهما، حيث إن كل واحد منهما كان يتفق مع الآخر في أمور ويختلف في أمور أخرى، وهذا في دراستهما للأديان، وفيما يلي بيان لذلك.

المطلب الاول: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة اليهودية عند أبي زهرة والفاروقي:

تميز كل من أبي زهرة والفاروقي بجودة مصادرهما في دراسة اليهودية، من حيث الأصالة والعمق، وتميزا أيضاً بالمنهجية المختلفة، فلكلٍ منهما مصادره واقتباساته ومنهجه. وفيما يلي بيان لنقاط الاتفاق والاختلاف بينها:

أولاً: نقاط الاتفاق بين أبي زهرة والفاروقي في الأسس المعرفية لدراسة اليهودية:

1- اعتمادهما على المصادر الإسلامية الأصيلة في إثبات الخلل في العقيدة عند اليهود، وذلك من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية الدالة على ذلك.
2- اتفق أبو زهرة والفاروقي على الاستدلال بالكتب الأصيلة اليهودية عند نقد العقيدة اليهودية، ورجوعهم إلى التوراة التي عندهم كمرجع أساسي.
3- توافق أبو زهرة الفاروقي في قوة الاستدلال بالبراهين المناسبة للمسائل المتناولة، والموضوعة على بساط البحث والمناقشة.
4- اجتمع أبو زهرة والفاروقي على اتباع المنهج الوصفي، في دراستهما لليهودية، لكنهما صرحا على أنهما سيتبعان المنهج النقدي في القضايا التي تحتاج إلى إبداء رأي نقدي، سواءً في أمور العقيدة، أو غيرها.
5- تتبع كل منها المسار التاريخي لليهود؛ حتى تكتمل الصورة حول الديانة اليهودية، وتفهم الظروف التي أدت إلى الانحراف العقدي والأخلاقي عندهم.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين أبي زهرة والفاروقي في الأسس المعرفية لدراسة اليهودية:

تميز أبو زهرة والفاروقي في مصادرهما ومعارفهما المتنوعة في دراسة اليهودية، ولكن كان لكل منهما أسلوبه ومنهجه، وبيان الاختلاف بينهما على النحو التالي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- كان أبو زهرة يضع النص القرآني كما هو باللغة العربية، وذلك لأن جمهور قراء كتاباته من العرب.

ب-استدل أبو زهرة في أكثر من موضع بالأحاديث النبوية الشريفة.

ج-قلما استدل أبو زهرة بالكتب التراثية الإسلامية، وصرح في بعض الأحيان عن مصادره فيها.

د- لم يستدل أبو زهرة بالكتب اليهودية المعاصرة، لاكتفائه بما عند المسلمين من مصادر معرفية، ولأن أسلوبه في دراسته لليهودية لا يحتاج إلى هكذا نوع من الدراسات.

هـ-كانت دراسة أبي زهرة لليهودية غير متعمقة في النصوص الدينية كثيراً، كعمق دراسته للنصرانية، ونظراً لعدم كتابته كتاباً حول هذا الموضوع، أو أنه كتب كتاباً ولم يصل إلينا هذا الكتاب[1].

2- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- أجاد الفاروقي استخدام المناهج الغربية في دراسته لليهودية، كالمنهج الفينومينولوجي، وذلك بقصد التأثير الإيجابي على العقل الغربي.

ب-اعتمد الفاروقي على منهج أسماه (ما وراء الدين) من أجل التعديل على المنهج الوصفي الذي رآه غير كافٍ لدراسة الديانة اليهودية.

ج- اعتمدت جل دراساته على المخزون المعرفي اليهودي المعاصر، في إثبات تاريخهم، وتحريفهم للنصوص.

([1])يقال أن أبا زهرة ألف كتاباً عن عقيدة اليهود والنصارى وأسماه (أهل الكتاب) لكن الكتاب لم يطبع، ولم يصل إلينا. انظر: الشيخ محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية، عاشور، ص59.

د- كتاباته حول اليهودية كانت ذات عمق كبير، وتتصف بالبعد الزماني، والمكاني، والفلسفي، والأخلاقي، حيث لم يدع في هذه المجالات شيئاً إلا ذكره.

هـ-قلما يستدل الفاروقي بالكتب التراثية الإسلامية، وإذا استدل فإنه لا يصرح بمصدره.

و- نادراً ما يستدل بأحاديث عن رسول الله ﷺ، على الرغم من توسعه بحثياً في الدراسات اليهودية وهذا لأن جمهور قراءه ممن لا يؤمنون أصلاً بالقرآن ناهيك عن عدم إيمانهم بالأحاديث النبوية.

ز- يستدل الفاروقي بآيات القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، دون كتابة النص العربي الأصلي، وهذا يرجع لكون جمهور قرائه من الغربيين الذين لا يتقنون اللغة العربية.

لكن بالرغم من النقاط التي اختلف فيها أبو زهرة والفاروقي، إلا أنهما يعتبران عالمين جليلين في دراسة اليهودية، وكان لكتاباتهما عظيم الأثر على الأشخاص الذين تخصهم الدراسة، أو الكتاب.

المطلب الثاني: مقارنة بين الأسس المعرفية لدراسة النصرانية عند أبي زهرة والفاروقي

إن دراسة أبي زهرة والفاروقي للنصرانية كانت كاليهودية، متميزةً من حيث المصادر والمنهج المتبع في الدراسة، ولكن هناك بعض نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما، وبيانها بما يأتي:

أولاً: نقاط الاتفاق بين أبي زهرة والفاروقي في الأسس المعرفية لدراسة النصرانية:

1- أكثر أبو زهرة والفاروقي من الاستدلال بالنصوص الأصلية من مصادر الديانة النصرانية، حيث ظهر ذلك بشكل جلي عند التطرق إلى موضوع العقائد في دراستهما.

2- استعان أبو زهرة والفاروقي بالكتب الغربية النصرانية، في مقام المناقشة والإبطال للمفاسد العقائدية والتشريعية والأخلاقية.

3- تمتع كل من أبي زهرة والفاروقي بالقدرة العالية على الحفظ والاستظهار، وذلك يظهر في قدرتهما العالية بالاستدلال على الجزئيات التي لا يستطيع استنباطها إلا من حفظ النص حفظاً متقناً.

4- اعتمد أبو زهرة والفاروقي في دراستهما للمسيحية بشكل واضح على المنهج الوصفي التاريخي، والذي لا يخلو من التعليق والنقد في بعض الأحيان.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين أبي زهرة والفاروقي في الأسس المعرفية لدراسة النصرانية:

تميز أبو زهرة والفاروقي في مصادرهما ومعارفهما المتنوعة في دراسة النصرانية، ولكن كان لكل منهما أسلوبه ومنهجه، وبيان الاختلاف بينهما على النحو التالي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- أكثر أبو زهرة من الاستدلال بالمصادر الإسلامية الأصيلة، حيث كان القرآن الكريم أساساً في دراسته، لوضوح أوجه الاستدلال فيه، ولمصداقيته التي لا مثيل لها في أي كتاب آخر، ولموضوعية النقاش القرآني عند الحديث عن النصرانية ، وكذلك استدلاله بالأحاديث النبوية، لأن أغلب جمهور القارئين لكتاباته حول النصرانية –

والذين توجه لهم بالخطاب- هم من النصارى الشرقيين المتحدثين باللغة العربية، وبالأخص أقباط مصر.

ب-أكثر أبو زهرة بالاستعانة في الاستدلال بكتب التراث الإسلامي والتي اهتمت بتبسيط موضوع النصرانية، من كتب سير، وكتب تفاسير، مختلفة، وكتب فرق، وأديان، ولكن بأسلوبه وطريقته البحثية.

ج-تميزت كتابات أبو زهرة في دراسته للنصرانية بالعمق، ومعرفته بدقائق وخبايا النصرانية، لكونه مشاركاً لهم في البيئة المعيشية، حيث عاش معهم، ودرس عقيدتهم المرحلة في الجامعية.

2- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- أغفل الفاروقي الاستدلال يستدل بالمصادر الإسلامية الأصيلة إلا نادراً، وهذا للأسباب التي تقدمت من عجمة لسان جمهوره.

ب-استدلال الفاروقي بالكتاب المقدس عندهم كان بالنص الأصلي، مما أعطى بحثه عنهم قوة في الاستدلال، وعمقاً في المعنى.

ج-تميزت كتابه في المسيحية بحديثها عن الأخلاق المسيحية وتاريخهم القديم، وتطرق لبعض الأمور العقائدية ولكن ليس بالتفصيل الموجود عند أبي زهرة.

د- امتنع الفاروقي عن التصريح بمصادره في الاستدلال عند الاستدلال بمصادر من التراث الإسلامي، وقد كانت الاستلال من هذا النوع قليل جداً.

من خلال العرض السابق، فقد درس كل من أبي زهرة والفاروقي اليهودية والمسيحية، تميز أبو زهرة في دراسته للمسيحية وتميز الفاروقي بدراسته لليهودية، برع كل منهما في الأمور الأساسية في البحث، اتفقا في الكثير من النقاط واختلفا في بعضها، وأنتجا في النهاية نتاجاً علمياً دينياً باهراً.

الفصل الثاني

مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة الدين اليهودي

المبحث الأول: منـهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة الديانـة اليـهوديـة:

لكل قوم نشأة، تتحدث عن أصالته، وتجذر أخلاقه، وعاداته، وثقافته عبر التاريخ والأجيال المتلاحقة. ومن هذه الأقوام اليهود، كأحد مكونات البشر القديمة، والتي لها عنق زمني، ومزاج خاص، جعلتها تمر بأحداث متلاحقة، لها أثرها على من عاش معهم، سواءً بالتشديد عليهم أو بالرفقة والمجاورة، مما لفت انتباه المفكرين، كأبي زهرة والفاروقي الذين أفردا مساحة في كتابهما عن اليهود، بتفاوت بينهما، وهذا ما سيتم بيانه بما يلي:

المطلب الأول: منـهج أبي زهرة في دراسة نشأة اليـهودية:

تحدث أبو زهرة عن اليهود في العديد من كتاباته ولكنها لم تكن بذلك التفصيل، أو العمق المعرفي، وجلها تمحورت في توصيف أخلاقهم، وبيان مدى إفسادهم وفسادهم، وفي ذلك يقول: "إن اليهود هم خلفاء إبليس في هذه الأرض، وهم أداته التي يستخدمها لإغواء البشر، وهم الذين يتخذ منهم الأعوان والحزب، وهم في كل بلاد يدخلونه يكونوا دخلاء فيه، لا ينتمون إلى جنسيته، ولهم رباط خاص، يجتمعون به على عداوة الناس"[1]، وركز أبو زهرة في عرضه لليهودية على الوقوف على بعض الجزئيات المهمة في تاريخهم؛ حتى تُفهم العديد من القضايا الجوهرية في عقيدتهم التي هي محل الدراسة، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: بيانـه سبب التسميـة:

خاض أبو زهرة في بيان سبب تسمية اليهود بهذا المسمى، حيث أنه يقول: "كلمة (يهودية) نسبةٌ إلى (يهوذا) وهو نبي الله يعقوب عليه السلام "[2]، لكن عند التحقيق تجد أن يعقوب عليه السلام

([1])اليهود اليهود(1)، أبو زهرة، ص605.

([2])ندوة لواء الإسلام الديانات السماوية، أبو زهرة، ص191.

لم يُسمِّ يهوذا بل سمي إسرائيل، وإن يهوذا هو ابن يعقوب عليه السلام[1]، وربما كان خطأً مطبعياً، أو من سبق اللسان من أبي زهرة لأن العبارة وردت في محاضرة.

لكن هذا ليس الرأي الوحيد في المسألة، فمن الأقوال الأخرى في معنى اليهود:

1- قيل إنه نسبة إلى المعنى اللغوي، وهو من الهود أي التوبة والرجوع، وذلك نسبة إلى قول موسى عليه السلام لربه: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156] [2].

2- وقيل نسبة إلى دولة يهوذا التي كانت في فلسطين بعد سليمان عليه السلام، وهذا المسمى أطلق عليهم بعد فترة السبي البابلي[3].

ويعتبر اختيار أبي زهرة -الذي ذكر ابتداءً- هو أقرب الأقوال إلى الصواب والعدل، ويمكن تعليل عدم إيراده للأقوال الأخرى، ربما لأن المقام لم يتسع لذلك، لأنه ذكر هذا القول في أثناء حديثه في محاضرة.

ثانياً: بيانه للاستقراء التاريخي لحياة اليهود:

بدأ أبو زهرة بذكر أصل اليهود، وذلك بذكر تفاصيل نشأة اليهود التاريخية، وقد بين ذلك كما يأتي:

1- سرده لتفاصيل حياتهم في الفترة المصرية:

ابتدأ أبو زهرة الحديث عن النشأة اليهودية من مصر، حيث كانوا يعيشون في مصر مستعبدين ذليلين على يد فرعون مصر في ذلك الوقت، وبيّن طريق نجاتهم من تلك المحنة، وإغراق فرعون وجنوده، ثم تطرق إلى طبيعة تصلب عقل اليهود من خلال طلب اليهود إلى موسى أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله عليهم أن يدخلوها، فتمردوا على قول الله بحجة

([1])انظر: رسالة في الأديان والفرق والمذاهب، الحمد، ص74.

([2])انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج3 ص439.

([3])انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف، ص35.

أن فيها قوماً جبارين، ثم كشفوا عن دفائن قلوبهم بقولهم لموسى عليه السلام ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24] [1].

وعند التمعن في عرض أبي زهرة لهذه المسألة، تراه قد أغفل القضية التي من أجلها دخل اليهود إلى فلسطين ولا سبب خروجهم منها، واكتفى بهذه الإشارة المقتضبة عن هذه الفترة الزمنية، وهذا ربما للسبب الذي أسلفناه أن دراسته لليهود كانت عبارة عن محاضرات، وإجابات لأسئلة، ولم يتسع المقام لسرد كل هذه الإيضاحات.

2- ذكره حالهم في فترة التيه ودخولهم إلى فلسطين:

يذكر أبو زهرة المحاسن التي كانت في حياتهم في التيه، وقد أشار إلى الحكمة من وجودهم كل هذه الفترة في التيه، وهي كيف أن الله في هذه الفترة مهدهم للحياة الجديدة، وصقلهم على تحمل الأعباء في صحراء سيناء طوال أربعين سنة، وذهب جيل كامل ممن كانوا يرضون بحياة الذلة والمهانة، ويأتي جيل جديد امتلأت نفوسهم بأساً وقوة، حيث وضح القرآن بعض معالم هذا الجيل لما طلبوا من نبيهم أن يبعث فيهم ملكاً، ليقودهم إلى المواطن التي فيها العزة والكرامة، لكن هذه الحمية والفتوة هي مؤقتة وغير حقيقية، ولها أهداف أخرى، بدليل أنه لما حمي الوطيس وكان الجد بعد اللعب، لم يصمد منهم إلا القليل، واختلفوا في كل شيء، ثم انتصرت الفئة المؤمنة القليلة على العدو الظالم، ودخل اليهود إلى الأرض المقدسة بقيادة داود عليه السلام، ثم من بعده لابنه سليمان عليه السلام، وكوَّنوا دولة واسعة، أظهرت الأيام فيما بعد أن الخير فيهم كان قليلٌ دائماً [2].

نخلص مما سبق أن أبا زهرة استدل على حالهم في فترة التيه، من القرآن الكريم، وكذلك فإن قصة تكوين الدولة القوية، دولة داود وسليمان عليهما السلام، مذكورة في التوراة، بما يؤكد اعتماد أبا زهرة على المصادر الأصيلة في ذكر تاريخهم في التيه، من القرآن والتوراة، ولكنه في كلا الحالتين لم يصرح بالمصدر، ولو صرح بمصدره لكان أقوى استدلالاً.

---

(1)انظر: اليهود اليهود(1)، أبو زهرة، ص608.

(2)انظر: اليهود في القرآن(2)، أبو زهرة، ص336-339.

3- **ذكره أحوالهم في المنفى:**

يشرح ذلك أبو زهرة بأن اليهود بعد استقرارهم في فلسطين، وتحقيقهم لحلم الدولة، كانوا يعانون من فسادٍ في العقيدة والأخلاق فتتابع نزول الأنبياء إليهم، ليحاولوا هدايتهم وإعادتهم إلى الصواب[1]. توالت عليهم المذابح والتشريد والقتل، عقداً بعد عقد، حيث ثبت في تاريخهم أنه بعد أن قتل داود جالوت، وآتى الله داود عليه السلام حكم بني إسرائيل، ثم خلفه من بعده ابنه سليمان عليه السلام، واتسع ملكه، واستولى على اليمن، وقدمت إليه ملكتها، وسخر الله تعالى له كل شيء. جاء من ذريته من كان سبباً في انقسام الاثنا عشر سبطاً، إلى سبطين سيطرت في حكمهما الوثنية، والعشرة الآخرون ترددوا بين الوثنية أحيانا قليلة والوحدانية أحياناً كثيرة، واستمرت مملكة بني إسرائيل نحوا من ألف وخمسين ومائتي سنة، وفي نهاية فسادهم أغار عليهم ملك آشور[2] وفتح السامرة، وأغار على السامرة، وسباهم إلى آشور[3]، وأحل محلهم قوما من بلاده. وبعض من الأسباط الذين انفصلوا استمر ملكهم أمداً حتى انقض عليهم (بختنصر)[4]- ملك بابل[5]-

(1)انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص18.

(2)هو الملك شلمنصر الخامس (727-722ق.م)

(3)المملكة الآشورية: هي مملكة نشأت في ما بين النهرين استمرت منذ سنة 934 ق.م. وحتى سنة 609 ق.م، نافست هذه المملكة كل الممالك على زعامة العالم القديم، وأصبحت أقوى إمبراطورية في العالم القديم بعد أن تمكنت من الانتصار على هذه الممالك، واستمرت هذه الإمبراطورية حتى سقوط عاصمتها نينوى بيد البابليين والميديين سنة 612 ق.م. انظر: انظر: قصة الحضارة، ديورنت، ج2 ص264-298.

(4)بختنصر: نبوخذ نصر الثاني، (630-562ق.م)، ملك بابل الكلداني، مؤسس الإمبراطورية الكلدانية، ويعتبر أعظم ملوك هذه الإمبراطورية، دمر بيت المقدس عام 605ق.م، وأسر اليهود واستاقهم إلى بابل. معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص453.

(5)المملكة البابلية: تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق. فظهرت ما بين القرنين 18ق.م. و6 ق.م. وكنت تقوم علي الزراعة ، وكانت بابل دولة أسسها حمورابي عام 1763ق.م. وهزم آشور عام 1760 ق.م. إلى أن استولي الإمبراطور الفارسي قورش علي بابل عام 500 ق.م. وضمها لإمبراطوريته. انظر: قصة الحضارة، ديورنت، ج2 ص187-195.

فسباهم وقتل من قتل وحرق التوراة، وبذلك انقرضت مملكة بني إسرائيل وأقام اليهود في بابل. ثم جاء الإسكندر المقدوني [1]ومن بَعدَه[2].

ويعلل أبو زهرة المذابح، وحالات الطرد الجماعي الذي تعرض له اليهود على مدار السنين من خصوم اليهود، كان من أجل حماية أقوامهم من شرور اليهود، المتمثلة بالانحرافات الأخلاقية التي ينشرونها بين المجتمعات التي يعيشون فيها، وخيانتهم للعهود، كما حدث مع الدولة الإسلامية الوليدة في بداية العهد النبوي بعد الهجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة المنورة[3].

هكذا كان تحليل أبي زهرة لحياة اليهود على مر العصور التي عاشوها، حيث شرح أبو زهرة ميل أغلبهم إلى العزلة عن المجتمعات التي عاشوا فيها، مما يسبب حالة من الشك فيهم، ثم ضبط العديد من حالات الفساد والإفساد، التي تؤدي في النهاية إلى قتالهم وطردهم في أغلب الأحيان، وهذا يعطينا لمحة عن قدرة أبي زهرة في ربط الأحداث بالواقع، مع التزامه بالمذهب الوصفي.

4- تفصيله حالهم في ظل دولة الإسلام في المدينة:

تحدث أبو زهرة عن حياة اليهود في ظل دولة الإسلام، فحياتهم كانت قائمة على النفع المتبادل، طالما التزموا بالاتفاق المبرم معهم، ولم يخِلُّوا فيه، لقد التزم رسول الله ﷺ والصحابة بحق الجوار، فعقد النبي ﷺ حلفاً مع اليهود، جعل فيه له ما لهم، وعليه ما عليهم، وتعاهد معهم على البر والتقوى، لا التعاون على الإثم، وأنهم في أحيائهم متعاونون على دفع الإثم، و الجاني الذى يجب عليه الدية، وفي الجملة أعطاهم الحرية والحماية، وعقد عقداً ملزماً، ولكن الحسد كان يسكن قلوبهم، من أن الرسول ﷺ الذى بُعث من غير ولد إسحق عليه السلام وكان من ولد إسماعيل عليه السلام، وقد كانوا يعرفون أن نبياً سيبعث، فلما جاءهم الخبر أنه النبي المرسل من الله، وأنتهم

([1])الإسكندر الأكبر،(المقدوني) ابن فليب الثاني (356-323ق.م)، يعتبر أحد عباقرة الحرب في كل العصور، بسط سلطانه على بلاد اليونان ومصر وبابل وأطاح بالإمبراطورية الفارسية ، وتوفي في بابل، وهي أحد المدن التي بناها، ومنها مدينة الإسكندرية بمصر والتي دفن فيها، معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص56.

([2])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج8 ص4335-4336.

([3])انظر: اليهود اليهود (2)، أبو زهرة، ص720.

العلامات من التوراة المؤكدة على ذلك، ازدادوا كفراً، وكلما وجدوا آيات النبوة من خلال معجزاته ﷺ زادتهم طغياناً وضلالاً، فلما انتصر النبي ﷺ ازدادوا ضيقاً، وظنوا أن الدائرة من بعد ستدور عليهم، فأرادوا بغريزة حب البقاء أن يعملوا عملاً يظنون فيه بقاءهم، لكيلا يجد المسلمون السبيل لإخراجهم، واتحدوا مع المشركين ممن بقوا في المدينة المنورة، وحملوا أولئك على أن يظهروا الإيمان، ويخفوا الكفران إذ أوعزوا إليهم بخلقهم، الذى اشتهروا به في ماضي أمرهم ونفذوه في حاضرهم، أغروا بعض العرب ممن بقي على الوثنية، وأظهر بعضهم الإيمان نفاقاً، ببث الوهن في قلوب المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، وأن تنتصر الثلة المؤمنة، على الكفر والعصيان، وينتصر رسول الله ويتم الله أمره، ويطرد اليهود من جزيرة العرب شر طرد، حتى لا يبقى مشرك فيها، بعد أن عادو النبي ﷺ، وناصروا أعداء الإسلام، فاستحقوا كل ما فعل بهم [1].

مما سبق يتبين أن أبا زهرة لخص ما حدث مع اليهود في ديار الإسلام، بهذا العرض المقتضب، الشامل لمعظم التاريخ القديم الذي عاشوه نشأوا فيه، وبين فسادهم، وأن المذابح التي خضعوا لها لم تكن من باب المذابح العرقية، التي يقتل الإنسان فيها من أجل جنسيته أو نوع دمه، بل هذه كانت جراء ما اقترفته أيديهم، وما حاكه مفكروهم من مؤامرات على كل الاقوام الذين عاشوا بينهم.

5- **توضيحه لمكر اليهود في الزمن الحاضر:**

أثبت أبو زهرة في كثيرٍ من الأحيان فساد اليهود الأخلاقي، بشتى الطرق، فمن خلال تفسيره لتحكمهم برأس المال في العالم، وفي الصحافة العالمية، ونشر الملاهي الليلية الماجنة، والانحلال الأخلاقي ونشر المبادئ المنحرفة في الاجتماع والدعوة إلى العري والتبرج، ثم الدعوة إلى المذهب الشيوعي والتفكير في نشر الخراب وبث الفرقة الدائمة بين الشعوب في العالم، ومحاولة جعل المسيحيين ينسون القاتل الحقيقي للمسيح-حسب دعوى النصارى-، وجعلهم يعتقدون أن اليهود مسالمون كالملائكة في الأرض، يحاول اليهود بهذه الوسائل بث الأخلاق

([1])انظر: خاتم النبيين، أبو زهرة، ج2 ص577-578.

اليهودية مع حفاظهم على مجتمعهم محمياً مما يبثوه في الناس من مفاسد[1]. وكما يقول أبو زهرة " فما من ظلمٍ إلا أيدوه وما من حق إلا قاوموه"[2].

6-استنباطه للحلول التي تعيننا في التغلب على استبداد اليهود:

لم يكتف أبو زهرة من عرض حبائل اليهود مكائدهم التي لا تخفى على عاقل، بل أعطى الحل والمنهج الذي يجب اتباعه للتخلص من شرورهم ومن حبائل مكرهم، ومن الحلول التي اقترحها:

أ- إعداد العدة الحربية للمواجهة القادمة المحتمة.

ب-أن نجعل مواردنا في أيدينا لا في أيدي غيرنا.

ج- أن نعمل على طرد الأخلاق الفاسدة التي سرت بيننا منهم، بالعودة إلى دين الله تعالى[3].

لكن هناك بعض الحقب الزمنية والتي لها تأثير على اليهود وعلى مسيرتهم في صفحات التاريخ والتي لم يذكرها أبو زهرة، ربما لأن المحاضرات التي ألقاها عن اليهود كان موضوعها، حول العقيدة أكثر من التاريخ، أو لأنه لم يرد أن يدخل الجدل التاريخي؛ لأنه يعلم أنه لا ضابط لصحة الأقوال التاريخية المختلفة، فهو خريج مدرسة القرآن والحديث، التي لا تعترف إلا بالصحيح من المرويات.

([1])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص720.

([2])اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص720.

([3])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص723.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة اليهودية:

أكثر ما يميز الفاروقي في كتاباته في الأديان قدرته العالية على نظم السياق التاريخي للأديان المختلفة، فإن الفاروقي كما أنه عالم أديان فإنه عالم تاريخ، وخاصة التاريخ المرتبط بالأديان المختلفة. وقد كان للفاروقي منهج حتى في تسمية اليهود، وبيانه بما يلي:

أولاً: بيانه سبب التسمية:

اهتم الفاروقي في عرضه لليهودية في التعريف بالمسميات التي أطلقت عليهم، وقد أورد المسميات وقام بشرح الأسباب التي من أجلها أطلقت هذه المسميات، وبيان ذلك بما يلي:

1- **الاستقراء التاريخي لمسمى (الدين اليهودي):** بين الفاروقي أن عبارة الدين اليهودي أطلقت على الطقوس الدينية التي كان يمارسها سكان مدينة (يهودا) الذي سبوا من أورشليم إلى بابل عام 587ق.م، وأطلق هذا الاسم في المنفى فقط، ولم يكن معروف قبل ذلك، وهي عبارة جغرافية صرفة، ولم تطلق على اسم تلك الدولة إلا بعد انفصال الشمال عن الجنوب، وقيام دولة (إسرائيل)[1] في الشمال، و دولة (يهودا)[2] في الجنوب والتي كانت تضم القدس[1].

([1])المملكة الشمالية (يسرائيل– إفرايم): كما كانت تُسمَّى أحياناً (السامرة) نسبة إلى عاصمتها. وكانت تقع حسب الرواية التوراتية والمدونات التاريخية على بحيرة طبرية، وتضم نهر الأردن والضفة الغربية ومنها نابلس وأجزاء من الضفة الشرقية والجليل. وكان لهذه الدولة على خلاف المملكة الجنوبية، كما أن مساحتها كانت تبلغ ثلاثة أضعاف مساحة المملكة الجنوبية. وكانت قبيلة إفرايم من أهم قبائل هذه المملكة، ولهذا سُمِّي اتحاد هذه القبائل باسمها. وبدأ تاريخ المملكة الشمالية حينما بايعت القبائل العبرانية العشر يُربعام ملكاً، رافضةً إعطاء البيعة لرُحبعام بن سليمان الذي نُصِّب ملكاً على قبيلتي الجنوب. كانت المملكة الشمالية أكثر أهمية من الناحية السياسية والاقتصادية. ومع هذا، كانت تتنازعها الخصومات إذ لم يكن لها مركز ديني قوي مثل القدس، ولم تكن عبادة يهوه القومية راسخة فيها. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، ج10 ص491.

([2])المملكة الجنوبية (يهودا): بعد موت سليمان عام 928 ق. م وانقسام اتحاد القبائل العبرانية إلى مملكتين، سُمِّيت المملكة الجنوبية «يهودا» لأنها ضمت قبيلتي يهودا وبنيامين، وهما القبيلتان اللتان بايعتا رُحبعام بن سليمان ملكاً، كانت القدس عاصمة مملكة يهودا التي تقع حول البحر الميت، وقد ظهر في المملكة الجنوبية

وقد عرف الفاروقي اليهود بناءً على الأصل التاريخي لدولة يهودا، وكما قلنا أن هناك جذور أخرى للكلمة. وقد ربط الفاروقي التسمية على المكان فقط.

2- **الاستقراء التاريخي لمسمى الدين العبري:** فقد بين الفاروقي أن الدين العبري هو ما كان يدين به اليهود قبل سقوط (أورشليم) بيد البابليين، ولم يكونوا يعرفون باسم اليهود بل باسم العبرانيين، سواءً مواطنو دولة يهودا أو مملكة إسرائيل بعد انفصالهما عام 922ق.م[2].

يخلص الفاروقي بهذه التسمية إلى أن اليهود لهم مسميان، المسمى الأول: ما كان قبل الأسر البابلي، وهو العبرانيون، وما كان بعد الأسر البابلي: بمسمى اليهود. وقد أكد على أن أصل التسمية هي العبرية، ثم استطرد الفاروقي بربط الأحداث التاريخية حول نشأة اليهود وديانتهم وأحوالهم المختلفة، من نشأتهم الأولى إلى الزمن الحاضر.

ثانياً: تحليله حياة اليهود عبر التاريخ:

تحدث الفاروقي عن اليهود وعن منشأهم وعن حياتهم، حيث بدأ بذكر حالهم من العهد الأول لنشأتهم، وبيان ذلك على النحو التالي:

1- ذكر تفاصيل حالهم في المرحلة الأبوية (1700ق.م):

بدأ الفاروقي بذكر التاريخ اليهود من الأصل البعيد، أي من زمن إبراهيم عليه السلام ، ويعني الفاروقي بهذه التسمية (الأبوية)، أي: تعلق اليهود بالله تعالى، وأنهم كانوا يحسبونه أباً لهم، يعود إليهم كما يعودون إليه، ومن أصرح الأدلة على ذلك التي استدل بها الفاروقي، هو "إشارتهم إلى أنفسهم بصفة (أولاد الله)" [3].

مُعظم الأنبياء ودُوِّن فيها معظم العهد القديم، كما احتفظت فيها ديانة يهوه بدرجة أكبر من النقاء. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج10 ص481.

(1)انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص7.

(2)انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص8.

(3)أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص100.

يعقب الفاروقي على ذلك فيقول "لا يعرف سوى القليل عن حياة اليهود العبرانيين الدينية خلال العصر الأبوي، باستثناء نأيهم بأنفسهم عن مجتمع الشرق الأدنى القديم" [1].

ثم يذكر الفاروقي بعض التفاصيل عن اليهود بعد ذلك العصر بقليل، حيث إن يعقوب وقبيلته جاءوا إلى (شكيم)[2] مهاجرين في القرن الثامن أو التاسع عشر ق.م، وقد دلت الآثار على أن شكيم هدمت وأحرقت في تصديها لإحدى هذه الهجرات، وهذا قد يكون فعل يعقوب وقبيلته المذكور في التوراة، ثم هناك آثار تدل على استغاثة حاكم المنطقة بفرعون من أجل إعادة النظام الذي حطمه البدو المهاجرون الذين عرفهم المؤرخون بالبدو المهاجرين، وفي شكيم استأجر يعقوب ﷺ قطعة أرض من ملك شكيم كي يقيم عليها مع قبيلته، ثم تزوجت ابنة يعقوب من أمير المدينة ابن الحاكم دون استئذان أهلها، واستغل أبناء يعقوب هذه القصة حتى يقنعوا الملك والشعب بالاختتان، كي يصبحوا مع اليهود شعباً واحداً فيتزوجون من بناتهم، ويسكنون جميعاً إخوة في أرض شكيم، ثم لما اختتنوا جميعاً وتألموا هجم على المدينة أبناء يعقوب ﷺ، وقتلوا جميع رجالها، وسبوا ونهبوا كل ثروتهم.

يعقب الفاروقي على هذه القصة: ما حصل مع الأمير ليس غريباً، ولا عار فهكذا كانت العادة المتبعة في ذلك العصر، أنه إن عاشر فتاة غير متزوجة وجب عليه الزواج بها، فإن فعل ودفع شيئاً لأهلها لا لوم عليه. وكان الشكيميون وأميرهم على استعداد لمطلب الختان إرضاءً لأميرهم، ولتقبل المهاجرين إخوة لهم في وطنهم، وفوجئ الإسرائيليون بتنفيذ الشكيميين لهذا المطلب، ودخولهم في الديانة الإسرائيلية تعتبر عند اليهود جريمة لا عقاب لها إلا القتل والإبادة، والمبدأ العنصري القائم عليه واضح [3].

تدلُّنا القصص الواردة من ذلك العصر على مقدار الوحشية والعنصرية التي كان يتمتع بها اليهود من ذلك الوقت، هذه العنصرية هي التي ستستمر مع اليهود في كل الحلقات التاريخية التي سيمرون عليها في تاريخهم.

([1])أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص99.

([2])وهي تقع اليوم في أراضي قرية بلاطة بجوار نابلس.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص28-29.

يشرح ذلك الكلام الفاروقي فيقول" كانت العنصرية هي السبب الأساسي في عدم انصهار العبريين في ديار الشام ونزوحهم عنها إلى مصر، وكانت بداية ذلك أيام المجاعة التي سبقت رحلة بني يعقوب إلى مصر، وملاحقة الفلاحين لهم لترحيلهم، ويذكر أن هناك من اليهود البدو ظلوا مستقرين في فلسطين، والبعض منهم هاجر إلى مصر، وأن الذين استقروا هم الذين اندمجوا مع محيطهم، وأن الذين هاجروا هم العناصر الأكثر عنصرية، -وأبناء يعقوب ليسوا إلا آباء القبائل اليهودية، وأسماء الرجال هي أسماء القبائل "[1].

هذه العنصرية هي التي أزالتهم من بلادهم ليدخلوا بلاداً أخرى غريبة عليهم ويعيشوا فيها فصولاً أخرى من العنصرية والكراهية لكن على نطاق اوسع.

2- ذكر تفاصيل حالهم في الفترة المصرية (الموسوية)(1250ق.م):

ثم يشرع الفاروقي بالحديث عن أهم الفترات في حياة اليهود، والتي يسميها بالفترة بـ(الموسوية)؛ لأنها تدور أخبارها حول شخص نبي الله موسى عليه السلام، وهو الذي خلصهم من سنين الاستعباد الفرعوني لهم [2]، ثم يتحدث الفاروقي عن أن اليهود بعد خروجهم من فلسطين واستقرارهم في مصر، لم تندمج هذه القبائل في المحيط المصري، رغم تكريم المصريين لهم، ورغم ما حصلوا عليه من نفوذ، ففضلوا العزلة والانفراد إلى أن جلب لها ذلك الاضطهاد والطرد [3]، ومن أهم الأسباب التي بين الفاروقي أنها هي التي أدت إلى طردهم من مصر: **(صفتهم بالحنيفية)**. فيشرح الفاروقي ذلك بأن هذه الطائفة من اليهود لا بد وأن يكونوا قد تقدموا لفرعون بمشروعهم عن وحدة العالم والبشر، ويسألوه أن يسمح لهم بمتابعة دعوتهم في أرض مصر، ولما لم يسمح لهم بذلك، فضلوا الخروج إلى الشرق حيث مشاركة أقربائهم من نفس الإيمان والفلسفة،

([1])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص31-32.

([2])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص100.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص31-32.

وتغيير (رمسيس الثاني) [1] لرأيه ولحاقه بهم ليرجعهم إلى مصر كان ناتجاً عن اعتبار الإذن للخروج فقط للحنيفيين، وأن العنصريين منهم لا يستحقون مثل هذا الحل، وعلى كل حال فقد خرجوا جميعاً من مصر بقيادة موسى ونجوا من فرعون حوالي سنة 1280ق.م.

ولما وصلوا إلى سيناء ومدين، تآلفوا وتصاهروا وتعاهدوا مع أهلها، ونتج عن ذلك ما يسمى بالحلف القبلي، وهو حلف القبائل العبرية مع جميع القبائل التي كانت تسكن شمال غرب الجزيرة العربية، وجنوب فلسطين، وصحراء سيناء، وهم جميعاً من أصل واحد، وثقافة واحدة، ولهم تراث واحد، وهناك درجات من التطبُّع بالبيئة الكنعانية، أو البيئة الصحراوية التي نزلوا فيها[2].

هذا التحليل التاريخي الاجتماعي العميق للفاروقي، حيث أنه ذكر الأحداث التاريخية التي حدثت مع اليهود بكل تفاصيلها، ينقصه ذكر الأمر الإلهي لموسى بالخروج بهم من مصر إلى مكان يستطيعون فيه عبادة الله دون التضييق عليهم من جنود فرعون.

3- تفاصيل حياتهم في فترة التيه (بعد الخروج من مصر) ودخولهم فلسطين:

يذكر الفاروقي خروج اليهود من مصر بقيادة موسى عليه السلام ، واندماجهم كلياً مع قبائل سيناء ومدين وشمال الجزيرة العربية، وتصاهرهم معهم، وصاغوا رؤية جديدة لدينهم، احتفظت بعدد من الخصائص أهمها: الإله (يهوه)، إله الجبل الذي في رأسه نار، لكن العنصرية اليهودية لم تكن تسمح بمثل هذا الانصهار، إلا إذا افترضنا وجود الحنفية[3]،هذا الاندماج الذي لم يألفوه، لم يدم طويلاً، لأنه أخذوا يحاولون بكل الطرق الممكنة العودة إلى فلسطين من جديد. فيشرح الفاروقي السبب الذي دفع اليهود إلى الدخول إلى فلسطين: أنهم كانوا يتطلعون إلى حياة أفضل

([1])رمسيس الثاني: (توفي عام 1237ق.م) وهو ثالث ملوك الأسرة المصرية التاسعة عشر، ويعتبر أعظم ملوك فراعنة مصر قاطبة، خاض حربا طويلة ضد الحيثيين احتل خلالها جزءً كبير من إمبراطوريتهم. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص208.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص36-38.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص33-34.

من حياة البادية والصحراء التي عافوها، ولن يستطيعوا العودة إلى مصر ورخائها المفقود، بعد أن تلبسوا بجرم السلب والنهب.

فتقدمت قوى الحلف القبلي –الذي تزعمه العبرانيون من قبائل سيناء والنقب ومدين– نحو فلسطين واحتلت مدينة (قادش) –جنوب بئر السبع– وبقيت فيها زهاء خمسين سنة، إلا أن أسقطوا القرى القبلية بالسيف، ولم يستطيعوا التقدم نحو الشمال لوجود (العماليق) [1]، إلى أن جاء جيل جديد أكثر حيلة ودهاءً حول نظره عن جنوب وسط فلسطين حيث يسكن العماليق، ومناطق الفلسطينيين في الجنوب الغربي، والكنعانيين في الجنوب الشرقي –وكلهم قبائل أشداء أقوياء محصنين– إلى شرق الأردن، واستقروا هناك أكثر من مائة سنة. انضمت بعد ذلك قوى جديدة إلى هذا الحلف مما جعله يسيطر على معظم الأراضي الجبلية شرقي الأردن، وانضمت بعد ذلك منطقة السامرة إلى هذا الحلف، لوحدة اللغة والأيديولوجية والعادات بينهم، سمح هذا الحلف بفتح مناطق أخرى لهم عنوة، مثل: أريحا، والمناطق الغربية بين عكا ويافا، إلا أن معظم سكان الأراضي التي كسبوها انضم بمحض اختياره بدون حرب[2].

يعلق الفاروقي بعد ذلك أن فكرة العبريين أنهم دخلوا إلى فلسطين وحدهم، وأنهم فتحوها عنوة وقهراً لأن إلههم كان يمشي أمامهم ناراً آكلة وأنهم أتوا على جميع من فيها من رجال وحيوانات وشجر، وأنه تحقق في فترة وجيزة، واعتبر الفاروقي كل ذلك اختلاقٌ وافتراءٌ، لا يمت للتاريخ بأي صلة، وهذه الافتراءات إنما تدل على العقلية العنصرية اللاحقة [3].

سار الفاروقي واصفاً حال اليهود، متتبعاً لكل الأدوار التي خاضوها حتى وصلوا إلى فلسطين، حيث نفذوا المهمة كما شرحها الفاروقي جيلا بعد جيل، إلى أن حققوا في النهاية الغاية والمراد ، الدولة اليهودية.

([1])العماليق: شعب سامي قديم وُجد في أرض مَدْيَن (النقب)، استقر في الجنوب. أتى ذكره في التوراة بوصفه شعباً معادياً للقبائل العبرانية، إذ هاجمهم بعد الهجرة من مصر فقتل العديد منهم. وقد عدَّهم العبرانيون من أعدائهم الأزليين. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج10 ص282.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص40–43.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص44.

4- شرح نشوء المملكة الداوودية اليهودية:

يصف الفاروقي حال اليهود بعد دخولهم هم وأحلافهم إلى فلسطين، حيث اندمجوا اندماجاً سلبياً في المجتمع، أي أنهم أخذوا من القبائل التي اندمجوا فيها العادات السيئة، والعادات التي تدمر دينه على المدى البعيد، فأول ما أخذوه عن الكنعانيين لغتهم، وهي اللغة العبرية، ثم اقتبسوا عادات سكان فلسطين، كالقرابين والأعياد والتنظيم السياسي، والمعابد، والكهنوت، كل ذلك لم يكن موجود في الدين اليهودي قبل تأسيسه في فلسطين [1].

بقيت هذه الحالة ثلاثة قرون، حيث كان يحكم فلسطين خلالها جماعات عديدة كل في منطقته، نشأ في هذه الظروف في منطقة يهوذا حول حبرون-الخليل- فتى اسمه (داود)، ذاع صيته وغمر حبه قلب كل يهودي، حتى طورد من الملك (شاؤول) الذي خاف من منافسته، وظل طريداً إلى أن مات شاؤول حتى نودي له بالملك، وبعد أن بويع له بالملك أخذ على عاتقه لم شمل القبائل كلها تحت حكم واحد وتأسيس دولة كبيرة، استخدم داود في سبيل ذلك الدهاء والمكر والحرب.

يعقب الفاروقي على ذلك بأن الدولة والكهنة أخذوا يختلقون أساليب الدعاية لدعم هذه الدعوة وتركيزها، جعلوا التوراة تقول:

أ- إن داود اختاره الإله، وعينه بنفسه ملكاً على جميع إسرائيل.

ب-إن مملكة داود، هي عنوان وركيزة تخليص يهوه لشعبه.

ج- إن أورشليم اختارها يهوه بنفسه؛ لتكون مسكناً له، فهي ليست عاصمة سياسية فحسب، بل هي العاصمة الدينية التي لا يمكن للإله أن يسكن أو يعبد إلا فيها.

د- إن العهد الداوودي والمملكة الداوودية كلها أزلية.

هـ-داود هو ابن الله المصطفى المسيح، وعلى الجميع أن يخضعوا له.[2]

ومع ذكر الفاروقي لهذه الأحداث التاريخية، إلا أنه أغفل ذكر الجذر الديني الموجود في القرآن الكريم، أو في الكتب الإسلامية، والتي تذكر بعض التفاصيل المهمة والتي من الأجدر

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص44.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص50-51.

عدم إغفالها، ولم يعرِّف القارئ حقيقة داود ﷺ، هل هو عينه المذكور في القرآن، أم أنه شخص آخر؟ فالقارئ لهذه السطور يقع في الحيرة، ويبدو أن الفاروقي إنما أراد بإيراده لهذه الجمل كما هي حتى يقنع القارئ الغربي بمنهجه في إيراد التاريخ، حيث لا تبديل على الأحداث التاريخية الواردة في التوراة.

ومما سبق يتبين أن الفاروقي قد حاد عن أسلوب البحث العلمي المعتبر، حيث أن أسلوب البحث العلمي يحتم على الباحث أن يورد جميع الآراء التي يتفق معها الباحث، والتي لا يتفق معها، حتى تعطي للقارئ الصورة الكاملة للحقيقة.

ثم يكمل الفاروقي أن هذه المملكة الداوودية لم تعش إلا 78سنة، ففي عام 922ق.م انفجرت قبائل الشمال وثارت ضد حكم أورشليم، فلم يرَوْا من سلالة داود إلا داود وسليمان ابنه، واعتلا العرش بعده ابنه (رحبعام) [1] الذي لم تخضع له قبائل الشمال وهاجت عليه وقتلت نائبه وجنوده، وانفصلت عن دولة (يهودا)، وسمت الدولة الجديدة (إسرائيل)، وبهذه الانقسامات أقفلت الطرق بين الشمال والجنوب، والشرق والغرب وضاعت الأرزاق، وقلت الأموال، وبذلك قلت مقدرتهما على حفظ كيانهما، وكانت الدولتان تميلان إلى التعاون مع جيرانهما ضد بعضهما البعض، وظل هذا الوضع مائتي سنة، حتى سنة 722ق.م، إلى أن جاءت دولة آشور من شمال العراق وزحفت على إسرائيل وأنهت وجودها السياسي والاجتماعي والديني، وتم تحويل إسرائيل إلى ولاية آشورية بسرعة وفاعلية، وتم نفي العديد من اليهود الذين لم يعد ذكروا بعد ذلك مطلقاً.

ظهرت بعد ذلك قوة البابليين، الذين قضوا على الآشوريين، واتجهوا في العام587 ق.م إلى أورشليم، وافتتحوها، وحُمِل عدد من رجالها أسرى إلى بابل وأُسكنوا في تل السنابل (تل أبيب) – بلدة قريبة من بابل– [2].

ويبدو أن اليهود لشدة حنينهم للعبودية التي كانوا فيها، واعتزازهم بماضيهم حتى لو كان مراً، أرادوا قيام دولتهم بعاصمة أسموها باسم المنطقة التي كانوا منفيِّين فيها، لا لأنهم يستعرون

([1])رحبعام: (963-915ق.م تقريباً) هو ملك العبرانيين، ابن سليمان ﷺ، وفي عهده ثارت قبائل الشمال اليهودية بزعامة أخيه يربعام، وبذلك انقسمت مملكة العبرانيين إلى قسمين شكالي وجنوبي. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص206.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص55-60

منها؛ بل ليثبتوا لأجيالهم المتلاحقة أن لهم حقٌ في هذه البلاد، ومن مخططاتهم احتلالها في يوم من الأيام.

يعقب الفاروقي على هذه الأحداث بكلام رائع وراقٍ، حيث يقول: "لم يكن تطلع اليهود إلى الدولة الداوودية مجرد أمل، ولكن التطلع إلى مشيئة الله تعبد، تصور الآن التدين والتعبد بالتطلع إلى هذه الدولة والأمل في إعادة تحقيقها"[1] ثم يقارن الفاروقي بين اليهود وبين المسلمين الذين ينظرون إلى العصر الذهبي للإسلام في أيام أبي وبكر وعمر وهارون الرشيد ويبين الفرق بين هذا الشعور وما هو كائن عند اليهود يقول" هذا شعور أدبي اجتماعي وذلك شعور ديني"[2].

يدل هذا النص من الفاروقي أنه على اطلاع على التاريخ الإسلامي، وتاريخ الخلفاء العظام، وإيراد المقارنة في هذا الموضع له دلالة مهمة: حيث أننا نحن المسلمون عند ذكرنا لهؤلاء القادة وانتماءنا لهم، ليس تقديساً لأشخاصهم، وإنما حب أدبي للنجاح الذي حققوه ملتزمين بما قرره الشرع الحنيف، على عكس اليهود الذين نسوا الدين وقدسوا البشر.

5- شرح حالهم في المنفى (السبي 587-538ق.م):

يتحدث الفاروقي عن سقوط أورشليم في يد جيوش البابليين عام 587ق.م، وكانت هزيمة تامة، بأن أحرق الهيكل، وتفتت المملكة، وتفرق شمل السكان الناجين، وتشتتوا في البدان، والقسم الأهم منهم؛ هو القسم الذي سبي، وسيق إلى تل أبيب، وهم خيرة مواطني المملكة كالقادة ورجال الدين والزعماء السياسيين، وحملة التراث والفكر، وأقام المنتصرون لهم مستعمرات خاصة يتوافر فيها كل المستلزمات والمؤهلات للحفاظ على التراث، ولاستمرار قيامهم بعاداتهم، وشعائرهم[3].

لم يحتمل العديد منهم وطأة النفي والغربة، ولم يرضوا عن بلادهم بديلاً، وأخذوا يتطلعون شوقاً إلى اليوم الذي يعودون فيه إلى بلادهم، ولكن هناك منهم من انقطعت صلتهم بالماضي،

([1])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص61.

([2])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص61.

([3])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص5.

وأخذوا بالاندماج بالمجتمع والعمل في بابل كالمواطنين الأصليين، ولم يقف في طريقهم أحد، لا الحكومة ولا المواطنين، ونجحوا نجاحا باهراً في أعمالهم[1].

نشأ بينهم (حزقيال)[2] الذي سيقود ثورة الصهيونية التي ستعيدهم إلى أمجادهم وبلادهم، وتحت تأثير أوضاع النفي تأسست الكنسة كنظام تعبدي بعد انقطاعهم عن الهيكل، مما اضطرهم إلى التجمع في بناءٍ ما للتعبد يوم السبت، هذا التجمع في أماكن مختلفة مما اضطرهم لعمل أماكن متعدد أي كنائس متعددة. وبسقوط القدس لم يبقى لهم مميز عن الناس الآخرين بشيء [3].

6- ذكره لتفاصيل عودتهم من المنفى:

عاش اليهود سنينهم في المنفى بعيدين عن أرضهم مقهورين، ولكنهم ينعمون ببعض السكينة والاطمئنان، خاصة في الجانب المالي، فعدد كبير من اليهود انخرط في التجارة والصناعة فأبلى بلاءً حسناً فيها ونسي أورشليم، أو على الأقل لم يكن له نفس الحماس للعودة[4]، إلى أن قام الملك (كورش)[5] في فارس وأمسك بزمام الملك فيها وهاجم بابل واحتلها عام 539ق.م، وكان على اتصال باليهود المنفيين في بابل ، وليس هذا بمستغرب لما كان اليهود ينظرون لبابل أسوأ النظر، ويضمرون لها أشد الحقد والعداء، لما سبتهم وجعلتهم عبيداً

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص6-7.

([2])حزقيال: (حوالي 593-570 ق0م)، نبي من أسرة صادوق الكهنوتية ومن قبيلة إفرايم، أطلق حزقيال نبوءاته في القدس، ثم في بابل حيث هُجِّر مع اليهود الذين هُجِّروا إلى هناك، واستمر في التنبؤ لسنوات طويلة، كان يرى أن تاريخ الشعب كله، منذ الخروج، تاريخ عصيان، وله سفر في التوراة وهو ثالث الأسفار في كتب الأنبياء العظام. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج13 ص310-311.

([3])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص8-9.

([4])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص77.

([5])كورش الثاني: (الكبير) (585-529ق.م)، ملك فارس والمؤسس الفعلي للإمبراطورية الإخمينية الفارسية، فتح بابل، ومن ثم أنهى الأسر البابلي، استولى على فلسطين وسوريا، وعلى الكثير من البلدان. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص372.

لها، وما أن نجحت حملت (كورش) على بابل حتى أصدر أمره المشهور سنة 538ق.م بالسماح لمنفيي أورشليم بالعودة إلى بلدهم[1].

لكن ليس كل اليهود متهيئين إلى العودة، فمنهم من ألف الحياة في تلك الأرض الخصبة والمستقرة أكثر من حياتهم في بلدهم، فيقول الفاروقي: "إن اليهود لم يكونوا على استعداد لأن يتركوا أملاكهم وثرواتهم وتجارتهم والعودة إلى أورشليم، ولم يكن عدد العائدين كبير، وكانت أورشليم خرابة، فيها عدد قليل من الفقراء والمعدمين، وأصيب اليهود العائدون بخيبة أمل كبيرة، أين الوعد الإلهي؟"[2].

يعطينا الفاروقي الدليل الحي على أن اليهود يفضلون المادة، والمال، حتى على الحياة الكريمة، رضوا حياة الذل والمهانة، على أن يبقى في أيديهم من المال والأرض.

7- بيان تحول اليهود من الأرض المقدسة إلى (الجيتو) [3] :

في زمن سيطرة الرومان على فلسطين بُعث المسيح ﷺ، وبعد رفعه وقع بلاء شديد على اليهود في فلسطين؛ بسبب عقليتهم الانقلابية، حيث قاموا بثورات ضد الرومان [4]، الأمر الذي جعل الرومان يدمرون الهيكل [5] والكيان اليهودي عام 70 ق.م، عاش اليهود بعدها في

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص69-70.

([2])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص77.

([3])الجيتو: هو حي مقصور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ولكنها تستخدم بشكل خاص للإشارة لأحياء اليهود في أوروبا، وقد أقيم أول حي يهودي يطلق عليه جيتو في البندقية عام 1516م، وقد كان اليهود يعترفون بالجوانب الإيجابية لإنشائه وفي كل عام في (جيتو فيرونا) يقيمون احتفالاً بالذكرى السنوية لإنشائه، وقد كان الجيتو رمزاً مادياً لواقع اقتصادي محدد واشتغال اليهود بالتجارة ثم بالربا. انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري، ص154.

([4])انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف، ص49.

([5])الهيكل الثاني: (539 ق. م . 70م) هذا الهيكل يختلف عن الذي بناه سليمان ﷺ. وهذا هو الهيكل الذي بناه اليهود بعد عودتهم من المنفى، والذي أعيد بناءه بأمر من كورش الملك الآشوري، لم تُسترجع معه الحكومة العبرانية إذ صار اليهود مجرد قوم من الأقوام التابعة للدولة الفارسية يترأسهم الكهنة، وهو أمر لم يدم طويلاً إذ ظهر الرومان وبسطوا سيطرتهم على فلسطين ثم هدموا الهيكل في نهاية الأمر، بأمر من الملك تيتوس الروماني عام 70م. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج10 ص72.

حصار من الدولة الرومانية إلى أن جاء عام 128 م وألغي الاضطهاد الذي أنزل بهم [1]، وبعد ذلك زاد الحاكم الروماني في العام 135م الأمر سوءً، حيث أمر جنوده بتسوية الهيكل بالأرض وبنى فيها معبداً كبيراً للرومان، الأمر الذي دفع باليهود إلى التشرذم والانتشار في الأرض [2].

يعقب الفاروقي على ما حدث مع اليهود من تفكك بعد الدمار الأخير للهيكل بأن اليهود لم يكونوا كالبشر الآخرين، حيث عادتهم الغش والمكر والخداع، مما دفع الكنيسة المسيحية إلى إبقاء اليهود في معزل عن الشعب المسيحي، سبب ذلك أن أسلافهم اليهود هم من قام بقتل المسيح وصلبه–كما يعتقد النصارى–، وأن اليهود هم مثال للشر الذي جاء المسيح ليخلص الناس منه، بدأت التفرقة، بوضع قماش أصفر على ظهورهم، وعلى رؤوس النساء، كي يتسنى تمييزهم عن المسيحيين، بدأ هذا النظام أولاً في مدينتي سالير و باري بإيطاليا في القرن الحادي عشر، ثم في القرن السادس عشر اندفعت مدن أوروبا إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن في الجيتو، وكان في أغلب الأحيان يقع في أرذل البقاع، وكان مكان غاصاً بالسكان يسهل انتقال العدوى، وكان الجيتو هو مركز المومسات، وبذرة الفساد والرذيلة، ومقر المتعاملين بالربا[3].

وبعد هذا العرض المعمق للعقل اليهودي الدموي، وما ترتب عليه من معاملات سلبية وانغلاق اليهود داخل الجيتو، نتج عن هذا الانفصال اليهودي:

أ– عدم تعلم لغة مجتمعاتهم، بل كان للجيتو لغته الخاصة.

ب–زكّا الجيتو فيهم شعلة التضامن، ونشوء وعي جماعي بين اليهود انحصر في امتثالهم لأوامر الرؤساء، والمحافظة على التوراة.

ج– أدى الجيتو الحفاظ على القانون، وبالتالي على يهودية اليهودي الذي لم يكن أمامه أي خيار [4].

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص17.

([2])انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، الخلف، ص49.

([3])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص23–24.

([4])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص25–29.

حيث تتبع الفاروقي من خلال العرض السابق، حياة اليهود في الجيتو ثم أعطى أهم الأسباب التي أدت بهم إلى الانغلاق في هذا الجيتو، وعدم محاولة كسره والخروج منه، بل وحتى تتبعَ أهم المكاسب بوجودهم في هذه المجمعات، والتي ستنتج أزمة حقيقية عند الخروج منه إلى العالم في النهاية.

8- ذكر تفاصيل عصر التحرر:

بعد الحياة التي عاشها اليهود في ظلام الجيتو وما تبعه فإنهم في النهاية استطاعوا التحرر من هذا السجن الكبير، يذكر الفاروقي أهم هذه الأسباب التي أدت إلى تحريرهم من الجيتو:

أ- اتساع العلاقات التجارية بين اليهود والشعوب التي عاشوا بينها إبان الحروب الصليبية، وانتعاش المجتمعات الغربية [1].

ب-زيادة العلاقات الاجتماعية التي صارت بين اليهود وغيرهم، من حيث المصاهرات والعلاقات الاجتماعية المختلفة [2].

ج-نتج عن حركة التنوير في أوروبا رفض كل ما هو ديني، وكل العلوم الماوراء الطبيعية، فانتهت المفارقة التي كانت في الأساس دينية، وأن كل من آمن بها هو متساوٍ في العقلانية [3]، بمعنى رفض الغيبيات والإيمان بالمحسوسات، لأن رفضهم اليهود وعزلهم في الجيتو كان فيه أساس ديني، من خلال أنهم تجسيد للشر الذي جاء المسيح ليخلص الناس منه، فلما انتهت العلاقة بالأديان، سمح لهم بمعاملتهم كما يعامل باقي أفراد المجتمع.

([1])انظر: المرجع السابق، ص31.

([2])انظر: نفسه، ص31.

([3])انظر: نفسه، ص34.

بداية التحرير من النمسا، وتم إعفاؤهم من كل المظاهر التي كانت مفروضة عليهم، لكن التحرر الحقيقي لم يتم إلا بعد الثورة الفرنسية عام 1791م ، باعتبار اليهود المقيمين في فرنسا مواطنين لهم كل الحقوق، وتبع ذلك في الكثير من البلدان. [1]

ومما سبق يتبين أن لفاروقي لخص مجمل الأحداث التي صقلت الحياة اليهودية، بأسلوب سردي تحليلي، يبين حال اليهود منذ نشأتهم إلى الزمن الحاضر، من خلال محطات الحياة اليهودية التي شرحها، والتي تبين وجهة نظره التي دائماً يرددها (مكونات الأيديولوجية العبرية: العنصرية، التأثير الديني)[2]

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص40.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص32.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة اليهودية:

تخرج أبو زهرة والفاروقي من مدرستين علميتين مختلفتين، من حيث التكوين والمنهج، مما جعلهما يختلفان في عرض نشأة اليهودية في العديد من القضايا، ويتفقان في البعض الآخر، وفيما يلي أهم نقاط الاتفاق والاختلاف:

أولاً: نقاط الاتفاق بين أبي زهرة والفاروقي في نشأة اليهودية:

1- اتفق أبو زهرة والفاروقي على الحديث عن الفترة المصرية لحياة اليهود، وما عانوه من ذل العبودية على يد فرعون وجنوده.
2- ينسجم أبو زهرة مع الفاروقي على أن أهم الأسباب التي دعت اليهود للدخول إلى أرض فلسطين بعد خروجهم من مصر، هو أنهم عافوا حياة البادية والصحراء ولم يستطيعوا تحمل عبئها أكثر من ذلك.
3- تناغمت آراء أبو زهرة والفاروقي على أن الدولة الداوودية هي التي كانت في عهد نبي الله داود عليه السلام وكانت من أقوى الدول التي مرت على تاريخ اليهود القديم.
4- أجمع أبو زهرة والفاروقي رأيهما على أن أهم الأسباب التي أدت إلى حالات القتل الجماعي، والطرد والسبي الذي تعرض له اليهود في تاريخهم، هو من فسادهم في الأرض، وحتى يحمي الغازون شعوبهم من مكر اليهود، وخبثهم.
5- ائتلف موقف أبو زهرة والفاروقي على حال اليهود في الفساد والمكر والاحتيال، وهي حالة مرافقة لليهود في كل أحوالهم، سواءً كانوا عبيداً ذليلين، أو في المنفى والشتات، أو في حالة الدولة والاستقرار.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة اليهودية:

تميز أبو زهرة والفاروقي المعرفي التاريخ أعطى بحثيهما في الأساس التاريخي لليهود قوة في العرض والدلالة، لكن تميز كل منهما بأمور عن الآخر، وبيان ذلك على النحو التالي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- اختار أبو زهرة أن معنى اليهود من انبثق ابن يعقوب يهوذا، واختار الفاروقي لمعنى اليهود أي بمعنى الطقوس الدينية في مملكة يهوذا.

ب-لم يعدد أبو زهرة أي مسمىً آخر لليهود، بينما عدد الفاروقي مسميات أخرى لليهودية، مثل الدين العبري.

ج- بدأ أبو زهرة حديثه عن اليهودية من المرحلة المصرية، والتي تعتبر من المحطات المهمة في الحياة اليهودية، وهذا السياق هو الذي به بدأ القرآن ذكر أحوال بني إسرائيل منه.

د- ذكر أبو زهرة وجود اليهود في مصر؛ ولم يدخل في عمق القضية التي من أجلها دخل اليهود إلى فلسطين، ولا سبب خروجهم منها، واكتفى بإشارة مقتضبة عن هذه الفترة الزمنية.

هـ- يذكر أبو زهرة القصة الواردة عند اليهود فإنه يعتمد الرواية الإسلامية الواردة في كتب التفسير والتاريخ الإسلامي.

و- انفرد أبو زهرة في ذكر حياة اليهود في المدينة المنورة، وحالهم مع رسول الله ﷺ.

ز- أعطى أبو زهرة الحل للأخلاق الفاسدة التي بثها اليهود في البلاد والعالم، بالعودة إلى دين الله تعالى، ومواجهتم بكل الوسائل الممكنة.

2- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- استأثر الفاروقي بذكر الانصهار الاجتماعي، الذي حاول اليهود فيه التعايش مع أهالي سيناء، والمدن التي عاشوها في فترة الخروج من مصر وقبل الدخول إلى فلسطين.

ب-استقل الفاروقي بالحديث عن حياة اليهود في الجيتو وما صاحبه من انغلاقهم، وحب بعضهم للحياة فيه، ثم ما تبعه من افتاح وتحرر.

ج- تميز الفاروقي بإعطاء تواريخ لأغلب الأحداث التاريخية المؤثرة في التاريخ اليهودي القديم، خلافاً لأبي زهرة.

د- يعتمد الفاروقي رواية التوراة التاريخية أو الرواية الغربية، دون الإشارة إلى جذرها الإسلامي القرآني.

هـ-شرح الفاروقي وجود اليهود في مصر شرحاً وافياً، بحيث دخل في عمق القضية، التي من أجلها دخل اليهود إلى فلسطين، مع ذكره أسباب الخروج منها.

و- الفاروقي فإنه كدارس متعمق للتاريخ، فقد بدأ دراسة اليهودية من عصر أكثر قدماً من العهد الإبراهيمي، ثم تدرج تاريخياً إلى أن وصل إلى اليوم الحاضر وأحوالهم فيه.

أعطى أبو زهرة والفاروقي صورة عن تاريخ اليهود، اكتملت بالجمع بين منهجيهما، وبين عرضهما، أسست هذه الرواية التاريخية لفهم عقيدتهم من بداية انتشارها، والأحوال التاريخية المؤدية إلى تحريفها.

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية:

ذكر أبو زهرة والفاروقي أهم النقاط الفاصلة في حياة اليهود، ثم كان لزاماً الوقوف على أهم ما يميز عقيدتهم، وما حصل فيها من تغيير وتبديل بما يخالف عقيدتهم الأصلية وما يخاف الإسلام، وبيان ذلك كما يلي:

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد اليهودية:

تناول أبو زهرة العقائد اليهودية بالدراسة؛ وفق ما تقوله التوراة، حيث بحث في البداية عن صحة التوراة نفسها، وعن أهم العقائد التي يدينون بها، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: بيانه تحريف اليهود للتوراة:

يبين أبو زهرة أن التوراة التي يؤمن اليهود بقداستها، قد حُرِّفت مضمونها الذي نزل على موسى، فيقول أبو زهرة في ذلك: "إن اليهود حرفوا الكلم عن مواضعه، فكتابهم القائم لا يمكن أن يكون هو الكتاب الذي نزل على موسى عليه السلام"[1].

ثم ذكر أبو زهرة أهم الدلائل التي تؤكد تحريف اليهود للتوراة، وهي كما يلي:

1- **دلالة القرآن الكريم على التحريف:** أورد أبو زهرة بعض الآيات التي تدل على تحريف اليهود للتوراة التي بين أيديهم، من هذه الآيات، ما ذكره أبو زهرة بقوله:" واليهود قد غيروا في كتبهم، فلبسوا الحق بالباطل فنهاهم الله عن ذلك"[2]، قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42].

2- **خلطهم للتوراة بالفلسفة اليونانية:** تأثر اليهود بالفلسفة اليونانية، وذلك لقوعهم تحت سلطان اليونان والرومان قروناً، وكان من أحبارهم من تعلم الفلسفة، فاختلطت الفلسفة بالعقائد الدينية عامة، والدين اليهودي بشكل خاص، وما نتج عن هذا الاختلاط لا هو دين خالص، ولا هو فلسفة محضة، وسبب ذلك ميل اليهود إلى التوفيق بين المعتقدات الدينية والعلم الغربي، الذي كان متأثراً بالعلم اليوناني، ثم إن المفكرين-أي أحبار

([1])انظر: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص192.

([2])زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص212.

اليهود– الذين استمدوا آراءهم من الفلسفة اليونانية، رأوا أن يوفقوا بين المعتقدات الفلسفية والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها المشارقة (1).

3- **مخالفة التوراة لمكارم الأخلاق:** مثال ذلك ما ورد في التوراة عن أنبياء الله: لوط وداود وغيرهم من الأنبياء؛ الذين من المفترض أنهم معصومون، وهذه الوقائع قاطعة في أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون صحيحة النسبة إلى الله تعالى(2).

4- **تحريف التشريعات التوراتية:** بين أبو زهرة أن اليهود قد حرفوا العديد من تشريعات كتبهم، لأغراض خاصة بهم، ومن أمثلة ذلك:

أ- **تشريع تعلم السحر:** من الأدلة التي استند إليها أبو زهرة، أن الله تعالى بيَّن أنهم اختاروا السحر على علم الكتاب، يقول أبو زهرة: "وهذا واضح من خلال النظر إلى التلمود الذي يقدسونه، ويعتبروه أكثر قداسة حتى من التوراة"(3)، يقول الله تعالى في ذلك:{وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ} [البقرة:102].

ب-**التلاعب بالأحكام:** ثم ساق أبو زهرة مثالاً على ذلك بقوله" مثلا أنه جاء في كتبهم تحريم الربا بمثل هذا الكلام (أخاك لا تقرض بالربا) فزادوا كلمة الإسرائيلي: (أخاك الإسرائيلي لا تقرض بالربا) (4) وبذلك تغير المعنى تغيرا جوهريا" (5).

ج-تزييف المعاني: ثم بين أبو زهرة أن هناك نوع آخر من التحريف قد مارسه اليهود، وهذا التحريف ليس هو التحريف العام الذي وقع من اليهود في تأويل كتبهم وإهمال كثير منها، وإخفائهم التبشير بالنبي ﷺ، إنما تحريفهم هو حمل كلام نبيهم على غير وجهه، وجعله يحتمل ما لا يراد به، هذا الفريق هو الذي قال الله تعالى فيه: {أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ

(1)انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص20.

(2)انظر: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص192.

(3)زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص344.

(4)عند البحث في التوراة، وجد أن أبا زهرة أورد النص بالمعنى، والنص الأصلي:(واذا افتقر اخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريبا او مستوطنا فيعيش معك. لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة بل اخش إلهك فيعيش اخوك معك. فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعط بالمرابحة) (سفر اللاويين:25).

(5)زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج4 ص2080.

اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 75] [1]. فغيروا معان الكتاب الذي أُنزل، وأبعدوه عن معانيه التي قصدت من سوقه، وأريدت من شرعه، وهم غيروا وبدلوا في عباراته حتى تذهب تكاليف الكتاب وتطمس معالم أحكامه [2].

5- **محاولتهم تحريف كتب الآخرين:** بين أبو زهرة أن اليهود لم يكتفوا بالتوراة؛ بل زادوا على ذلك بمحاولتهم تحريف القرآن، وقد علق أبو زهرة على محاولات اليهود تحريف القرآن الكريم بقوله: "حيث أن اليهود الذين حرفوا التوراة، والذين دسوا فحرفوا الأناجيل أيضاً، حاولوا أن يحرفوا القرآن من خلال إضافة بعض الأخطاء في تفسير القرآن، ولذلك جاءت طائفة كثيرة من الإسرائيليات [3] في كتب التفسير، وهذه الإسرائيليات التي انتشرت في القرن الثاني الهجري، بين التابعين، فمن أول العصور الإسلامية واليهود والنصارى يحاولون تحريف القرآن في معناه، ولكنهم لم يفعلوا ولم يستطيعوا لأن القرآن استمر قائماً" [4].

يعلق أبو زهرة على هذا الموضوع أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله تعالى، ولن يستطيعوا إلى تحريفه سبيلاً أبداً، يقول الله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:9]. وحتى لو تمكنوا من تحريف التوراة وكتبهم المقدسة، فإن الأمر يختلف مع القرآن الكريم.

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج4 ص1701.

([2])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج4 ص2080.

([3])الإسرائيليات: هي مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص وأحكام متعلقة بالقرآن، اعتمدت موضوعاتها على قصص وأساطير أبطالها شخصيات من العهد القديم ورد ذكرهم في القرآن. ولما كان القرآن لم يذكر قصص الأنبياء كاملة فإن كتَّاب الإسرائيليات يلجؤون في تفاسيرهم، إلى ملء الثغرات بالعودة إلى كتب اليهود الدينية. وتتناول الإسرائيليات كذلك عقائد، مثل: المسيح المخلِّص (المهدي المنتظر) ، وآخر الأيام ....، ويتسم معظم الإسرائيليات بطابعه الذي يتناقض بشكل حاد مع الفكر التوحيدي. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج14 ص404.

([4])انظر: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص192-193.

ومما سبق يمكن التعرف على ملامح منهج أبي زهرة في هذه النقطة، بأن أكد التحريف بالدليل القرآني، ثم اعتمد على الأثر النقلي للمصادر المعرفية الدخيلة، والمتمثلة في الفلسفة اليونانية، وزاد ببيان تخلي اليهود عن مكارم الأخلاق، وتحريفهم للنصوص التوراتية، وتحريفهم العديد من التشريعات التوراتية، ليصل بذهن القارئ بما لا يدع مجالاً للشك بتحريف النص التوراتي، وخروجه عن أصالته إلى حالة من الزيف والتبديل، الذي مارسوه عبر الأزمان المختلفة.

ثانياً: بيانه فساد عقيدة اليهود في التوحيد:

وصف أبو زهرة اليهود وأخلاقهم واستيلاء المادة عليهم، وغلظ قلوبهم وقسوتها، وقد بين ذلك من خلال:

1- الاستدلال من القرآن لبيان الفساد في توحيدهم:

بين أبو زهرة أن اليهود بلغ بهم الجحود أن يقولوا عن الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [آل عمران: 181]، وقد سمعوا من الرسول ﷺ حينما تحدث عن الصدقة، (أن من يتصدق يقرض الله قرضا حسناً)، وفي هذه الآيات يبين أن من نتائج جحودهم أن يصفوا الله تعالى بوصف يقدح في ألوهيته، فهو الله الغني عن كل غناً يوصف بالفقر! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً [1] ، وقد كان عند اليهود في الكثير من الأحيان خلل في توحيد الله تعالى، حيث طلبوا من موسى أن يجعل لهم إلهاً عندما رأوا أن أناساً يعبدون صنماً، وفي حادثة أخرى، انتهزوا فرصة غيبة موسى للقاء الله بأن عبدوا العجل، هذا وهم أكثر الناس رؤية للمعجزات[2]، يؤكد أبو زهرة أنهم بالرغم من كثرة المعجزات التي أيد الله بها أنبياء بني إسرائيل إلا أنهم كان عندهم خلل كبير في أهم أمور الدين، وهو الإيمان بالله تعالى.

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج3 ص1531.

([2])اليهود في القرآن(1)، أبو زهرة، ص235.

2- **استقراء الأحداث التاريخية المؤكدة لفساد توحيدهم:**

ذكر أبو زهرة أن اليهود دعاة الإلحاد [1] في الأديان جميعاً ما عدا اليهودية[2]، فالذي نشر الإلحاد في الأرض هم اليهود، وقد كتبوا في بروتوكولاتهم أنهم سينشرون الإلحاد في الأرض، وقد نشروه بالفعل، فمن الثورة الفرنسية إلى الدارونية فالثورة الصناعية، فالنظريات العلمية التي تهاجم الدين الأخلاق والتقاليد، كل ذلك يؤكد حقيقة واحدة أن اليهود استغلوا الأحداث التي هيأتها لهم حماقة الكنيسة، فركبوا الموجة ونفَّذوا كل ما في جعبتهم من مخططات الإفساد في الأرض، وأهمها نشر الإلحاد بين الناس [3].

نستنتج مما سبق أن أبا زهرة قد اعتمد على القرآن ببيان الخلل التوحيدي في عقيدة اليهود، ثم بدأ بالتعرف على ملامح حياتهم من خلال استكشاف تاريخهم الماضي والحاضر، مبيناً ذلك من خلال المنهج الاستقرائي، وقد بين أن الذي يؤمن بالله حق الإيمان لا يدعو إلى الإلحاد، والذي يؤمن بالله لا يعبد عجلاً، ولا يقدس بقرة، والخلل في عقيدتهم قد تعدى إلى أمور أخرى مرتبطة بالتوحيد، كالنبوة التي هي أهم صلة بين البشر والله.

ثالثاً: بيانه عقيدة اليهود في النبوة:

يبين أبو زهرة أن أحبار اليهود كانوا يذكرون للناس حقائق دينية، لا يعملون بها، ويُسِرُّون بأمورٍ في نجواهم، وينكرونها في العلن، فكانوا يقرؤون أوصاف النبي محمد ﷺ في كتبهم، وينكرونها أمام النبي ﷺ وأصحابه لألَّى يحاجوهم بها عند ربهم، وكأن الله سبحانه وتعالى لا يعلم خفي أمرهم [4]، فلا هم آمنوا بالله تعالى ولا هم أعلنوا ما عندهم من دلالات تشير إلى أنه هو نبي الله حقاً، مع علمهم الكامل بأنه هو رسول الله.

([1])الإلحاد: بمعنى إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وجد بلا خالق أو أن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في ذات الوقت. انظر: مذاهب فكرية معاصرة، قطب، ص605.

([2])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص719.

([3])انظر: مذاهب فكرية معاصرة، قطب، ص629.

([4])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص215.

يوضح أبو زهرة أن اليهود في تعاملهم مع أنبياءهم كانوا على أحد الوجوه التالية:

1- **قتل الأنبياء:** إن اليهود أنكروا على النبيين دعوتهم لدرجة أنهم قتلوا بعضهم في نهاية الأمر، كيحيى بن زكريا عليهما السلام، والله تعالى لما ذكر قتلهم للأنبياء قال: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: 61] فهم لم يقتلوا كل النبيين، ولكن بعضهم، فلماذا قال الله يقتلون النبيين؟ ذلك لأنهم استهانوا بمقام النبوة، ومقام الدعوة إلى الحق، فاعتدوا ذلك الاعتداء على بعض النبيين، ومن فعل ذلك مع البعض فقد اعتدى على مقام النبوة فكأنما قتل كل الأنبياء[1].

2- **الإنكار دون القتل:** ثم بين أبو زهرة أنهم في حق نبيين آخرين لم يقتلوهم، ولكنهم أنكروا رسالتهم بالكلية، وحاولوا قتلهم، وضرب أبو زهرة مثال على ذلك نبي الله عيسى عليه السلام، فأنكروا رسالته لعنة الله عليهم، واتهموا أمه البتول فيما ليس فيها[2].

3- **الاشتراط على النبيين للإيمان بهم:** ثم إنهم إن دُعوا إلى الدين الحق، فإنهم لا يؤمنون إلا إذا كان النبي من بينهم، وهذه هي عبارة عن حجة كانوا يخبرون بها رسول الله ﷺ. وقال أبو زهرة في ذلك: "إنهم يبغون حسداً لغيرهم إذا قيل آمنوا بما أنزل الله قالوا لا نؤمن إلا بما أنزل علينا"[3].

4- **الغلو في أشخاص بعينهم:** ثم إنهم على النقيض من ذلك قد أوصلوا بشراً إلى مقامات عليا، لا تكون له حتى لو كان أفضل النبيين على الإطلاق، كما قالوا ذلك في حق عزير، فإن أبا زهرة يقول عنهم "أن بعضاً من اليهود اتخذت عزيراً إلهاً وزعموه ابن الله، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً"[4]، أخبر أبو زهرة أنهم مع إشراكهم بدعوى أن عزير ابن الله إلا أن هذا الكلام لم يكن من مجموعهم، وأنهم لم يجعلوه من دينهم كما فعلت ذلك النصارى[5].

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج3 ص1156.

([2])انظر: المرجع السابق، ج4 ص1978.

([3])نفسه، ج1 ص314.

([4])نفسه، ج3 ص1291.

([5])انظر: نفسه، ج1 ص377.

يشرح أبو زهرة حال اليهود، وهو التطرف في الأمور كلها، لا هم آمنوا بالأنبياء على الوجه الذي أمره الله، ولا هم تركوا النبيين يدعون الله على حال سبيلهم، وقد تعاملوا معهم إما بالقتل أو بالإنكار أو بالاشتراط، أو غالوا فيهم على النقيض من ذلك كله.

وقد استند أبو زهرة على أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلى أدلة من التوراة تبين سوء معاملتهم وكفرهم بأنبيائهم. وهذا يدل على منهج أبي زهرة بالاستلال بالمصادر الأصيلة، واسقاطها على واقع اليهود.

رابعاً: بيانه عقيدة اليهود في الملائكة:

يشرح أبو زهرة موقف اليهود من الملائكة، وقد بين ذلك كما يلي:

1- الاستدلال بالقرآن على فساد عقيدتهم في الملائكة:

بين أبو زهرة موقفهم من كبير الملائكة جبريل، ملك الوحي، والذي نزل بالقرآن على قلب محمد ﷺ، فاليهود يعتبرون الروح القدس -جبريل- عدواً لهم، لأنه -كما يدعون- ينزل بالعذاب والهلاك، وإن ميكائيل وليهم؛ لأنه ينزل بالغيث والرحمة، وتعددت الروايات عن الصحابة في ذلك، وكلها ينتهي إلى أنهم واجهوا النبي ﷺ بأن جبريل-ولي النبي ﷺ- عدوهم، وأن ميكائيل وليهم [1].

2- بيانه للرد القرآني على فساد اليهود:

بين ابو زهرة أن هذه كانت واحدة من مكائدهم حتى لا يدخلوا في الإسلام، وحتى يلبسوا على الناس دينهم، فالذي يكفر بملك فقد كفر بكل الملائكة، والذي عادى ملك فكأنما عادى من أرسل هذا الملك، يقول أبو زهرة في ذلك: " اليهود كانوا يعدُّون جبريل عدواً؛ لأنه نزل بالقرآن على قلب النبي ﷺ، وذلك لسفه عقولهم وفساد تفكيرهم، فرد الله عليهم بأنه هو الذي نزل القرآن بإذنه، فلا

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص326.

محل لعداوته، فعادوا من أنزله، ولكن سوء ظنهم جعلهم يحملون جبريل عليه السلام التبعة، وإذا كان نزول القرآن سبباً للعداوة، فاتخذوا الله عدواً، ولا غرابة في ذلك ممن اتخذوا العجل ولياً لهم" [1].

هكذا كان توصيف أبي زهرة لليهود، حيث أنهم استعدوا رسول الوحي الإلهي –جبريل– فكيف سيؤمنون بما أنزله الله عن طريقه، وقد بين أبو زهرة ذلك من خلال النص القرآني الذي ذكر الأحداث التي مر بها اليهود مع رسول الله ﷺ، لكن أبو زهرة أغفل إيراد النص التوراتي، الذي يثبت عداوتهم للملائكة، والذي يبين قبح ذكرهم لهم.

خامساً: بيانه عقيدة اليهود في اليوم الآخر:

بين أبو زهرة أن اليهود اتجهوا إلى الإيمان بالماديات والمحسوسات وإنكار جل أمور الغيب، والتي على رأسها اليوم الآخر، حيث أن سائرهم لا يؤمن بالجزاء الأخروي، ويعتقدون أن ما ذكر من عذاب العصاة والمذنبين إنما هو في الدنيا، لا في الآخرة بل إنهم ينكرون الروح ولا يؤمنون إلا بالمادة، فهم ماديون في اعتقادهم من كل الوجوه [2] ، هذه المادية التي سيطرت عليهم في كل شيء، وقد استدل أبو زهرة على ماديتهم من خلال:

1- **الاستدلال بمضامين التوراة:** يبين أبو زهرة أنه حتى في التوراة، فإنك لا تجد فيها ذكر للروح ولا للحياة الآخرة، ويتجاهلون الإيمان باليوم الآخر، حتى إنهم إذ يعرفون النفس الإنسانية أو الحيوانية فإنهم يقولون عنها أنها الدم ولا شيء آخر[3]، أرادوا بهذا التفسير للنفس البشرية أن يجعلوا كل أمور الدين أمور محسوسة وملموسة، حتى الأمور التي لا يمكن للعقل البشري أن يتناولها بالحواس.
2- **الاستدلال بأحداث التاريخ القديم:** فقد ذكر أبو زهرة –من خلال حديثه عن بعثة عيسى عليه السلام– أن من أهم الأمور التي أرسل من أجلها لليهود هي: "أن اليهود قوم عكفوا على المادة، واستغرقتهم، واستولت على أهوائهم ومشاعرهم حتى لقد كان نساكهم وسدنة

---

(1)زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص327.
(2)انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج6 ص3275.
(3)انظر: اليهود في القرآن(1)، أبو زهرة، ص239.

الهياكل عندهم، وقد فاتهم العمل على كسب المال من أبوابه الدنيوية يجمعون المال، ويحرصون على ذلك أشد الحرص. فكانوا يأخذون القرابين من أشد الناس حاجة وأفقرهم. فجاء المسيح وندَد بهذا"[1].

ثم إن أبا زهرة لم يترك الأمر دون تعليق، فاقترح الحل لهذه المادية، حيث ذكر أن الوحي جاء بمعالجة لهذه المادية، بالتوجه نحو الروحانية وبيان سيطرة الروح، كما كان الشأن في دعوة السيد المسيح ﷺ، وفي معجزاته التي أيقظت الروح [2]، ويقصد أبو زهرة أن دعوة المسيح التي جاءت لهم في زمان نزول المسيح، وهم من أنكر نبوته.

وقد بين أبو زهرة أن رسول الله ﷺ قد حاول معهم، بالترغيب والترهيب، فلما سمعوا الآيات التي تدل على العذاب في اليوم الآخر، ما كان منهم إلا أن ادعوا أنهم أهل الجنة، وأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة [3].

نستنبط مما سبق، أن أبا زهرة أن إنكار اليهود لليوم الآخر نابع من ماديتهم، الني نشأوا عليها من قديم الزمان، توصل أبو زهرة إلى ذلك من خلال ما تضمنته التوراة، وما ذكر في شريعة عيسى ﷺ، الذي جاء هادياً لهم، يهيدهم إلى الصواب وإلى الحق، الذي رفضوه في النهاية.

وقد كان أساس الفساد عندهم؛ اعتقادهم أنهم بشر فوق البشر، وأن جنسهم جنس ليس مثله شيء، وأنهم شعب الله المختار، هذا لأنهم يعتقدون أن الله اصطفاهم لرسالته، وحماهم من نيرانه، فلم يؤمنوا باليوم الآخر على الوجه الذي أراده الله تعالى.

سادساً: بيانه إبطال اعتقادهم بالاصطفاء:

يوضح أبو زهرة فساد أخلاقهم، وأنفسهم، مصدره اعتقادهم بالاصطفاء، أي أنهم شعب الله المختار، الذي اختاره الله من بين الأمم للخلافة في الأرض ولدخول الجنة، فقد دخل

([1])محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص22-23.

([2])انظر: ذلك الدين القيم ، محمد أبو زهرة، ص761.

([3])انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ج1 ص376.

الشيطان إلى نفوس اليهود من هذا الاعتقاد الفاسد، وأنهم من غير المعادن التي خلق بقية الناس منها، وأن الناس جميعاً لهم تبعاً، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ [المائدة: 18] [1]، وما كان تفضيل الله لأي قوم لشخصهم أو لذواتهم أو لقبيلتهم أو لجنسهم أو لأجسامهم، إنما يفضل الله المظلوم على الظالم، ويفضل الطائع على العاصي [2]، هذا كان رد أبي زهرة على اعتقادهم الفاسد، فالله لا يظلم أحداً مثقال ذرة.

وتظهر معالم منهج أبي زهرة بفضح عنصريتهم، في زعمهم أنهم (شعب الله المختار) من خلال ما يلي:

1- **إثبات ماديتهم:** فهم لا يؤمنون إلا بالمادة، ولا يؤمنون بالمعاني الروحية، ولا يقيمون وزناً للمعنويات قط، فلا يهمهم السمو الروحي، ولا المبادئ الخلقية القائمة على الاتصال بين الناس بالمودة والمروءة، ولا يتكلون على الله قط، بل يحسبون أنهم هم القادرون، فلا مودة مع الناس إلا إن كان هناك عائد مادي يعود عليهم بالنفع، لأنهم أعلى شأناً من كل الناس[3].
2- **فضح أخلاقهم المرذولة:** فلا تجد في اليهود إلا الرياء وملق الأقوياء والنفاق، ونرى النفاق في الأرض ولكن بمسميات كاذبة، فمرة هو الحكمة ومرة أخرى أنه السياسة الناجحة، حتى أشاعوا بين الناس أن السياسة والأخلاق لا يجتمعان، فلأنهم فوق الناس وأفضل منهم فلا داعي للصدق معهم[4].
3- **بيان تعصبهم الشديد ليهوديتهم:** لأنهم لا يعتقدون أن اليهودية دين بل هو جنسية، وهذه الجنسية جعلتهم أسياداً للأمم وأحباء الله، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ [المائدة: 18]، ويؤيدون العنصرية بكل أنواعها، فهم وراء

([1])اليهود في القرآن(1)، أبو زهرة، ص233.
([2])اليهود في القرآن(1)، أبو زهرة، ص234
([3])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص722.
([4])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص722.

التفرقة العنصرية في أمريكا وأفريقيا، وفي كل البلاد التي وجدت فيها هذه العنصرية البغيضة، التي أساس وجودها اليهود[1].

4- **السرية في أعمالهم والخفاء في تفكيرهم:** ويحظر عندهم إشاعة أي أمر إلا ما يريدون كشفه، ولا يدخل في دينهم أحد كائناً من كان، لذلك كانوا من أقوى الناس في تدبير المؤامرات وكشف أسرار الناس، وكانت أكثر أدواتهم استعمالاً من أجل هذا الغرض النساء والجنس، حيث الإغراء بالنساء والتوريط ثم بعد ذلك الابتزاز، والمقايضة [2].

نصل في نهاية هذا العرض إلى أن أبا زهرة أثبت زيف ادعائهم بالاصطفاء، وأن الله تعالى لا يصطفي من البشر من أمثالهم، حيث الأخلاق الفاسدة، والمادية المكفرة، والسرية المطلقة، وقد استدل أبو زهرة على هذه الأعمال من خلال القرآن الكريم وما دلت عليه الآيات، ومن خلال مشاهدة أعمالهم واستقراء أحولهم.

نستنتج من هذا المطلب أن أبا زهرة حاول من خلال هذا العرض أن يبين أهم العقائد التي تقدح في ديانة اليهود، والتي من أجلها لم يدخل اليهود في دين الله تعالى، بيَّنها كما ذكروها، حاول أن يعطي الحل لهم تارة، وأن يبين خطأهم تارة، مستدلاً في الكثير من الأحيان بالقرآن الكريم، وبالتوراة التي أوردها بالمعنى، ثم باستقراء التاريخ الذي يلخص أهم أحوالهم، ولم يتعمق كثيراً في دراسة كل العقائد التي عندهم، ولم يتعمق كذلك في الرد علهم، لأنه كما قلنا أن هذه الكتابات كانت محاضرات.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد اليهودية:

درس الفاروقي في كتاباته عقائد اليهود، متبعاً نفس المنهج الذي اتبعه في دراساته عن الأديان بشكل عام، والذي هو المنهج الوصفي، حيث درس كتبهم، وأهم عقائدهم، والتي بدراستها يتبين الخلل الذي وقعوا فيه، والتحريف الذي قاموا به، وهم على النحو التالي:

([1])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص723.

([2])انظر: اليهود اليهود(2)، أبو زهرة، ص723.

أولاً: تحديد مقومات الدين اليهودي:

جمع الفاروقي في كتاباته المتعلقة باليهودية أهم مقومات الدين اليهودي، من خلال استنباطها من كتبهم، وهي كما يلي:

1- اختيار الله العنصر العبري باختياره شخص إبراهيم عليه السلام، ليكون له شعباً كغيره من الشعوب.
2- أعطى الله ميثاقه الأزلي للعنصر العبري، والذي لا يمكن نقضه لأنه عقد أزلي.
3- تنفيذاً لهذا الميثاق، أخرج الله العنصر العبري من مصر، وأنقذه من فرعون، وأهلك أهل فلسطين وأسكنه وملّكه إياها.
4- اختار الله داوود عليه السلام، ودفعه إلى تحقيق الميثاق بإنشاء الدولة الداوودية، وجدد له العهد بأزلية هذه الدولة الإلهية، لهذا جعل الله للعنصر المختار ملكاً، وأرضاً، ودولةً هي هذا الملك، وهذه الأرض، وهذه الدولة.
5- انحراف العنصر العبري عن الطريق، أدى إلى انفلات الملك منه.
6- وجوب العمل على استرجاع الملك الضائع بكل عقل، وقلب.
7- لزوم استرجاع الملك، لأنه لم ينحرف بالكامل وهناك بقية صالحة، وبهذا يصدق عهد (يهوه) بأن ملك العنصر العبري –الذي هو ملكه– لن يزول .
8- العمل الجاد للعودة الفعلية لأرض فلسطين [1].

ثم عقب الفاروقي على ذلك: "أن العقائد عبارة عن السبع نقاط الأولى وأن النقطة الأخيرة الثامنة، هي المادة العملية، والتي تستهدف تحويل ما في العقل والقلب إلى حقيقة تاريخية واقعية"[2]، والتي هي بمعنى الصهيونية، وتذكر اليهود بأرض فلسطين، وتذكرهم بأنهم هم العنصر اليهودي الذي هو فوق الأمم.

وقد هدف الفاروقي إلى هذا التحديد إلى كشف خبايا العقلية اليهودية التي تقوم على العنصرية، وكشف محاولتهم عمل غطاء عقائدي لكل الجرائم التي ارتكبوها في حق فلسطين

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص71.

([2]) أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص72.

وأهلها، وإلى كشف فسادهم الأخلاقي على مدى الأزمان، وقد كان وصفه وصف تاريخ دقيق، من خلال مراجعته العميقة للتوراة.

واستعان الفاروقي في تحديده مقومات الدين اليهودي بالتوراة التي استق منها كل المعلومات، بوصفها كتاب ديني تاريخي، يصف حال اليهود في القب الزمنية المختلفة، ولو أضاف الفاروقي بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لأضافت لهذا التحديد البعد الإسلامي.

ثانياً: منهج الفاروقي في بيان تحريف اليهود للتوراة:

درس الفاروقي توراة اليهود دراسةً معمقة، محاولاً سبر غورها، وبيان الفاسد منها والصالح، وكانت دراسته كما يلي:

1- بيان ماهية التوراة التي يقدسها اليهود:

خلص الفاروقي إلى أن التوراة التي بين أيدينا الآن، هي الكتاب الذي جمعه (عزرا)[1]

حوالي سنة 425ق.م والذي أصبح كتاباً دينياً بالمعنى الحرفي، بعد عودة اليهود من منفاهم في القرن السادس، واسمها عندهم: التوراة أو القانون أو الأسفار الخمسة (التكوين ، الخروج ، اللاويين ، العدد ، التثنية) أو(البانتتيك) (Pentateuch)، مع الأخذ بعين الاعتبار أن هناك بعض التغييرات التي لابد دخلت إليه بسبب النسخ والحفظ عن ظهر قلب. والأسفار التي يسميها المسيحيون بالعهد القديم هي بمثابة شروحات وتعليقات وحواشي تاريخية وعقائدية، على الأسفار الخمسة، ويكنون لها كل الاحترام، ولكن الاسفار الخمسة فقط هي من لها الجدارة باعتبارها نص مقدس[2]، وهذ كان السبب الأساسي الذي دعا الفاروقي إلى دراستها، مع اهتمامه الشديد أيضاً بنقد التاريخ المدون في العهد القديم.

2- تحديد البعد الزماني لكتابة النص التوراتي من خلال الاستقصاء التاريخي:

([1])عزرا: (القرن الخامس–القرن الرابع ق.م) زعيم اليهود العائدين من الأسر البابلي، وأعاد تنظيم المجتمع بناءً على الأسفار الخمسة، يحتل عند اليهود مكاناً رفيعاً، وينسب له سفر عزرا الذي يدور حول عودتهم من الأسر البابلي وإعادة بناء الهيكل. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص286.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص8.

حيث شرح الفاروقي أن هذا الذي يسمى بالتوراة، ليس كتاباً واحداً ذا مؤلف واحد، بل هو مجموعة نصوص من عدة أقلام على مدى عصور كثيرة، فقام بتوضيح الخيوط الزمانية في التوراة والتي تبين تاريخ كتابة كل نص، ففيه القديم جداً والمتوسط والحديث، وهذا ما تجده في كل صفحة من صفحاته، لكن مع ذلك فإنه من السهل على الباحثين اكتشاف القديم والجديد وعزلها عن بعض.

ثم رمّز الفاروقي الكتابات في التوراة إلى أربعة خيوط زمنية، فأول الخيوط يرمز له بالرمز (J) هو الذي سمي فيه الإله بـ(يهْوَه)، والخيط (E) هو الذي سمي فيه الإله بـ(ألوهيم)، والخيط (D)، هو الذي أدخلته حركة الإصلاح التشريعي بين الأعوام (609 و 640 ق.م)، والخيط الأخير (P) الذي يشير إلى تشريع الطقوس التعبدية والقربانية، والتي بلورها (عزرا) والتي تؤلف معظم مواد هذا الخيط [1].

وبين بعد ذلك الأزمنة المتفق عليها لهذه الخيوط وهي: القرن العاشر ق.م للخيط(J)، والقرن الثامن ق.م للخيط(E)، والقرن السابع ق.م للخيط(D)، والقرن الخامس ق.م للخيط(P)، ولم تدخل هذه الخيوط على التوراة دفعة واحدة بل تكونت ببطء بعد أن ألِفَها الناس شيئاً فشيئاً، إلا ما كان من عزرا من مراجعة وتحريف وتشريع[2].

اهتمام الفاروقي بهذه الخيوط، وبيانها، وشرحها بالتفصيل؛ أعطى القارئ للتوراة الأداة التي من خلالها يستطيع التمييز بين نصوص التوراة، من خلال هذه الرموز، وحتى يستطيع القارئ أن يعرف وحده أي النصوص أقرب إلى الصحة أو أقرب إلى الخيال. ومن جانب آخر حتى يعطي الفرق الكبير بين القرآن وغيره من الكتب، فالقرآن كما هو، من لما نزل على قلب محمد ﷺ إلى هذا اليوم، لا تغيير عليه، ولا زيادة ولا نقصان.

([1])انظر: المرجع السابق، ص12.

([2])انظر: نفسه، ص14.

ثالثاً: منهج الفاروقي في بيان عقيدة اليهود في التوحيد:

بين الفاروقي مفهوم الألوهية في اليهودية، عبر تتبع نصوص كتابهم المقدس، وما يقوله عن الله وأفعاله، للتحقق من مدى تماسكها الداخلي، وعدم تعارضها. منطلقاً من (العصر الأبوي) والذي هو عصر إبراهيم عليه السلام وولده؛ حيث أكّد أنه عصر تتجاذبه نزعتان متناقضتان، بقيتا جنباً إلى جنب، رغم تدافعهما، من ذلك العصر إلى وقتنا الحاضر[1] هاتان النزعتان هما نزعة الحنيفية، والتي تعود لإبراهيم عليه السلام، بما فيها من سمو وأخلاق عالية، ونزعة أخرى عنصرية، وما تشيعه من تعصب عرقي، إلا أن نزعة التعصب بقيت المسيطرة [2]. وقد بين الخلل التوحيدي من خلال:

1- الاستدلال على فساد العقيدة من خلال الاستفهام عن المعنى اللغوي:

وكما ذكر الفاروقي أن اسم الإله بُدل؛ فالإله (يهْوَه) لم يكن معروفاً في مصر ولم يكن العبرانيون يعرفونه قبل خروجهم إلى سيناء، وإنا ذكر اسم (يهْوَه) لأول مرة عندما سأل موسى الله تعالى:" ما عساي أن أقول لهم إن سئلت من أرسلني" [3]فأخبره الله أن يخبرهم أن (يهْوَه) هو من أرسلني، يرد الفاروقي على هذا القول بأن (يهْوَه) هذا هو إله الجبل؛ الذي كان يعبده السينائيون والمدْيَنِيون –أي أهل سيناء ومدين–، ثم يبين الفاروقي أن معنى كلمة (يهْوَه) بقوله: "أي الكائن الذي يكون، وهي أحد الصفات التي كانت تطلق على (آمون رع) وعلى (آتون)–وهذه أحد الآلهة في حضارة مصر الفرعونية – من بعده" [4].

يريد الفاروقي أن يبين عظيم التأثر العقدي لليهود، وقد زادوا على دينهم من خلال احتكاكهم بالشعوب والحضارات المختلفة كما حصل مع الفراعنة، وحضارة المدن التي هجروا إليها في عصر الخروج كسيناء ومدين.

2- التدليل على فساد العقيدة من تعقب أفعالهم عبر التاريخ:

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص93.

([2])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص99.

([3])سفر الخروج ، (3: 12–14).

([4])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص39.

توصل الفاروقي إلى قناعة أنه "من السخف بمكان أن نقر ادعاء اليهود عن أنفسهم والنصارى أن اليهود موحدون، وليس من عالم توراة اليوم لا يقر ويعترف بأن في كلام التوراة عن الملأ الأعلى غشاوة، وأن نظرية الإله تطورت فيها بمراحل عديدة "[1]، ويؤكد الفاروقي حقيقة أن إله اليهودي في جميع العصور ليس إلهاً بالصورة التوحيدية المعروفة [2]، فالتوحيد لله يقتضي أموراً، وهي:

أ- رفض جميع الآلهة الأخرى، أي عدم الإشراك بالله غيره أبداً.

ب-التوجه بالعبادة لله وحده، أي توحيد الألوهية.

ج- إلزام أتباع التوحيد من دعوة الآخرين إلى الله، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الديانة ليست حكراً على قوم دون آخرين [3].

قام الفاروقي بإسقاط هذه الشروط على إلهيات اليهود، فظهر أنهم ليسوا موحدين، وأنهم على دينٍ ما أنزل الله به من سلطان، يقول الفاروقي: "فلا شك أن التوراة كانت في يوم ما كتاباً إلهياً عزيزاً؛ إلا أن اليهود، لا سيما (داوود) وكهنته و(عزرا) ورجاله، حرفوها وزاغوا فيها عن أهدافها الإلهية ومراميها الأخلاقية العالمية، فجعلوا منها كتاباً تعصبياً عنصرياً؛ حتى اسم الإله بدل، فبدل أن يدعى باسم الحق وهو إله العالمين، ورب البشر، جعلته العنصرية إله إبراهيم، ويعقوب وإسرائيل فحسب، وإن كان له علاقة بالعالمين في نظر العنصرية فلقهرهم فقط لصالح شعبه المختار" [4].

3- بيان مقصد الفاروقي عند ذكره اسم داود:

لكن الفاروقي ذكر اسم داود، من يقصد بداود؟ أهو نبي الله داود عليه السلام المذكور في القرآن بأنه رسول من عند الله معصوم، أم أنه شخص آخر، يمكن أن يكون هناك تأويلان لهذا الكلام، وهي كالتالي:

([1])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي ص96.

([2])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص92.

([3])أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص98-99.

([4])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص95.

أ- كان يقصد أنه شخص آخر، غير داود نبي الله، لكن وجب عليه التنويه حتى لا يحدث لبس عند القارئ.

ب-أو أن الفاروقي يقصد بما هو موجود في التوراة أن داود ملك وليس نبي، كما هو اعتقاد اليهود، فقد جاء في سفر الملوك الأول، الإصحاح الأول ما نصه { وشاخ الملك داود}. ويؤخذ على الفاروقي عدم رده على هذه المغالطة، والتعلق عليها، وربما كانت العلة وراء ذلك؛ اتبع المنهج الظواهري الذي من أساسياته الرد على الخصوم من خلال ما هو موجود عندهم، وكلام الفاروقي وكتاباته موجهة إلى الجمهور الغربي، الذي يؤمن بالكتاب المقدس، فأورد هذا النص بلا تعليق.

يتبين من العرض السابق، وبالرغم من بعض الغموض والضبابية، إلا أن الفاروقي استطاع بهذه الكلمات شرح العصبية اليهودية، والتي جعلتهم يغيروا دينهم ويبدلوا كلام الله، لينزلقوا من الحنيفية التي كان بها إبراهيم، إلى وحل التشبيه والانحراف.

وقد استعان الفاروقي بنصوص التوراة التي استدل بها على ما أورده من انحرافاتهم، وقد كان الفاروقي يستدل بالتوراة كما هي بنصها الأصلي، ثم يقوم بتفسير هذا النص، لكنه أغفل النصوص القرآنية التي تحدث في هذا المجال.

رابعاً: توضيحه تطور ديانة اليهود في المنفى:

بين الفاروقي أن ديانة اليهود تغيرت على مدى الزمان، وقد وضح ذلك من خلال:

1- بيانه للتأثير الجغرافي في التطور:

شرح الفاروقي أن أحوال اليهود تغيرت، بتغير المكان والحياة عليهم، كما توضح في المبحث السابق، حيث انتقلوا من الحياة في أرض فلسطين، إلى العراق، ومن حياة الحرية إلى شبه العبودية، ومن الانفتاح إلى الانغلاق، أثرت هذه الأحوال فيهم مما دفعهم إلى تغير تعاملهم مع دينهم، فكما يبين الفاروقي أنهم في المنفى لأول مرة أصبح لديهم كتاب مسطور في ورق، وهذا هو الذي ظل عليه الدين اليهودي حتى العصر الحديث، فدوَّنوا أسفار الكتاب المقدس، وخاصة الأسفار الخمسة الأولى المسماة (Pentateuch) واعتباروها كتاباً مقدساً، وأصبحت بعد ذلك قانوناً مطلقاً؛ لأنها مجسمة لإرادة الله وأوامره، فلا يجوز تغييرها ولا تبديها، وأقفل باب

النبوة في إسرائيل، فكل إرادة الله في التوراة، فما الحاجة إلى أنبياء آخرين؟ وبماذا سيأتون غير الذي عندنا؟ وأصبح التطلع عندهم إلى قادة وزعماء لا إلى أنبياء كما كانوا [1].

2- **استقصاء أثر الجوار الاجتماعي لليهود في التأثير على عقيدتهم:**

ثم تغيرت أمور أساسية في عقيدتهم، فكما شرح الفاروقي أن العقيدة الدينية لليهود تغيرت في المنفى، فمن مجتمع يقوم حول طقس ديني واحد وهو القربان في الهيكل الواحد، إلى شعب في المنفى اصبح يتمسك بالتراث والقانون، وأصبح معنى كلمة يهودي أي الذي أصله من يهوذا، أصبح أهم مميز لليهودي عن غيره هو الختان والسبت، وأصبحت هي الفاصل بين الانتماء إلى الميثاق-أي العضوية في الشعب اليهودي- من عدمه [2]، ولقد أوضح الفاروقي أسباب تطور الدين اليهودي في عصر المنفى وما يليه، وهي:

أ- **تبني اليهود لنظرية الملائكة والشياطين:** هذه النظرية التي كانت سائدة في الدين الفارسي، فاعتقدوا بعد الهزيمة بأن يهوه لم يعد دائم الوجود بينهم، ونتج عن ذلك الإقصاء للإله أن جاءت الملائكة تقوم بهذا الاتصال، وتعمل كوسيط بين الإله والشعب المحبب[3].

ب-**نشأة الوعي الأخروي عند اليهود:** فلم يكونوا قبل المنفى يعتقدون بأية آخرة، ويرون أن الموت خاتمة كل شيء، فنسخوا الفكرة الأخروية الفارسية، حتى يبرروا لأنفسهم الهزيمة التي حلت بهم، وأن الله سينصرهم بالنهاية، ومن هنا بدأ الإيمان باليوم الآخر، أي يوم المحاكمة والانتصار للشعب المختار [4]، فالديانة اليهودية كما بين الفاروقي لم تظل محافظة على ما كانت عليه كما نزلت على أنبياءهم، بل تطورت، وأهم عامل لهذا التطور، هو عامل المكان والاختلاط مع الشعوب المختلف، ومن الأمور التي تطورت عندهم أيضا اعتقادهم بالأفضلية المطلقة على الناس.

([1])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص12-13.

([2])انظر: المرجع السابق، ص9

([3])انظر: نفسه، ص15

([4])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص15

نخلص إلى أن الفاروقي تتبع المسار التاريخي لليهود من خلال تأثرهم بالمحيط الذي كانوا يعيشون فيه، بما يثبت تزييفهم للتوراة، وقد ذكر الفاروقي المصادر التي استقى منها هذه المعلومات، والتي كانت من خلال فحصه لكتابات الغربيين حول هذه الحقبة الزمنية التي عاشها اليهود.

خامساً: إبطاله نظرية الاصطفاء:

يوضح الفاروقي اعتقاد اليهود من قديم الزمان بالاصطفاء، وأنهم شعب الله المختار، وقد اخترعوا تبريرات من عند أنفسهم حتى يقنعوا شعبهم، وحتى يلبسوا على الآخرين أمور دينهم، كما أن بعض أتباع المسيحية أيدوا هذه الفكرة، وساقوا لها تبريرات، ومن هذه التبريرات التي أوردها الفاروقي، كما ذكروها هم:

1- التبرير الأخلاقي الفاسد:

حيث يبرر اليهود اختيار الله تعالى لهم تبريراً أخلاقياً، وفحواه تتمثل في أن الله اختص اليهود بالرسالة كي يحقق سيطرة القانون الأخلاقي على العالم، فاليهود في هذا الرأي شعب الله المختار؛ لأنهم باختصاصهم أمة قائمة على التوراة، والتوراة هي القانون الأخلاقي المطلق، ويرد الفاروقي على هذا الادعاء أنهم لم يمتثلوا بالأخلاق التي يدعون الانتساب إليها، وإن التوراة تأكد مراراً وتكراراً أن الله اختارهم بالرغم من عدم أخلاقهم، لهذين السببين لا يجوز لليهود تبرير اختيارهم على أساس خلقي [1].

2- دعوى التوحيد المزيفة:

والتبرير الآخر لاختيار الله لهم، أن الله جعل ابراهيم وذريته من بعده مختارين نظراً لتوحيدهم، وهذا باطل نظراً لأن قصة التوحيد التي شاعت عن إبراهيم وتحطيمه للأصنام

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص21-22.

مصدرها الأول والأخير القرآن الكريم، ولم تصل إلينا هذا القصة؛ كما يقول الفاروقي من أي مصدر آخر من المصادر[1].

هذه كانت التبريرات التي بررها اليهود حتى يقنعوا أنفسهم أن عقيدة (الاصطفاء) لم تكن من عند أنفسهم؛ بل كانت بقرار إلهي، والفاروقي لم يذكر تبريراتهم وتوقف، بل رد عليها رداً يزيل اللبس، ويبين بلا شك خطأها، ثم زيادة للتأكيد فإن الفاروقي أورد مبررات المسيحية حول هذا الاختيار الإلهي، الذي هو:

3- التبرير المسيحي المغلوط:

أن هذا الاختيار من الله أراد الله أن تكون سلالة بشرية ينحدر منها المسيح ﷺ ، يرد الفاروقي على هذا الادعاء بقوله: "وعلى فرض صحة أن عيسى هو المخلص بالفعل، فما علاقة هذا الانحدار السلالي بهذا التخليص؟ وهل لابد من الانحدار من سلالة معينة للقيام بأعباء التخليص؟ أفلا يجوز على الله أن يضع رسالته إلا في سلالة معينة؟ وإن كان لابد من التفضيل، فعلى أساس أخلاقي، أي أن أخلاقية السلالة تكون سبباً في اختيارها وعاءً للرسول أو الرسالة، بدلاً من العكس"[2]، هذه من أهم المبررات المسيحية التي ساقها الفاروقي، وقد رد عليها الفاروقي كما رد على غيرها [3].

ثم إن الفاروقي قد قدم خلاصة للأقوال والردود مفادها "بأن المبرر الإبراهيمي لا مبرر له ولا علة، وكونه بدون سبب يجعل منه أساساً صالحا لبناء العنصرية، فالعنصرية تقول: (أنا أفضل منك لأني أنا)، ولو جاءت بأي سبب معقول أو غير معقول، حقيقي أو كاذب لفسدت العنصرية"[4].

لم يقف الفاروقي موقف النافي لهذا الاصطفاء، أو الاختيار فقط، بل استدعى الأدلة من عندهم، ثم من عند أكثر الناس قرباً منهم في الوقت الحاضر –المسيحيون– ثم قام بالرد على كل الادعاءات التي ادعوها.

([1])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص23.

([2])المرجع السابق، ص23-24.

([3])انظر: نفسه، ص25-28.

([4])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص27.

سادساً: منهجه في بيان عقيدتهم في المسيح المخلص:

ذكر الفاروقي عقيدتهم في المسيح المخلص، من خلال تتبعه الزماني والمعرفي، وقد كان عرضه لعقيدتهم كما يلي:

1- التأصيل الزماني:

يرجع الفاروقي عقيدتهم في المسيح المخلص إلى عصر ما قبل المنفى، عصر الانقسام والحروب، التي كانت دائرة بين أبناء سليمان ﷵ ومن جاء بعدهم، فيقول: "كان اليهود كلما ساءت ظروفهم وأحوالهم الحاضرة، أمعنوا في هذا التذهيب إلى أن جعلوا لمملكة داود أكثر مما كان يحلم داود نفسه، وبدلا من أن يعملوا شيءً لإعادة مملكة داود فعلاً، أخذوا يتطلعون إلى بطل يعيد لهم هذه المملكة " [1]، يشرح الفاروقي أن عند عصر داوود ﷵ وسليمان ﷵ أفضل عصرٍ عاشه اليهود، لما أثر عنهما من ثروة ورخاء. فصار بالنسبة لهم عصر ذهبي، وكلما ألمت بهم محنة تذكروا هذا العصر وما كانوا في همن رخاء، ولكنهم يعتقدون أن الله هو الذي سيبعث بالقائد المخلص الذي سيعيد لهم الأمجاد، وسيعيده إلى أرضهم، يقول الفاروقي معلقاً على هذا الحادث: "فإذا كانت المملكة الداوودية هي عمل الإله، فلا شك أن الإله ليس بحاجة إلى نشاطهم وعملهم لإعادة بنائها، فهو سينشئها للمرة الثانية مثلما أنشأها في المرة الأولى بفعل بطل" [2].

2- التأصيل المعرفي:

ثم يبين الفاروقي أن هذه العقيدة مستنسخة، لم تكن من عند اليهود ابتداءً، فهم لما ألَّهوا داود ﷵ ومملكته وذريته، اقتبسوا ذلك من الكنعانيين، الذين ألهوا الطبيعة وتصوروا أن الإله الملك يموت في كل شتاء ويبعث في كل ربيع، قلدهم اليهود فألهوا نظامهم السياسي، أي مملكة داود ﷵ، جاعلين منها عمل الإله بالذات وحرفياً، إلى أن أصبح الولاء ليهوه يعني الولاء للملكة

([1])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص60-61.

([2])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص61.

ولداود ولأورشليم، وأصبح التعبد نفسه لله ليس إلا ولاءً وتمجيداً المملكة الداوودية[1]، هذا الاستدلال يبين على مكانة الفاروقي العلمية من حيث القدرة على الإتيان بالدليل المستنبط بأدق عبارة وأوضحها.

لكن يرد سؤال هل يستحق اليهود أن يأتي لهم مسيح مخلص، يرفعهم من دار الشقاء إلى دار النعيم، ويعيد لهم أمجاد ماضيهم الذي يحتفون به، ويعيدهم إلى الأرض المقدسة؟

3- الرد على نظرية (البقِيَّة) عند اليهود من خلال المقارنة مع الإسلام:

ذكر الفاروقي هذا الاستفسار ثم أورد ردَّهم عليه، بـ(نظرية البقية)، كتبريرٍ للانحراف، حيث أورد تعريفهم لهذه النظرية بقوله: "مهما تحول الشعب اليهودي عن يهوديته ومهما عصى أوامر يهوه، ومهما خالف في طقوسه، وعاداته ما رسمته له الدولة الداوودية، فإن بقية منه لم تنحرف ولن تتخلف، بل تبقى باقية عل إخلاصها وخيريتها" [2] ، لا يدع الفاروقي هذه النظرية تمر مرور الكرام، فإنه يعقب علها، بأن لها أهدافاً، فالهدف البعيد الذي تحققه هذه النظرية هو: التمكين من الابقاء على الشعب اليهودي، أي العنصرية، فهي أداة للعنصرية، فطالما أن هناك بقية صالحة؛ فالهلاك الكلي ليس ضرورياً؛ ولكن الخلاص ليس للجميع، وطالما أن الحكم بالهلاك ليس مطلقاً فيستطيع اليهودي الإفلات من الأخلاق متى شاء، على عكس الصرامة الموجودة في الإسلام والتي جاءت جواباً على الميوعة اليهودية أو الاحتيال الأخلاقي على الأخلاق [3]، تشبه هذه النظرية ما هو موجود في الإسلام، من بقاء الخير والعدل في أمة الإسلام إلى قيام الساعة، والتي تختلف عن الموجود عند اليهود، حيث أنه في الإسلام يحتاج المرء إلى الجهاد والصبر، والتمسك بدين الله حتى لو لم يجد على الحق أعواناً، أما عن اليهود فإن اليهودي مصرَّحٌ له بفعل أي شيء، وفي النهاية سيأتي المخلص ليذهب بالنصر للجميع، ويوم القيامة هم في الجنة وغيرهم في النار.

([1])انظر: المرجع السابق، ص55.

([2])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص64.

([3])انظر: أصول الصهيونية في الدين اليهودي، الفاروقي، ص64.

مما سبق نخلص إلى أن الفاروقي فصل الخل الموجود عند اليهود في عقيدتهم في المسيح المخلص، من حيث التأصيل الزماني والتأصيل المعرفي، حيث بين بالأدلة كيف تطورت هذه العقيدة على مدى الزمان، ثم كيف أن اليهود استنسخوها من أقوام آخرين، ليثبت بذلك فساد هذه العقيدة، وقد استعان الفاروقي بالدرجة الأولى بالتوراة، ثم بالكتب التاريخية الغربية التي تشرح أهم الحقب التاريخية عند اليهود.

سابعاً: إبطاله قدسية السبت:

يقرر الفاروقي أن اعتقاد اليهود في يوم السبت، يمثل التشريع الأكثر أهمية في الديانة اليهودية، لكونه يمثل العلاقة الخاصة بينهم وبين الله، وقد جاء في التعاليم الربانية اليهودية أنه إذا حافظت كل إسرائيل على سبتين أو سبت واحد بكل تفاصيله، فإن إسرائيل سوف تتخلص من المنفى على الفور، ومن يأكل الوجبات الثلاث يوم السبت فسوف ينجو من بلاء أيام المسيح، ومن حساب جهنم، ومن حرب يأجوج ومأجوج [1]، فاليهود الآن قد عادوا من المنفى، فهل انتهى عملهم بهذا الطقس السبتي، أم أنهم لا زالوا عليه، وإن اليهود أصلاً كانوا معذبين بالسبت، وقد مسخوا قردة وخنازير لمخالفتهم أوامر الله في السبت، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: 65].

هكذا بين الفاروقي أهم المعتقدات عند اليهود، وذكر النزعتان المتضادتان عندهم من حيث النزعة الحنيفية التوحيدية والنزعة العنصرية، بما فيها من انعدام للأخلاق، كما بين أهم النقاط الدالة على التحريف في التوراة، وعلى الخلل التوحيدي الواضح.

([1]) See: Christian Ethics, Al Faruqi, , page99.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية.

درس أبو زهرة والفاروقي العقائد اليهودية، حيث كان لكلٍ منهما منهجه وأسلوبه في التعامل مع العقائد اليهودية المختلفة، حيث التقيا في مواضع، واختلفا في أخر، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: نقاط الاتفاق بين أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للعقائد اليهودية:

1- أثبت أبو زهرة والفاروقي التحريف الموجود في التوراة، وأنها ليست التوراة التي أنزلها الله على موسى، وأنها كانت في يوم من الأيام على أصالتها وصحتها ولكن حدث التلاعب فيها والتحريف على مدى السنين.

2- اتفق أبو زهرة والفاروقي على سيطرت التوجيهات المادية على اليهود في حياتهم، وعقائدهم، ومعاملاتهم، وأخلاقهم، حتى أنها قادتهم إلى تجسيم الإله، وإلى إنكار الإيمان باليوم الآخر.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للعقائد اليهودية:

بين أبو زهرة والفاروقي العديد من العقائد الفاسدة عند اليهود، ولكن كان لكل منهم منجه المتبع، وقد كان ذلك كما يلي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- أثبت أبو زهرة أن اليهود كما أنهم حرَّفوا التوراة التي عندهم، فإنهم حاولوا تحريف القرآن الكريم، عن طريق التفسير.

ب-أشار أبو زهرة إلى الخلل التوحيدي عندهم، وذلك لسعيهم الحثيث على نشر الإلحاد بين الناس كافة، دون بني جنسهم، فالذي يسمي نفسه موحداً لا يدعو الناس إلى الإلحاد.

ج- انفرد أبو زهرة ببيان إنكارهم لنبوة محمد ﷺ مع علمهم بأوصافه، من خلال ما هو مسجل عندهم في كتبهم المقدسة.

د- عَدَّد أبو زهرة أوجه تعامل اليهود مع النبيين، فقد كان على أحد وجوه، من خلال قتلهم أو محاولة ذلك، أو تكذيبهم وتشويه سيرتهم أمام الناس، أو الإيمان بهم مع رفعهم إلى مقامات تقارب الألوهية، فقد فعلوا ذلك مع داود ﷺ.

هـ-شرح أبو زهرة عداوة اليهود مع رسول الوحي جبريل.

و- وضح أبو زهرة النتائج التي انبثقت عن دعواهم أنهم شعب الله المختار، وهي مادية التعامل، والنفاق، والتعصب الشديد ، والسرية المطلقة في أمور العقيدة، في حين أن الفاروقي عدد مبرراتهم لاختيار الله لهم باختراعهم نظرية الاصطفاء، (شعب الله المختار)، والتي تمثل مبررهم الأخلاقي والتوحيدي، مع التأكيد ف هذا المقام على وثنيتهم.

ز- أكد أبو زهرة على وجود التحريف في التوراة، فأدلة التحريف عند أبي زهرة كانت من خلال تأثرهم بالفلسفة اليونانية، وأن في التوراة ما يناقض الأديان ومكارم الأخلاق، والدليل من القرآن على التحريف.

2-ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- أثبت الفاروقي تحريف التوراة من خلال إثبات الخيوط الزمنية المختلفة في التوراة والتي تثبت أن التوراة كتبة في أزمان أربعة مختلفة، وعلى يد أشخاصٍ مختلفين.

ب-الفاروقي واسم الله (يهوه) الذي أخذه اليهود من القبائل التي هاجروا إليهم بعد الخروج من مصر، تأثروا بحضارة المدن، والتي من أبرز معالمها: اقتباسهم منهم بعض الأمور العقدية والتشريعية، مثل المسيح المخلص.

ج- اعتمد الفاروقي على المنهج التاريخي في ذكر التطور العقدي الذي مرت به عقيدة اليهود، وخاصة في المنفى، مع ذكره لأسباب هذا التطور.

د- ذكر الفاروقي نظرية (البقية) كتبرير للانحراف، واليت اعتمد عليها اليهود ليثبتوا استحقاقهم للاصطفاء مهما ابتعدوا عن الجادة وطريق الصواب، مع رد الفاروقي عليهم، وإثباته لبطلان هذه النظرية، وهذا ما لم يذكره أبو زهرة.

هـ-قرر الفاروقي عقيدة اليهود في يوم السبت، وبين أهمية التزام اليهود بهذا الطقس الديني، لما له من أثر في عودتهم من المنفى.

و- تميز الفاروقي باعتماده على نصوص التوراة، والتي كان يستدل بها كما هي، وليس بالمعنى، مما أعطى بحثه القوة في الاستدلال أكثر من غيره.

كانت هذه ابرز ملامح منهج كل من أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد اليهودية، حيث بين كل منهما أبرز العقائد اليهودية، مع إثباتهما التحريف الذي وقع في التوراة، بما يقدح في صحة العقائد المستنبطة منها، وقد شرحا التأثير الكبير لنشأة اليهود على عقيدتهم، ثم اتجه كل منهما إلى شرح أبرز الفرق اليهودية، وقد كان لكل منهما مهجه الخاص في ذلك.

المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية:

انقسم اليهود في مختلف مراحلهم التاريخية إلى فرق دينية عديدة، ادَّعت كل منها أنها هي الأصح، وأنها الأكثر تمسكاً بالدين اليهودي، وبروحه من غيرها، وصدق الله تعالى حين وصف حالهم بقوله: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر: 14].

ويعتبر هذا التعدد تعدد تضاد، والذي أدَّى إلى تحولهم لفرق وجماعات متناحرة، وما وقع ذلك الخلاف والتفرق إلا بعد أن جاءهم العلم، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: 105]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً) [1]. وقد ذكر أبو زهرة والفاروقي بعضاً من هذه الفرق في معرض حديثهما عن اليهود في كتبهم المختلفة، وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق اليهودية

تطرق أبو زهرة إلى الحديث عن فرق اليهود المختلفة في كتاباته، ومحاضراته المختلفة، وقد عدد هذه الفرق بناءً على منهجه في دراسة اليهود، وقد كان ذلك على النحو التالي:

أولاً: استنباطه أسباب الفُرقة عند اليهود:

حيث ذكر أبو زهرة أن هناك سببين اثنين كانا سبباً في الانقسام الحاصل عند اليهود، يحصرها بالتالي:

1- ميل اليهود إلى التوفيق بين معتقداتهم الدينية والعلم الغربي الذي كان متأثراً بالعلم اليوناني.

([1])سنن الترمذي، حديث رقم (2640)، ج4 ص322، وقال عنه الترمذي حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، حديث رقم(203)، ج1 ص402.

2- أن المفكرين اليهود الذين استمدوا آراءهم من الفلسفة اليونانية، رأوا أن يوفقوا بين معتقداتهم الفلسفية، والقضايا الدينية المحضة التي جاء بها المشارقة[1].

يعقب أبو زهرة على هذين السببين فيقول " ومن أي الجهتين نظرنا، رأينا أن النتيجة، كانت فلسفة دينية، لا هي فلسفة محضة، ولا هي دين خالص"[2]، أي أن الدين اليهودي بعد هذا التحول والانقسام الذي حصل له، فإنه ابتعد عن كونه ديناً خالصاً، وتفرق الناس إلى فرق متعددة، يعادي بعضها بعضاً يقول أبو زهرة: "وكل فرعٍ بما عنده يشايع فرعه، ويعادي غيره"[3].

ثانياً: تقسيمه للفرق حسب المرجعية المعرفية:

قام أبو زهرة بتقسيم الفرق اليهودية المختلفة، وذلك بحسب مرجعيته المعرفية، وقد كان تقسيمه على النحو التالي:

التقسيم الأول: الاختلاف حول قدسية بيت المقدس:

1- الربانيون:

وهم الذين أخذوا بما في التلمود، واعتبروا أن بيت المقدس هو البيت الذي بني ثانياً بعد التخريب الثاني، وأن هذا البيت الذي بني يشبه البيت الأول تماماً، وينزلونه منزلته في التقديس والاحترام [4].

2- القرَّاء:

"وهم لا يعتبرون في التقديس إلا البيت الأول، ولا يعتبرون بقدسية التلمود، ويقتصرون على ما في التوراة فقط" [5].

3- السمرة:

([1])انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص20.

([2])تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص20.

([3]) زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج5 ص2754.

([4])انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص19.

([5])تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص19.

وهم من الفرس الذين تهودوا وأقاموا بالشام، وهؤلاء يزعمون أن التوراة التي بأيدي اليهود ليست توراة موسى، وأما توراة موسى فهي ما بين أيديهم [1].

بنى أبو زهرة هذا التقسيم على أن اليهود بعد خراب بيت المقدس اختلفوا في بعض تفسيرات الكتاب المقدس التي تَعْتبر أن لبيت المقدس قدسية كبيرة، وهذا هو الذي أدى إلى الخلاف بينهم، ثم التفرق في النهاية إلى فرق متعددة، لكل منها تفسيراته ومذهبه.

لكن أبو زهرة لم يخبر بالمصدر الذي أتى منه بهذه المعلومات، ولم يفصل في عقائد هذه الفرق المختلفة، واكتفى بعرض مقتضب حول هذه الفرق المختلفة.

التقسيم الثاني: على حسب فهمهم للتوراة، واستنباط الأحكام منها:

1- **الفروشيم (الفريسيون):**

معناها المعتزلة، وهؤلاء "يقولون بما في التوراة على معنى ما فسره الحكماء من أسلافهم"[2]، وهؤلاء لا يؤمنون بيوم الآخرة قط [3].

2- الصدوقيون:

هم من "يقول بنص التوراة وما دل عليه القول الإلهي فيما دون ما عداه" [4].

3- الصلحاء:

"ومذهبهم الاشتغال بالنُّسُك والعبادة لله، والأخذ بالأفضل والأسلم في الدين" [5].

وقد بنى أبو زهرة هذا التقسيم على استنباطهم للأحكام من خلال فهمهم المختلف لكتاب التوراة الذي عندهم، فمنهم من التزم بالتعاليم على وجهها الظَّاهر، ومنهم من أوَّلها، ومنهم من سكت، واتخذ طريقاً وسطاً بين ذلك، يقول أبو زهرة في ذلك "ويبدو من فرقهم أن الاختلاف في

([1]) تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص19.

([2])انظر: المرجع السابق، ص19.

([3])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج6 ص3275.

([4]) تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص19.

([5]) المرجع السابق، ص19.

شأن الكتاب كان في فهمه، حتى ضلوا وحرَّفوا الكلم عن موضعه، وأتوا بكلام لم ينزل على موسى، وقالوا إنه من الكتاب، وليس منه في شيء" [1].

التقسيم الثالث: إضافة فرقة خارج التقسيمات السابقة: (فرقة السامرة)

ذكر أبو زهرة أن هذا الفرقة من بعض اليمنيين الذين اعتنقوا اليهودية، ولكن اليهود لا يعتبرون اليهودية ديناً فيه إصلاح البشر وصلاحه، ولكنهم يعتبرونه جنسية، ولذلك لم يضموا اليمنيين الذين دخلوا في اليهودية إليهم، ولم يضعوهم في جماعتهم، ويطلق اليهود على هذه الفرقة اسم السامرة، ولقد عاشر السامرة الأوس والخزرج في موطنهم الأصلي باليمن، ولما هاجر أولئك الوثنيون إلى يثرب–المدينة– هاجر اليهود أيضاً، إلى ما حول يثرب، فهاجر بنو النضير وبنو قريظة، وبنو قينقاع، وخيبر، ولم يندمجوا في الشعب العربي، بل اتخذوا حصوناً تحتويهم حيثما أقاموا [2].

هذا ما توصل له أبو زهرة في عرضه المقتضب حول الفرق اليهودية المختلفة، والتي لم يفصل فيها كثيراً بل التزم الموضوعية والنقل، ولكن هناك بعض المآخذ على منهج أبي زهرة في حديثه عن الفرق اليهودية المختلفة:

1- أنه اقتصر على ذكر الفرق اليهودية القديمة النشأة، ولم يتحدث عن الفرق اليهودية الحديثة. كالإصلاحيين والأرثودوكس والمحافظين.
2- لم يذكر جميع الفرق القديمة، فهناك من الفرق التي لم يذكرها مثل (الكَتَبَة، السبئية، الحَسَيديم، العنانية، العيسوية) [3].
3- لم يبين الفرق العقدي أو التشريعي أو الإنشائي للفرق اليهودية المختلفة.
4- أغفل أبو زهرة –مع اهتمامه الكبير بالقضية الفلسطينية– ذكر الصهيونية.

---

(1)زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج7 ص3759.

(2)انظر: خاتم النبيين، أبو زهرة، ج1 ص40.

(3)انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، المسيري.

لكن يرد على ذلك كله، أن كل الكتابات التي ورثناها عن أبي زهرة في حديثه عن اليهودية عبارة عن محاضرات، أو أنها أمثلة في سياق الكلام عند تفسيره للقرآن، ولو قدر لهذه الكتابات أن تنقح وتعمل على شكل كتب لكانت أكثر اكتمالاً، وأوسع علماً، بمعنى أنها لم تكن مشروعاً علمياً متكاملاً، يتصف بالشمول كما يفعل بعض المتخصصين.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق اليهودية:

درس الفاروقي الفرق اليهودية المختلفة، وأطلق عليها مسمى الملة [1]، بدل ما هو متعارف عليه من إطلاقات، كإطلاق الفرقة، ولكنه لم يخرج مقصوده المتعارف عليه من تقسيم اليهود، واستخدم إطلاق الفرقة والحركة في ثنايا حديثه عن جزئيات داخل هذه الملة، ربما كان سبب استخدامه للملة بدلاً من الفرقة أو الحركة، هو: بيان عظيم الفرق بين الملل اليهودية المختلفة، وأن الاختلاف فيما بينهم هو خلاف جوهري في أصل الدين، لا على مسألة سطحية. وحتى يعلم القارئ أن ملل اليهود المختلفة -التي ذكرها- مفترقة إلى حد أن بعضها يكفر بعض، ويخرجه من الدين.

ثم إن الفاروقي قد تحدث عن الأسباب الأساسية التي أدت إلى هذه الفرقة بين اليهود، والتي جعلتهم يختلفون، كما يلي:

1- التأثير السلبي لحركة التنوير:

يرى الفاروقي أن أوروبا كانت المسرح الذي قامت فيه الحركات اليهودية التحررية في القرن التاسع عشر للميلاد، والتي تمخضت أساساً عن حركة التنوير [2] واصفاً وضعيتهم داخل أسوار الجيتو، وما ترتب عنه من عزلة اجتماعية، وتخلف فكري، وفي ظل هذه الظروف كانت أوروبا تخوض تحولات هامة على الساحة الفكرية؛ تمثلت في الفلسفة العقلانية أو حركة التنوير، وقد كان اليهود ضمن الأقليات التي تأثرت بهذه التطورات، وترتب عن ذلك قيام حركتهم العقلانية المستنيرة، التي تدعى (الهسكلاه) [3]، أهم أعلامها (موسى مندلسون) [4]، الذي تصور

([1])الملة: الشريعة أو الدين، كملة الإسلام والنصرانية وهي اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليتوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة. انظر: المعجم الوسيط، ج2 ص887.

([2])حركة التنوير: (فلسفة الأنوار) حركة فلسفية بدأت في القرن الثامن عشر تتميز بفكرة التقدم، والشك في التقاليد، ومعارضة الدين، والايمان بالعقل، والدعوة الى التفكير الذاتي، والتفاؤل بتأثير التعليم في الاصلاح الاخلاقي. انظر: المعجم الفلسفي، صليبا، ج2 ص511.

([3])الهسكلاه: هي كلمة عبرية تستخدم للإشارة لحركة الاستنارة اليهودية. انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري، ص422.

([4])موسى بن مندلسون: (1729-1786م)، رائد حركة الاستنارة اليهودية، درس الطب والفلسفة، واللغة اللاتينية والإنجليزية، والفرنسية، حاول أن يحطم الجيتو الداخلي العقلي حول اليهود، عن طريق بيان علاقة الدين بالعقل، ورفض أن الاعتراف بأن هناك من الدين ما يتنافى مع العقل، وانتقد سيطرت الحاخامات على اليهود، وحاول

الدين اليهودي كشريعة فقط لا كعقيدة، فالمبادئ والقصص التاريخية التي في التوراة ليست في رأيه من العقيدة اليهودية، فقط من الشريعة، أي: القانون الخاص باليهود جدير بالإيمان، بيَّن الفاروقي دوره في نشأة هذه الفرق منطلقا من الكلمة التي قالها مندلسون نفسه: "أنا لا أؤمن بأية مبادئ سوى التي يتفهمها العقل الإنساني، والتي يمكن تبيانها وبرهنتها للفكر الإنساني، لقد أخطأ من ظن أني بهذا القول خرجت عن دين الأجداد" [1] .

2- التأثر بحركة التحرير العلمانية:

تحدث الفاروقي عن تاريخ تحرر اليهود من (الجيتو) الذي كانوا مقيدين فيه، إلى أن تم الاعتراف الفعلي لليهودي بكل الحقوق منذ سنة 1870م، وهذا التحرير الذي تحرروا به من أعباء القيود، لكن جلب عليهم ويلات الانقسام والتشرذم، حيث إنهم كانوا يعيشون في الجيتو يهوداً خلاصاً، لهم دينهم وعاداتهم وثقافتهم، فلما تحرروا أصبحوا يهوداً يعيشون في بلدٍ غريب، فهو يدين للقانون من جهة، ولألمانيا أو فرنسا بالولاء من جهة أخرى، هذا من جانب، ثم الجانب الآخر هو أن الدول التي حررتهم هي دول علمانية، وإن التحرر الذي ينعمون فيه هو نتيجة لهذه العلمانية، في التنظيم السياسي والاجتماعي، ولابد أن تؤدي العلمانية عاجلاً أم آجلاً إلى إقصاء الدين، أو إحالته إلى الخرافة، والتاريخ القديم، طرح اليهود بعد هذا كله سؤالاً مفاده كيف لليهودي الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون التطويح بالأمة اليهودية والدين اليهودي؟، أو كيف لليهودي المتحرر أن يتفهم ولاءه لأمته ولتراثه القانوني والروحي؟ وإجابة هذا السؤال أدت إلى انقسام اليهود في العصر الحديث إلى الملل الثلاث الأساسية [2].

لقد درس الفاروقي الملل اليهودية المختلفة، لكنه ركز على الملل الكبرى الأساسية، والتي أخذت الجانب الأكبر من دراسته للملل اليهودية، وبيانها كالتالي:

دمج اليهود بالمجتمعات، ومن كتبه (أورشليم) وقام بترجمة العديد من الكتب منها (الدفاع عن اليهود). انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ، المسيري، ص372.

([1])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص38.

([2])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص41-43.

أولاً: دراسته الملة الإصلاحية:

تناول الفاروقي الحديث عن الملة الإصلاحية اليهودية ببعض التفصيل، متحدثاً عن النشأة وبعض العقائد والأفكار الخاصة بها، وبيان ذلك كما يلي:

1- التأصيل التاريخي لنشأة الملة الإصلاحية:

يتحدث الفاروقي بدايةً عن نشأة الملة الإصلاحية، وانطلاقتها على يد(موسى مندلسون)، الذي كان شديد التمسك بالقوانين-الشريعة- والطقوس، فأراد تغيير المصلين لا الصلاة، التي كان اليهود لا يفهمون منها شيئاً، لعدم فهمهم للتوراة، من خلال تغير بعض الثوابت في حياة اليهود، حتى يتأقلموا مع الوضع الجديد القائم، ورأى أتباعه أن يصلحوا من الدين نفسه، وطالبوا بفرنجة الطقوس اليهودية، واستخدمت لغة غير العبرية في الطقوس الدينية أول مرة في هولندا عام 1796م. ولقد كانت سنة 1818م هي البداية للملة الإصلاحية كحركة دينية كاملة. فبينما عمل مندلسون على إصلاح اليهود، بإحياء لغتهم، وتدريسها حتى يساهموا في طقوس دينهم بشكل يكون له أثره، فإن الإصلاحيين راموا إصلاح الدين في حد ذاته، من خلال استبدال لغتهم العبرية باللغات القومية، والتخلي عن إرثهم الديني[1].

يعني أن المؤسس موسى أراد أن يطوع المصلين بزيادة ثقافتهم الدينية، ولكن خالفه أتباعه، ربما لأنهم اعتقدوا أنه من الأسهل إصلاح الدين نفسه، وجعله سهل الممارسة، وفي نفس الوقت أن لا يؤثر في حياتهم مع المجتمعات التي يعيشون فيها.

إلا أن البداية الفعلية لها كملَّة -كما بين الفاروقي- كانت بالإصلاحات المؤسساتية التي قام الحاخام (إسرائيل جاكوبسن)[2]، بألمانيا من خلال بنائه مدرسة الصبيان اليهود سنة 1810م ثم تدشينه المعبد الإصلاحي في هامبورج سنة 1818م [1].

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص45-48.

([2])إسرائيل جاكوبسن:(1768-1828م)، رائد اليهودية الإصلاحية. كان رئيس المجلس اليهودي في مملكة (وستفاليا) النابليونية، كما كان من كبار المموِّلين. عمل من أجل إصلاح التعليم اليهودي وطقوس المعبد اليهودي. أسس في (زيزن) مدرسة جيكوبسون للطلبة اليهود والمسيحيين عام 1801م. وفي عام 1810م، هيَّأ بيته ليكون معبداً يهودياً إصلاحياً على غرار الكنائس البروتستانتية، انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج15 ص45.

2- بيان مقومات الفكر الإصلاحي:

بين الفاروقي مقومات الفطر الإصلاحي على النحو التالي:

أ- التحقق من أخطاء التوراة:

يُرْجع الفاروقي أساس الفكر الإصلاحي، إلى أن المفكرين الإصلاحيين انتبهوا لوجود أخطاء متعددة في التوراة؛ التي هي من عند الله، وقد ثبت عندهم أن الكتاب المقدس فيه من أخطاء، وقد ذكر الفاروقي بعضاً من هذه الأخطاء، مثل:

الخطأ الأول: جاءت التوراة من عصور مختلفة ومن أقلام مختلفة شتى متناقضة.

الخطأ الثاني: أن فيه أحكام وسنن وقصص على جانب عظيم من المهانة والرذيلة وسوء الأخلاق التي لا يتقبلها عاقل تقي.

الخطأ الثالث: وجود أخطاء حسابية وجغرافية وتاريخية وعلمية، في التوراة[2].

فكيف لليهود التوفيق بين النزعة العلمية النقدية وبين ولائهم للتوراة والقانون الذي ورثوه، فقام خمسون مثقفاً يهودياً في برلين عام 1819م، يدعون إلى دراسة اليهودية دراسة نقدية علمية، دون التعمد إلى الهدم والنقض، ونجحوا في تأسيس مجلة(المعرفة رمح اليهودية) (Zcitschrift fur dis Wissen shaft Judenthums) في العام 1812م، وفي تشجيع عدد من الدراسات العلمية النقدية[3].

ب-بيان تطور الفكر الديني:

وأدت هذه النظرة العلمية النقدية إلى إنتاج دستور نهائي لحركة الإصلاح، وقد كان من أهم مبادئه:

- **الكتاب المقدس هو أعظم وثيقة خلقها الإنسان،** فيعقب الفاروقي على ذلك: إذا افترضنا صحة هذا المبدأ فإنه سيفهم منه ضرورةً مبدأين ينقضان اليهودية وهما:

([1])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص47.

([2])انظر: المرجع السابق، ص49.

([3])انظر: نفسه، ص48-50.

(أن الكتاب المقدس ليس من صنع الله ، وأنه لا يرفض الكتب السماوية الأخرى)، وتكفي هاتين الدلالتين على هدم أسس الدين اليهودي[1].

- **الكتاب المقدس وثيقة سجل فيها الشعب اليهودي تكريس نفسه لتحقيق رسالته،** وهذا يعني تنازل الإصلاحيين نهائياً عن فكرة الوحي[2].
- **لا صلاحية ضرورية لأي شيء في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي،** ويعنون بهذا الشريعة التي يتحاكموا إليها. أما التشريعات الأخرى فلى قداسة لها لأنها لا تلائم فلسفة العصر الحديث[3].
- **لا يعتبر أي وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والمشرب أو الطهارة**[4].
- **تأويل نظرية المسيح المنتظر التقليدية** على أنها نظرية الأمل الإنساني العالمي لتحقيق الحق والعدالة، والسلام بين البشر، وترفض نظرية الشعب اليهودي، ويعاد تعريف اليهود ليصيروا فرقة يهودية لا قومية[5].
- **الدين اليهودي دين تقدمي يسعى دائما إلى موافقة مبادئه وأركانه مع مفترضات وملزمات العقل،** لهذا أعلنوا وجوب التعاون مع الأديان الأخرى، وخاصة مع المسيحية، والإسلام[6].
- **أزلية الروح،** بمعنى إنكار المبدأ القائل ببعث الأجساد وبالعذاب بعد الموت[7].
- قرر المؤتمر **اكتتاب اليهود الإصلاحيين** بالدعوة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية التي ينادي بها العصر الحديث[8].

وصل الفاروقي بنتيجة يلخصها بقوله :" يتبين من هذه المقررات أن الملة الإصلاحية التي انفصلت عن بقية اليهود بعد مؤتمر بتسبورج، شيدت فلسفتها على مبادئ حركة التنوير في

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص60.

([2])انظر: المرجع السابق، ص60.

([3])انظر: نفسه، ص61.

([4])انظر: نفسه ، ص61.

([5])انظر: نفسه ، ص61.

([6])انظر: نفسه ، ص61.

([7])انظر: نفسه ، ص61.

([8])انظر: نفسه ، ص61.

القرن الثامن عشر وحركة التحرير في القرن التاسع عشر"[1]، ففي رأي الفاروقي أن هذه الملة اختلفت عن بقية الفرق اليهودية في الكثير من المسائل الأصيلة في الدين، ليفرد لهذا الخلاف جزءً من مؤلفه.

3- التفريق بين الملة الإصلاحية وغيرها من اليهود:

عاد الفاروقي ليفند الفروق الجوهرية بين الملة الإصلاحية وغيرها من الملل اليهودية، وتبين هذه الفروق الاختلافات الجوهرية التي ميز بها الإصلاحيون أنفسهم عن باقي اليهود، وبيان ذلك على النحو التالي:

أ- **لها كلية دينية خاصة** (المعهد اليهودي للدراسات الدينية)، يعتبر الفاروقي أن السبب من وجود معهد تدريس ديني خاص بالملة الإصلاحية؛ لينشؤوا جيلاً إصلاحياً متديناً متعلماً بالأفكار التي يريدون شرها بين اليهود[2].

ب- **هناك اتحاد عام يختص بالكنس العبرية الإصلاحية** (اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية). ويهدف هذا المجمع إلى تقرير ما هو يهودي إصلاحي وما هو يهودي[3].

ج- **إلغاء تقديس السبت**، حيث بين الفاروقي أن اليهود الإصلاحيين يقيمون مساء الجمعة بدلاً من مساء السبت[4].

د- **الاختلاط**، يوضح الفاروقي استعمال الإصلاحيون البنوك الخشبية للجلوس عليها في الكنيسة بنظام مختلط، وكذلك تخلل عبادتهم العزف على الأرجن-آلة عازفة- وغناء الأناشيد من قبل كورال مختلط[5].

هـ- **البارمولكا** -غطاء الرأس الصغير-، يقرر الفاروقي أن الإصلاحيون لا يلبسونه، ولا يلزمون نساءهم بتغطية رؤوسهن أثناء الصلاة[6].

---

(1)انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص62.

(2)انظر: المصدر نفسه، ص62.

(3)انظر: نفسه، ص62.

(4)انظر: نفسه، ص63.

(5)انظر: نفسه، ص63.

(6)انظر: نفسه، ص63.

و- **اختلافهم في الأعياد،** حيث وضح الفاروقي أن الإصلاحيين يحتفلون في الأعياد يهودية في يومها الأول فقط [1].

هكذا أنهى الفاروقي مناقشته وحديثه عن أول ملة من ملل اليهود، وهي الملة الإصلاحية، حيث التزم بمنهج التوقف عن الحكم على الملة وعلى عقائدها، أو تفنيدها ونقدها، فقط التزم النقل والتوثيق والوصف، وبيان آرائهم ومعتقداتهم المختلفة، ثم ختم هذا العرض، ببيان للفرق الحاصل بين هذه الملة وغيرها من الملل اليهودية المختلفة.

ثانياً: دراسته الملة الأرثوذوكسية:

تناول الفاروقي الحديث عن الملة الأرثودوكسية اليهودية ببعض التفصيل، متحدثاً عن معنى كلمة أرثودوكسية ونقدها، وعن بداية نشأتها، وبعض العقائد، والأفكار الخاصة بها، وبيان ذلك كما يلي:

1- التأصيل اللغوي لمسمى الأرثودوكسية واستخدامها:

ابتدأ الفاروقي حديثه عن الملة اللأرثودوكسية، ببيان الخطأ في استخدامها من اليهود، حيث يبين أنها استخدمت في العام 1808م على يد الإصلاحيين بعد نعتهم للمحافظين الذين كانوا يعارضوهم في دعواهم للإصلاح، لكن الفاروقي عارض هذا النعت، حيث يرد عليهم بقوله: "والواقع أن هذا الاستخدام من قبل الإصلاحيين هو خطأ، لأن كلمة أرثودوكسية هي تعبير مسيحي، لأن لها (DOXA) اتفق على عليها كتعريف رسمي للدين المسيحي، وليس في اليهودية مثل هذا" [2].

2- التأصيل التاريخي لنشأة الملة الأرثودوكسية:

يبدأ الفاروقي بعرض نشأة الملة الأرثودوكسية منذ تحرير اليهود وخروجهم من الجيتو، فضعفت بينهم علوم التلمود، وقل استعمال اللغة العبرية، لدرجة أنهم نسوا لغتهم في بعض البلدان كألمانيا. هذا ما حدث في غرب أوروبا، أما في الشرق فلم يكن هناك تحرير، فبقي التراث

---

(1)الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص63.

(2)الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص68.

اليهودي حياً، وبقي المجتمع متماسكاً متراصاً، ونشأ في أوروبا الشرقية تراث مغاير تماماً لتراث التنوير والعقلانية؛ وهو المعروف باسم (الحسديم) [1]، اعتبر الفاروقي أن (الحسديم) ما هي إلا تراث، وليس فرقة أو طائفة دينية. فقد نشأت في القرن الثامن عشر ميلادي، كرد فعل على التيار الإصلاحي، والذي يتهمونه بأنه جفف الحياة الروحية لليهود وجعلها معدومة الأصالة، واستهدف (الحدسيم) إعادة التقوى والنية الصافية والأخلاق والتعبد الصحيح إلى نصابه في حياة اليهودي. أدى ظهور هذه الحركة إلى الصراع بينها وبين القوى التي تسعى إلى تمديد القانون وجعله يشمل كل جديد، ولقد كان هذا الصراع هو السبب في المحافظة على الدين اليهودي، وجعله قوياً وفعالاً خلافاً لما كان في الغرب [2].

ولقد ذهب الفاروقي إلى أن أول من قدم الموقف الأرثودوكسي، ودافع عنه هو (شمشون رفاييل هرش) [3]، الذي عدوه الرجل الأكبر في الحركة الإصلاحية، ومن كلامه: "إن دراسة التلمود نبيلة وطيبة إذا ما أقرنت بمهنة دنيوية"[4].

يعقب الفاروقي –بعد أن سرد العديد من أقوال هرش– بقوله: "خلاصة القول أن هرش عارض الحركة الإصلاحية لأنه رأى فيها تصنعاً، فهي في رأيه تأخذ نقطة ارتكازها خارج اليهودية في مبادئ مستعارة من غير اليهود تطبقها على غاية الإنسان وحريته، أما الإصلاح الحقيقي هو إصلاح الذات حسب مبادئ الدين اليهودية الأزلية"[5]. فالإصلاح الحقيقي كما يراه الفاروقي، ليست مظاهر خداعة خارجية، بل هو التطبيق لمبادئ الدين على الشخص، غير

([1])الحسديم: مصطلح يستخدم للدلالة على الحركة الدينية الصوفية، والتي بدأت في القرن الثامن عشر في بولندا وأوكرانيا، ثم روسيا فرومانيا، وأصبحت عقيدة أغلبية اليهود في أوروبا الشرقية، ولم تأتي هذه الفكرة بأي جديد في الفكر الديني ولا الفلسفي اليهودي. انظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، المسيري، ص169.

([2])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص65-67.

([3])شمشون رفائيل هرش: (1808-1888)، ولد في هامبورج بألمانيا لأب عارض تأسيس الكنيس الإصلاحي فيها أشد المعارضة، وأسّس فيها مدرسة التلمود ليناهض مسعى الإصلاحيين، وقد تلقّى هرش دروس التلمود في هذه المدرسة ونشأ محافظاً كأبيه، ولم يتلقّ العلوم الحديثة إلا لسنة واحدة قضاها في جامعة بون، ثم باشر عمله الديني كحاخام في مدينة أولدنبرج. انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، اسماعيل الفاروقي، ص69.

([4])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص73.

([5])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص77.

التصنع أو محاولة استيراد مبادئ الدين من الآخرين، ثم يتبع الفاروقي ذلك بالحديث عن أهم المبادئ التي ميزت الأرثودوكسية عن غيرها من الملل الأخرى.

3- بيان أصول عقيدة الملة الأرثودوكسية:

ينقل الفاروقي تعريف الأرثودوكسيين لعقيدتهم كما يلي:

أ- **مفهوم الدين اليهودي:** بين الفاروقي أن مفهوم الدين عند هذه الأرثودوكس ليس عقيدة كما في المسيحية بل هو نظام حياة، والخلاص ليس بالإيمان بل بالعمل[1].

ب-**موقفهم من التوراة:** فمصدر التوراة هو الله، والتوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس وهذه هي التوراة المكتوبة التي سلمها الله لموسى يداً بيد، وهناك التوراة الشفهية – المشناة- التي تناقلها اليهود شفهيا جيلاً بعد جيل[2].

ج- **رأيهم من تدوين المشناة:** يبين الفاروقي أن المشناة عندما تعرضت للخطر سمح بتدوينها حتى لا تضيع، وهي مع التوراة والقوانين والأنظمة والترتيبات مجموعهم يسمى (الحلقاه) [3] .

د- **موقفهم من الحلقاة:** وضح الفاروقي أن اليهود استخدموا (الحلقاة) كمعيار للخير والشر في الدنيا، وإن (الحلقاه) تتطلب منهم تطويع جميع الطاقات لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلّف ذلك من تضحيات[4].

هـ- **تطبيقهم للتوراة:** يرى الفاروقي أن اليهود الأرثودوكس يؤمنون بأن التوراة مصدرها الله؛ لذلك وجب تطبيق ما فيها على مدى العصور، وفي جميع الأمكنة بدون أي تغيير أو تبديل. وعليه يؤمن الأرثودوكسي أنه يجب أن تتغير الحياة لا القانون، حين يعارض القانون مع الحياة[5].

---

(1)انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص83.

(2)انظر: المصدر السابق، ص83.

(3)انظر: نفسه، ص83.

(4)انظر: نفسه ، ص84.

(5)انظر: نفسه ، ص84.

و- **موقفهم من الاندماج في المجتمعات:** فيرون أنه يمكن لليهود التعايش مع من يحيطهم من غير اليهود، وذلك من منظور توراتي، ولكن بشرط أن ينصاع كل شيء إلى مبادئ اليهود لا العكس[1].

بعد عرض الفاروقي لتلك العقائد، أوضح أن أقوى ملة أرثوذكسية في العالم موجودة في إسرائيل، وأن تلك القوة التي يتمتعون بها ليست بعدد أتباعها، ولا في تمسكهم بالتوراة أوالتلمود، بل لما تتمتع به من دعم سياسي، إذ إن الدولة الإسرائيلية لا تعترف بأي ملة سوى بالملة الأرثودوكسية[2].

ثم يعقب الفاروقي على واقع الأمة اليهودية اليوم في إسرائيل بقوله "يجب أن لا يفهم من اتباع إسرائيل كمجتمع ودولة للملة الأرثودوكسية أن كلهم يؤمنون بالمبادئ الأرثودوكسية، فالحقيقة التي لا تقبل الشك أنه بالرغم من المظهر الخارجي لإسرائيل أنها تلتزم بالنصوص التوراتية إلا أنها لا تتوانى دقيقة عن الضرب بالتوراة وقوانينها عرض الحائط عندما تتعارض ومصلحتها العسكرية أو السياسية، فالأصدق هو تعريفها كدولة علمانية"[3].

عرض الفاروقي أهم أساسات الملة الأرثودوكسية من حيث النشأة والتأسيس، ثم بين أهم الأفكار والمعتقدات التي ميزتهم عن باقي اليهود، مستدلاً على بالكتب التي ألفها المنتسبون إلى الأرثودوكسية اليهودية، ومفنداً لأهم الكلمات التي قالها زعماءهم، وقد التزم الفاروقي بمنهجه الوصفي في عرض هذه الملة.

وقد بين الفاروقي من خلال عرضه المقتضب حول الملة الأرثودوكسية والملة الإصلاحية، أنهما على طرفي النقيض، كل منهما أمسك العصا من طرف وأراد إبطال الآخر، لكن دائماً عند وجود هذا التناقض، تخرج فئة تريد التوفيق بين الآراء، وإمساك العصا من المنتصف.

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص84.

([2])انظر: المرجع السابق، ص87.

([3]) نفسه، ص87.

ثالثاً: دراسته الملة المحافظة:

درس الفاروقي الملة المحافظة وتعرض لها، من خلال الفرق بينها وبين سابقيها، وشرح نشأتها، وعقيدتها، وبيان ذلك على النحو التالي:

1- تأصيله اللغوي لمسمى الملة المحافظة:

بدأ الفاروقي دراسته للملة المحافظة، من خلال بيانه أن هناك بون شاسع بين أكثر الأرثودوكس تقدمية وتفتح، وبين الإصلاحيين مهما اتسموا بسمة المحافظة أو التقليد، وكان لابد أن يوجد أناس لم يجدوا لأنفسهم محلاً لا بين هؤلاء، ولا بين أولئك [1].

ثم ذكر الفاروقي تعريفاً للملة المحافظة كما عرفها (سولومون شختر) [2] بقوله: "إن كلمة المحافظ كلمة عامة درجت على الألسن، لكني أعني بها شيئاً خاصاً وهو: مجموعة الكنائس التي اختلفت عن الأرثودوكس من حيث التطبيق والعمل، دون أن تخالفهم كثيراً من حيث المبادئ والنظريات"[3]، يعني أن الخلاف بين المحافظين والأرثودوكس هو في ناحية التطبيق العملي للجوانب النظرية في التوراة.

ثم بين الفاروقي أن أساس وجهة النظر المحافظة، هو الدعوة إلى وحدة جميع اليهود، والاعتراف بتنوعهم في تأويل العقائد، والعادات، والطقوس، ووجهات النظر، متمثلين عبارة (كلال يسرائيل)[4] ودعوتهم إلى ضرورة الاشتراك في الانتماء لتراثهم، وتاريخهم الطويل، يعلق الفاروقي على هذا القول: "وكأنهم يقولون إننا يهود لأننا كنا، وما زلنا، نريد أن نبقى يهوداً، لا لأن لنا

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص90.

([2])سولومون شختر: (1847-1915م)، حاخام صهيوني من مفكري اليهودية المحافظة. وُلد في رومانيا حيث تلقَّى العلوم اليهودية التقليدية، وواصل دراسته في فيينا، عُيِّن محاضراً للدراسات التلمودية في جامعة كامبردج. وسافر إلى القاهرة عام 1896 ورجع منها بعد عام حاملاً عديداً من المخطوطات اليهودية التي عثر عليها في جنيزاه المعبد اليهودي القديم في الفسطاط، ثم انتقل إلى أمريكا ليرأس الكلية اللاهوتية اليهودية. ساهم في تأسيس معهد التخنيون في حيفا. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج15 ص93.

([3])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص102.

([4])كلال يسرائيل: عبارة عبرية تعني جماعة يسرائيل أو «عموم يسرائيل». وتُستخدَم العبارة للإشارة إلى كل الشعب اليهودي ككيان عضوي متكامل يكتسب تكامله وتلاحمه العضوي من خلال الحلول الإلهي. انظر: موسوعة اليهود واليهود والصهيونية، المسيري، ج13 ص173.

رسالة إلى العالم، لها فحواها التي هي كذا وكذا والتي تحقق الخير والحق والجمال للبشر أجمع في الدنيا والسعادة في الآخرة، كما يقول المسلمون" [1]

وبتحليل الفاروقي للموقف التاريخي الوضعي للإصلاح الجديد، تبين أنه يقوم على شرطين، وهما:

أ- أن تكون العقيدة أو الفكرة محل إجماع عند اليهود.

ب-أن يكون لهذه العقيدة أساس علمي راسخ متمثل في نصوص من التوراة التاريخية والعقائدية.

هذان الشرطان استخلصهما الفاروقي من قول (زكريا فرانكل) [2] : "إن مجرد الحاجة إلى التغيير لا تبرر التغيير، ولكنا لا نستطيع أن نتناسى أن الجمود خلال القرون الطويلة لا يلزمه تغيير، وكان ينبغي له أن يبقى كذلك طالما أن اليهود كانوا سعداء به. فإن سعد الناس بدينهم وجب أن لا يغيروه، وعليه لا بد للإصلاح اليهودي من تحقيق شرطين مهمين هما: إجماع الأمة والعلم. فبعد الإيمان يضع اليهودي ثقته بالعلم، فالتاريخ كله يشير إلى أن لاهوتيينا لن يكون لهم ولا لدعوتهم أي تأثير إن لم يكن العلم التاريخي الصحيح باليهودية سلاحهم" [3].

وهنا تظهر الكنة العلمية عند الفاروقي، فهو يرى: أن فرانكل كان كلامه تلبيساً على القارئين، فالقارئ لكلامه يظن أن مقصده عن التاريخ العلمي للدين اليهودي، تاريخاً علمياً بالمعنى الصحيح. فأصول وتاريخ الديانة اليهودية الحقيقية لم تكن تعنيه، بقدر ما كان يعنيه تحقق الإجماع الشعبي في كل أمر من الأمور، وتجاوبه مع أحكام القانون [4].

([1])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص97-98.

([2])زكريا فرانكل: (1801-1875م) عالم ديني يهودي. أصبح حاخاماً أكبر في درسدن عام 1836، ورئيس كلية لاهوتية في برسلاو عام 1854. حاول أن يمزج القيم اليهودية التقليدية بالمعرفة الغربية، وأن يطوِّر اليهودية دون إخلال بما تصوَّر أنه جوهرها التقليدي وروحها الأساسية كما عبَّرت عن نفسها عبر التاريخ. وقد انسحب من حركة اليهودية الإصلاحية بعد خلافه معهم. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج15 ص88.

([3])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص94.

([4])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص95.

2- تأصيله التاريخي لنشأة الملة المحافظة:

يبين الفاروقي الأسباب التي أدت إلى استقلال المحافظين بملتهم عن الملتين السابقتين، فإنه يذكر فشل محاولات فرانكل توحيد صفوف اليهود؛ فبدلا من ذلك أسس فرقة ثالثة سميت بفرقة المحافظين، إضافة إلى الاختلافات مع الفريقين، جعلت من المستحيل الانضمام إلى إحداها، وبهذا أعلن المحافظون استقلالهم [1]، خاصة بعد موقف كل من (ألكسندر كوهوت)[2]، الذي أصبح من أكبر مهاجمي الحركة الإصلاحية وخصوصاً قرارات (مؤتمر بتسبورج)[3]، ومطالباً بإنشاء مدرسة (الممارسات التاريخية)[4]، ثم موقف (شختر) الذي أوضح أن معيار الدين اليهودي وسنده الأخير هو سنة اليهود الحالية، فالذي يقدسه اليهود هو ما يقدسه الدين، والعكس بالعكس؛ أي بعبارة أخرى، الدين هو (كلال يسرائيل)، أما التوراة فهي ليست في السماء، بل على الأرض، ويرجع تفسيرها إلى ضمير كلال يسرائيل [5].

وهذا هو ما كان الانطلاق الحقيقي للملة المحافظة بشكلها الحالي كما ذكر ذلك الفاروقي سابقاً، ليبين بعد ذلك أهم المرتكزات العقائدية للملة المحافظة والتي كانت تختلف عن الملل اليهودية الأخرى.

3- شرحه لمبادئ عقيدة الملة المحافظة:

وهي كما بينها الفاروقي، تنقسم إلى قسمين على النحو التالي:

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص99.

([2])ألكسندر كوهوت: (1842-1894م) حاخام محافظ. وُلد في المجر، وعُيِّن في البرلمان المجري ممثلاً لليهود في أوائل الثمانينيات، ولكنه هاجر إلى الولايات المتحدة عام 1885 حيث أصبح حاخاماً في نيويورك، أصبح كوهوت من أكبر مهاجمي لحركة اليهودية الإصلاحية، وخصوصاً مقررات مؤتمر بتسبرج. وأهم مؤلفاته (أخلاق الآباء). انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج15 ص91.

([3])مؤتمر بتسبرج: (نوفمبر عام 1885م)، وحضره 18 حاخاماً إصلاحياً. وهو المؤتمر الذي أصدر قرارات بتسبرج الشهيرة التي أصبحت تشكل إطار اليهودية الإصلاحية. وقد رفضت القرارات الشعائر الاحتفالية التي لم يَعُد لها معنى أخلاقي، وكذلك فكرة عودة اليهود إلى فلسطين واستعادة العبادة القربانية، وأكدت القرارات الإيمان بخلود الروح. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج15 ص40.

([4])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص101.

([5])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص102-103.

أ- **المبادئ العملية:**

وأهم ما جاء فيها:

- الغاية من إيجاد هذه الملّة ليست خلق ملّة جديدة، والانفصال عن الملتين السابقتين وإنما التوفيق بين النزعتين. ولهذا يعدون تأسيس ملّتهم خطأ ليسوا مسؤولين عنه، وإنما المسؤولية تقع على كل من الإصلاحيين الأرثودوكس، عندما لم يستجيبوا لدعواهم إلى وحدة اليهود، للانخراط في صفوفهم.
- لا بد من إقامة الصلوات والوعظ باللغة التي يفهمها العابدون فإن لم يفهموا العبرية، يسمح لهم باستعمال اللغة التي يفهموها كاللغة الإنجليزية [1].
- وجوب حذف القراءات المطولة والأناشيد الخليعة من الكنيس، ويبقى منها ما يتفق مع الصلاة والطقوس الأخرى، كلها على جانب من الرزانة والهدوء، وما يتفق مع التعبد.
- تربية النساء اليهوديات يجب أن تكون تربية دينية، وتُشْرَك في أعمال الكنيست، وفي الطقوس، كما يُشرَك الرجال.
- التقيد بقوانين الأطعمة، والطقوس السبتية في البيوت اليهودية، كي ينفذ الدين اليهودي إلى العائلات والبيوت. [2]

ب-**المبادئ النظرية:**

وتشتمل على مقولات ثلاث، هي:

- **مقولة (كلال يسرائيل):** أي الأمة اليهودية: كشعب يعي ذاته، ويجمع على تعريف نفسه كثالوث يتألف من الشعب الإسرائيلي، والتوراة، والإله. فلا يتصور الشعب الإسرائيلي دون الإله والتوراة، ولا الإله دون التوراة والشعب، ولا التوراة دون الشعب والإله. فالأقانيم الثلاثة تساوي في مجموعها وحدة عضوية هي الأمة الإسرائيلية أو كلال يسرائيل [3]، يعقب الفاروقي على ذلك بقوله:" فالنواحي القومية والسياسية في التاريخ اليهودي أصبحت من

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص103.

([2])انظر: المرجع السابق، ص104.

([3])انظر: نفسه، ص104.

مقومات هذا التاريخ، فالتوراة والتلمود وكل الأدب الديني، يتكلم عن مأساة إسرائيل في المنفى ويأسى لبعدهم عن وطنهم الأصلي في الأرض المقدسة"[1]

- **مقولة (اليهودية التاريخية الوضعية):** خلافاً للأرثوذوكس الذين تقاعسوا عن إدخال أية تعديلات على القانون اليهودي، وخلافاً للإصلاحيين الذين رفضوا سلطة القانون ولزومه، ظهر المحافظون لتأكيدهم على ضرورة فحص القانون من جديد، على ضوء حاجات الشعب اليهودي الحاضرة، ونادوا بضرورة دراسة التاريخ اليهودي، دراسة علمية، واستخراج المعاني، والقيم التي حققها الأسلاف عن طريق تعديل القوانين التي أبرموها، أو عدلوها، كي يعاد تجسيم هذه المعاني، والقيم في قوانين جديدة، تتلاءم وروح العصر.[2]
- **مقولة (الوحدة في التنوع):** وتعني جمع اليهود ضمن إطار واحد والإبقاء على تنوع فكرهم الديني، وحاجات مجتمعاتهم. وقد أعطى الفاروقي مثالاً على ذلك من خلال مقدمة دستور اتحاد كنائس المحافظين في أمريكا، الذي يؤكد هذه المقولة، إن على الكنائس أو الجمعيات الأعضاء في هذا الاتحاد أن يعطوا ولاءهم للتوراة كما تكونت في التاريخ. وعليهم أن يعملوا على إقامة شعائر السبت والقوانين المأكلية. عليهم أن يحافظوا على الإشارة الدائمة في طقوس إلى تاريخ إسرائيل الماضي، وإلى دعوتهم لوطنهم وإعادة بناء مملكتهم في صهيون[3].

تم بذلك استقلال الملة المحافظة عن الملل الأخرى وكان لها كنائسها الخاصة، ويؤكد الفاروقي على امتيازها بما تتمسك به من أوامر التوراة والمواد الطقسية التي نبذتها الملة الإصلاحية، واستعمالها لأكثر من لغة في الصلوات، بما يخدم الفهم اليهودي لهذه الصلوات [4].

هذه أهم ملامح الملة المحافظة التي درسها الفاروقي، وبين تعريفها من مصادرهم، حتى أنه استخدم كلماتهم الدالة على العقائد الدينية المختلفة، كاستخدامه لمقولة (كلال يسرائيل)، ثم تحدث عن نشأتهم من خلال الاستعانة بتاريخ اليهود، وتأصيله لأصل الحالة المحافظة، وحاجة المجتمع اليهودي لها، ثم بين أهم ما يميز هذه الملة عن غيرها من اليهود.

([1])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص105.

([2])انظر: المرجع السابق، ص105.

([3])انظر: نفسه، ص106.

([4])انظر: نفسه، ص107.

وهكذا بين الفاروقي الملل المختلفة من حيث التمسك بالظاهر من الدين بالتشدد، والتي لا تقبل الآخر، ثم بين الاتجاه الآخر الذي يدعو للتعايش والذي حول كلام الوحي وفق التطور العلمي والعقلي، ثم المذهب الذي كان لا مع هؤلاء ولا أولئك والذي حاول التوسط بينهم.

ثالثاً: دراسته الصهيونية:

كان الفاروقي شديد الاهتمام بالقضية الفلسطينية، لذلك فإنه أفرد للصهيونية اليهودية كتاباً خاصاً، يتحدث فيه عن الصهيونية اليهودية، التي اغتصبت أرض فلسطين من أهلها، وبين فيه تعريفه للصهيونية ونشأتها، ولكنه لم يسمها بمسمى الملة، بل بمسمى حركة، لأن الملل اليهودية المختلفة ممكن أن تبقى على ملتها وأن تكون صهيونية، وبيان ذلك كما يلي:

1- تأصيله لمعنى الصهيونية:

يعرِّف الفاروقي الصهيونية بتعريفين مختلفين، على حسب البعد الذي من أجله قامت الصهيونية، وذلك كما يلي:

أ- الصهيونية كحركة دينية:

يعرف الفاروقي الصهيونية الدينية بأنها: "حركة دينية تهدف إلى تمكين العنصر اليهودي من أداء رسالته، من خلال تملك أرض الميعاد، وقهر الأعداء، وتركيز سلطة العالم الروحية، والحضارية، والفكرية في صهيون وهي بهذا المعنى كما يرى فكرة قديمة جداً "[1].

ب-الصهيونية كحركة سياسية:

يعرف الصهيونية السياسية بأنها "حركة سياسية تهدف إلى جمع اليهود ولم شملهم وتهجيرهم إلى فلسطين لتأسيس دولة يهودية، وتتميز بالعنصر اليهودي وبالثقافة اليهودية" [2]، أي أنها -كما وضعه عنواناً في المقدمة- هي حركة الانتقال من القومية إلى الدين القومي [3].

([1])أصول الصهيونية في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، ص7.

([2])المرجع السابق، ص7.

([3])انظر: نفسه، ص109.

وقد وفق الفاروقي في هذا التقسيم حيث أن الصهيونية كحركة دينية، والتي يربط الفاروقي وجودها من العصر الأبوي، والتي هي أقدم بكثير من حيث الفكرة والوجود من الصهيونية السياسية، والتي عرفت في أواسط القرن التاسع عشر على يد (ثيودور هيرتزل) (Theodor Herzl)[1] المؤسس الأول للصهيونية المعاصرة [2].

2- نشأة الصهيونية:

يرى الفاروقي أنه يجب ربط نشأة الصهيونية بعجلة التاريخ الأوروبي حتى نفهم نشأة هذه الفكرة، فهي جاءت كرد فعل عما كان يحدث من تحركات من قوة وتيارات سياسية وفكرية في أوروبا؛ أهمها فشل حركة تنوير وتحرير اليهود، أو عدم نجاحها بالشكل المطلوب، وكان العالم الأوروبي ينسحب من التنوير وينقض مفترضاته شيئاً فشيئاً، وتحولت حرية الرأي إلى تسلط فكري جديد، وتبع ذلك التحول الفكري تحول سياسي، أدى إلى اضطهاد اليهود من جديد وإلى قيام نظريات قومية متطرفة ، والتي لا تسمح بقبول اليهود [3]. والحل الصهيوني باختصار هو أن يكون اليهود مجتمعهم، ويكون لهم حقوقهم وواجباتهم، ضمن دولة يهودية مستقلة، فيكون لهم الدين والقومية والحرية والاستقلال مجتمعين [4].

ومما سبق يظهر اعتماد الفاروقي على منهج التتبع التاريخي للفكرة الصهيونية، وتطورها حتى تجسدت في نهاية الأمر في مشروع استيطاني لأرض فلسطين وطرد أهلها منها، لكن لم يكن اليهود بنفس الدرجة متفقين على فكرة الصهيونية، بل كانوا بدرجات متفاوتة.

([1])ثيودور هرتزل: (1860-1904م)، كاتب نمساوي يهودي، ولد في المجر، مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة عام 1896م، ألف كتاب(الدولة اليهودية)، والذي طالب فيه بإنشاء دولة يهودية خاصة باليهود، نظم المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في سويسرا عام 1897م. أنظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص472.

([2])انظر: المنطلقات الفكرية للصهيونية وأثرها على وحدة الأمة (قراءة في فكر إسماعيل الفاروقي)، الجدي، ص5.

([3])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص 117.

([4])الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص 116.

3- بيانه لأثر الصهيونية على الملل اليهودية المعاصرة:

بيَّن الفاروقي أن الملل اليهودية المعاصرة لم تتقبل الفكرة الصهيونية بنفس السهولة والسرعة، حيث بدأ أول تحول للصهيونية من قبل بعض المحافظين، وسرعان ما قبلت الصهيونية، وأخذت تدعوا لها، أما الإصلاحيون فقد حذفوا من مبادئهم فكرة أن اليهود قوم، وبالرغم من ذلك وجد في صفوف الإصلاحيين بعض الذين دافعوا عن الصهيونية، ولم يتقبل الإصلاحيون الصهيونية إلا بعد أربع سنوات من حكم هتلر لألمانيا في العام 1937م، أما الأرثودوكس فقد انقسموا إلى قسم (المنظمة المزراحية)[1] والتي تقبل الحل السياسي لمشكلة الخلاص بقيام الدولة بدل الحل الإلهي، وقسم جمعية (أجودات إسرائيل) [2] الذي أصر على أن خلاص اليهود لا بد له من عمل إلهي. وهذا الانقسام باقٍ إلى يومنا الحاضر [3].

بعد العرض الذي قدمه الفاروقي حول اليهود ومشاكلهم وتاريخهم القديم الحديث، وافتراقهم، وبغض الأمم لهم، وخروجهم من الجيتو إلى الصهيونية، يقدم الفاروقي الحل، الذي يقضي بأن لا اضطهاد ولا انصهار، ولا اعتداء لليهود على العرب، حيث يبين الفاروقي أن الإسلام هو المكان الأمثل لذلك بقوله " وهذا بالذات ما حققه ميثاق المدينة الذي أعطاه سيدنا محمد ﷺ لأهل المدينة من مسلمين ويهود، وما حققته المدنية الإسلامية من بعده، فاليهود في الدولة الإسلامية أمة من دون الناس، تقوم بنفسها بتحقيق قوانينها، وتنتخب رؤساءها الذين يديروها ويرتبون أمورها، متوخين العدالة كما يفهمها قانونهم وتراثهم، فهم يتمتعون ضمن الدولة الإسلامية بكل ما تمتعوا به من حقوق ومكاسب في الجيتو، بل أكثر من ذلك، فالإسلام يضع

([1])حركة مزراحي: طرحت الحركة شعار "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل حسب شريعة وتوراة إسرائيل"، كما لُخِّص الشعار في عبارة (التوراة والعمل) ، ومعناها أن على الصهيوني الحق المتدين أن يتعلم الشريعة اليهودية وأن يعمل بنشاط من أجل إعادة بناء إسرائيل، وكان أول مؤتمر عام لهم في العام 1904م. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ج17 ص300-302.

([2])أجودات إسرائيل: تأسَّست عام 1912 كتنظيم ديني يضم جميع الجماعات الدينية الأرثوذكسية في ألمانيا وبولندا وليتوانيا (كمجموعة متحدة) ضد الحركة الصهيونية لمحاولة تغيير بنية ومضمون الحياة اليهودية. كما تصدَّت الحركة للحركات العلمانية الأخرى كافة. وبعد بداية متعثرة اتخذ المؤتمر الصهيوني العاشر (1911) قراراً بضم مشاريع ثقافية (علمانية) ضمن برامجها. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المسيري، ح17 ص303.

([3])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص 125-128.

سلطة الدولة الإسلامية التنفيذية تحت إمرة القضاء اليهودي، كي تتحقق الهوية اليهودية في جميع أبناء الشعب وعلى مر الدهور [1]. ثم يردف قائلا: "إن الإسلام هو النظام الأوحد الذي يحقق لليهود ما يبغون، أولاً: الحرية وبالبقاء في سلام، ثانياً: الكيان الجماعي الذي تتطلبه قوميتهم" [2].

هذا العرض المتكامل أعطى الفاروقي فيه الحل مع علمه باستحالة تطبيقه، فاليهود لم يستطيعوا الحياة مع رسول الله ﷺ خير البشر وأعظمهم نفساً، وكل التاريخ لا يذكر اليهود إلا بكل مكر وخداع وسوء، هذه هي طبيعتهم وهذه هي أخلاقهم التي جبلوا عليها، لكن ربما أراد الفاروقي أن يقيم عليهم الحجة، بهذه الكلمات البسيطة.

(1)الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، ص131.

(2)الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، ص132.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق اليهودية.

تناول أبو زهرة والفاروقي أهم الفرق اليهودية القديمة والمعاصرة، حيث اهتم كل منهما بالفرق التي اعتقد أنها الأكثر تأثيراً في حياة اليهود القديمة والحديثة، وبيان نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما كما يلي:

أولاً: النقاط التي اتفق فيها أبو زهرة والفاروقي في دراستهما للفرق اليهودية:

1- اتفق أبو زهرة والفاروقي في أن الفرق اليهودية المختلفة كانت تعادي بعضها البعض، إلى حد أن بعضهم أخرج بعض من مسمى اليهودية.

2- اتفقا على أن الخلاف بين الفرق اليهودية هو خلاف جوهري في أصل من أصول الدين اليهودي على الأقل، كالخلاف في التوراة، أو في التلمود.

3- هناك بعض الفرق التي لم يذكرها أبو زهرة والفاروقي، ومنها ما هو موجود حتى الآن، ولها تأثير على اليهود.

4- استعان كل منهما بمنهج الاستقراء التاريخي؛ لبيان أسباب الفرقة، التي أدت في النهاية إلى انقسام اليهود إلى فرق متناحرة.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للفرق اليهودية:

درس كل من أبي زهرة والفاروقي للفرق اليهودية دراسة مختلفة، وبيان الاختلاف كما يلي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- اعتمد أبو زهرة في تقسيمه للفرق اليهودية المختلفة على ذكر الفرق اليهودية القديمة وأغفل الفرق والاختلافات الحديثة. اقتصر أبو زهرة عند ذكره للفرق اليهودية المختلفة على بيان معنى الفرقة وأهم ما يميزها، فقط.

ب-ذكر أبو زهرة الفرق المختلفة بمسمى الفرقة.

2-ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- سمى الفاروقي فرق اليهود المختلفة بمسمى الملة وليس الفرقة.

ب-كان الفاروقي يشرح الفرق التي تناولها بالبحث، ببيان النشأة وأهم العقائد والأفكار إلى جانب التعريف بها.

ج- تحدث الفاروقي عن الملل الحديثة وأغفل الحديث عن الفرق القديمة، وهذا بسبب تعليم كل منهما، حيث كانت مدرسة أبي زهرة هي المدرسة الإسلامية التراثية والفاروقي هي المدرسة الغربية الحديثة.

د- فصل الفاروقي في ذكره لمسألة الصهيونية، من خلال التعريف بها ونشأتها.

هـ- أعطى الفاروقي الحل للمشكلة الصهيونية خاصة، ولليهود عامة، ولم يذكر ذلك أبو زهرة.

و- ربط الفاروقي بين الملل المختلفة وبين الواقع اليهودي الحالي، من خلال تأثير هذه الملل على صناعة القرار في دولة الاحتلال خاصة، وعلى اليهود بشكل عام.

ز- تحليل الفاروقي لأصل المشكلة اليهودية، والجيتو الذي وضعوا فيه، وحركة التنوير والتحرر اليهودي، وبيانه لأن هذه الأسباب والتعامل معها، كان من أهم الأسباب التي أدت إلى تفرق اليهود، واختلافهم إلى ما هم عليه.

ح- كانت دراسة الفاروقي للملل اليهودية أكثر عمقاً بشكلٍ عام، وأكثر شمولاً، لما يعتبره الفاروقي من تأثير لهذه الملل على حياة اليهود، بما ينعكس على القضية الفلسطينية.

هذه كانت أبرز ملامح منهج أبي زهرة والفاروقي حول اليهود، من خلال شرح نشأتهم التاريخية، واندماجهم في المجتمعات المختلفة، وحياتهم القديمة والحديثة، ثم الحديث عن أبرز المعتقدات الدينية، ومنشأ الخلل فيها، وتطورها، ثم ختم الحديث حول أبرز الملل والفرق اليهودية التي تناولها كل من أبي زهرة والفاروقي في دراستهما.

الفصل الثالث

مقارنة بين منهج أبي زهرة و الفاروقي في دراسة الدين النصراني

المبحث الأول: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة نشأة النصرانية:

غلب على المختصين في دراسة النصراني البدء في مصنفاتهم من نشأة النصرانية؛ لأهميتها في معرفة صياغة المعتقدات النصرانية، ومراحل تطورها، ولم يكن أبو زهرة والفاروقي بدعاً من أولئك المختصين؛ بل كانا على قدرةٍ عالية على الاستنباط والتحليل المنهجي، وهذا ما سيتم بيانه من خلال عرض منهجهما في دراسة النشأة، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة نشأة النصرانية:

تحدث أبو زهرة عن مراحل نشأة الدين النصراني على النحو التالي:

أولاً: بيانه سبب التسمية:

انطلق أبو زهرة في تسمية النصارى من خلال خلفيته التعليمية الإسلامية، حيث أنه لم يقتصر على تسميته بالنصارى –كما هو دارج عن المسلمين–، وبيان منهجه على النحو التالي:

1- الاستلال بالنص القرآني:

أطلق أبو زهرة عليهم في الكثير من الأحيان مسمى (النصارى) حتى إنه سمى كتابه الذي تحدث عنهم باسم (محاضرات في النصرانية)، وهذا متابعة لمنهج القرآن الكريم في حديثه عن المحرفين للديانة المسيحية، وقد قال الله تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: 14].

2- الاستدلال اللغوي:

مع ما سبق بيانه إلا أن أبو زهرة سمَّاهم أيضاً في الكثير من الأحيان(مسيحيين)، وقد علل هذه التسمية بقوله "كلمة المسيحية نسبة إلى المسيح عليه السلام"[1]، وعند استقراء ورود كلمة المسيحية من مقالات وكتب أبي زهرة، فإنه لا يمكن الجزم بالسبب الذي أوردها من أجله، وإن أقرب سببين إلى الأذهان حول تسمية أبي زهرة، هما:

---

[1] ندوة لواء الإسلام الديانات السماوية، أبو زهرة، ص191.

1- يعتبر (محاضرات في النصرانية)، عبارة عن تفريغ لمحاضرات حول الديانة النصرانية، فكان يقول مسيحية أو نصرانية على حسب سبق اللسان لذلك.

2- أو أن أبا زهرة سمَّاهم بالمسيحين في معرض الاستشهاد بكتبهم، فأبقى الكلام كما هو ولم يرد أن يغيره، أما إذا استشهد بالقرآن أو المصادر الإسلامية فإنه يسميهم النصرانية.

ويبدو أن السبب الأول هو السبب الأقرب إلى الصواب، وعلى كلٍ فإن أبا زهرة لم يدخل في تفصيل هذا الموضوع لأنه ومن خلال منهجه يتبين أن أبا زهرة لا يتطرق إلى أي موضع خلاف، خاصةً إذا كان التفصيلُ فيه لا يفيد في المسألة، وإنما يفضل الدخول مباشرة في صلب الموضوع.

ثانياً: التعمق في الحديث عن ميلاد المسيح ﷺ.

يعتبر الحديث عن ميلاد المسيح ﷺ هو نقطة انطلاق عقيدة النصارى، فقد بدأت نشأة عقيدتهم من يوم ميلاد عيسى ﷺ، فيعقد أبو زهرة مقارنة حول ميلاده والأحوال التي حدثت مع أمه، بين الإسلام والنصرانية، وتظهر ملامح العمق في حديثه عن ميلاد المسيح ﷺ من خلال الآتي:

1- اعتماده على المصادر الإسلامية:

يبدأ أبو زهرة الحديث عن عيسى بالحديث عن ميلاد أمه مريم، والتي يبين أبو زهرة أن العبادة والنسك أظلاها وهي جنين في بطن أمها، ولقد كانت تلك التنشئة الطاهرة التي تكونت في ظلها بريئة من دنس الرذيلة – لا يجد الشيطان سبيلاً أو منفذاً ينفذ إلى النفس منها – تمهيداً لاصطفائها يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 42] (1)، يؤكد أبو زهرة على هذا الاختيار، وأن الأمر الذي اختارها الله له هو الحمل والولادة بنبي الله عيسى ﷺ، حيث فوجئت به يقول تعالى: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: 20]، فقد حملت به من غير أب، بمدة حمل عادية، ولما

(1)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص14-15.

خرجت على قومها كان ذلك كالصاعقة لهم، سواءً في ذلك من يعرف نسكها وعبادتها، ومن لا يعرف، فهي المعروفة بينهم بأنها عذراء ليس لها بعل، كانت هذه المفاجأة داعية للاتهام، ولكن سبحانه وتعالى رحمها من هذه المفاجأة، فجعل دليل البراءة من دليل الاتهام لينقض الاتهام من أصله فأنطق الله الغلام، حيث قال الله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ [مريم: 30 – 32] [1].

2- ذكره للرواية النصرانية:

بعد أن ذكر أبو زهرة قول القرآن في ميلاد عيسى عليه السلام، يذكر أن المسيحيين قد أوردوا نصاً خاصاً بميلاد المسيح عليه السلام، وهو أن الله أرسل إلى مريم ملاكه جبريل، وبشرها بأن المسيح مخلص الدنيا يولد منها، وإن الروح القدس يحل فيها، فتلد الكلمة الأزلية، وتصير والدة الإله. وقد ولد ببيت لحم، إذ كان قد ذهب إليها يوسف النجار خطيب مريم الذي لم يتركها بعد أن حملت، ولد المسيح في خان قد نزل فيه يوسف ومريم، ولفقرهما لم يجدا مأوى لهما في الخان سوى مكان الدواب. ولقد قمطته وأضجعته في مِذْوَد البقر[2]، وفي ليلة ميلاده ظهر ملاك لجماعة من الرعاة كانوا يحرسون قطعانهم في الحقول المجاورة لبيت لحم، فرأوا بغتةً جمهوراً من الملائكة مسبحين قائلين {الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ}[3] فترك الرعاة القطعان، وذهبوا إلى المكان الذي دلهم عليه الملائكة، فرأوا الطفل في المذود، وسمي يسوع، أي المخلص في زعمهم كما سماه الملاك عند التبشير به [4].

3- استخدامه لمنهج المقارنة بين الروايات:

ذكر أبو زهرة هاتين الروايتين؛ ليعرِّف القارئ على الاختلاف بين الروايتين، حيث تأكد الرواية الإسلامية على نبوة عيسى عليه السلام واصطفاء الله لمريم وأنها لم تكن مخطوبة أو

---

(1)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص16-17.

(2)مِذْوَد: اللسان، ومن الثور قرنه، ويقال رجل مذود دفاع عن الذمار، ومذود الدواب هي المكان الذي يوضع فيه علف الدواب، وهذا هو المقصد من العبارة. انظر: المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ج1 ص317.

(3)إنجيل لوقا 2: 14

(4)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص26.

متزوجة، ثم ميلاد عيسى عليه السلام وحديثه في المهد، على اختلاف مع الرواية النصرانية في ألوهية عيسى عليه السلام وأحوال مريم من خطبتها من يوسف النجار، وبعض التفاصيل في ميلاده.

ولقد أوضح أبو زهرة الحكمة التي من أجلها خلق الله عيسى عليه السلام من غير أب، حيث قال الله تعالى: ﴿ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: 21]، وتتلخص في الآتي:

أ- ولادة عيسى عليه السلام من غير أب، تعلن قدرة الله سبحانه وتعالى، وأنه الفاعل المختار المريد. وخَلْق عيسى عليه السلام من غير أب، هو بلا ريب إعلانٌ لهذه الإرادة الأزلية، بين قوم غلبت عليهم الأسباب المادية، في عصرٍ ساده نوع من الفلسفة، فكان عيسى آية الله على إنه سبحانه لا يتقيد بالأسباب الكونية[1].

ب-ولادة المسيح عليه السلام من غير أب إعلان لعالم الروح بين قوم أنكروها، حتى لقد زعموا أن الإنسان جسم لا روح فيه، وأنه ليس إلا تلك الأعضاء والعناصر التي يتكون منها، فلقد قيل عن اليهود: أنهم كانوا لا يعرفون الإنسان إلا جسماً عضوياً، ولا يقرون إنه جسم وروح، فلما جاء عيسى من غير أب؛ وكان إيجاده بروح من خلق الله، كما قال تعالى ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 91]، كان ذلك الإيجاد الذي لم يكن العامل فيه سوى ملك من الأرواح نفخ في جيب مريم، فكان الإنسان من غير بذرة الإنسان وجرثومته [2].

ثالثاً: استخدامه لمناهج متعددة في إثبات عداوة اليهود للمسيح عليه السلام.

إن اليهود ناصبوا كل أنبياء الله الذين أرسلوا إليهم العداء، وإن استطاعوا قتلهم فإنهم سيفعلون ذلك، وقد أورد أبو زهرة سببين رئيسيين قادا اليهود إلى العداوة مع عيسى عليه السلام، وهما:

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص17.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص17-18.

1- استخدامه المنهج التاريخي في بيان السبب سياسي:

شرح أبو زهرة أساس العداوة القائمة بين اليهود وعيسى عليه السلام حيث الخوف من ضياع الملك، وحب السيطرة، وأن هذه العداوة بدأت منذ الوقت الذي ولد فيه، وقد اعتمد على الرواية النصرانية في إيراد المعلومة، حيث يروي أبو زهرة قصةً بأن اليهود لما علموا بميلاد المسيح عليه السلام، وأتتهم البشارات بذلك، وكان من المفترض أن يفرحوا بقدومه وبمولده، لكن هيرودس [1] لما علم بأمره، سرى إلى نفسه الخوف على مُلكه من هذا الوليد، وأخفى في نفسه أمراً لم يبده، وفي هذا الوقت ظهر ملاك الرب في الحلم ليوسف النجار[2]، وقال له قم وخذ الصبي وأمه، واهرب إلى مصر، لأن (هيرودس) يطلب الصبي ليقتله، ففعل كما أمر، فأمر (هيرودس) بقتل جميع أطفال بيت لحم والبلاد التي تجاوره ممن لا يتجاوز سنه سنتين. زاعماً أن يسوع لابد أن يكون أحدهم، فهربت مريم وابنها ولم يعودوا حتى تأكدوا من وفاة الطاغية، ولما عادوا إلى فلسطين أقاموا في الناصرة. ولما بلغ يسوع الثلاثين من عمره عمده يوحنا المعمدان في نهر الأردن، ، ثم صام أربعين يوماً وإذا ملائكة قد جاءت وصارت تخدمه، ثم صار في طريق التبشير. ولما رأى اليهود من أمره ما رأوا، تشاوروا لكي يقتلوه، وتآمروا عليه، وشكوه ظلماً، وكذبوا عليه، ثم أمسكوا به وأسلموه إلى حاكم فلسطين من قبل الرومان. فقضى عليه بالموت صلباً، فصلب في زعمهم ودفن. وبعد أن مكث في القبر ثلاثة أيام قام في الفصح، ومكث أربعين يوماً أرتفع بعدها إلى السماء أمام تلاميذه [3]

2- استخدامه المنهج التحليلي في بيان السبب الديني العقائدي:

يورد أبو زهرة سبباً آخر للعداوة، وهو سبب ديني عقائدي، لأن المسيح جاء بما يخالف أهواءهم، وما يخالف معتقداتهم، وأهمها أنهم أمة فوق الأمم، فلما جاء عيسى عليه السلام وسوى بين بني البشر في دعوته، وجعل الناس جميعاً سواء أمام ملكوت الله، ناصبوه العداء، وقليل منهم

([1])هيرودس أنتيباس: (21ق.م-39م) هو حاكم الجليل، أي حاكم اليهود في عهد المسيح عليه السلام، حاول كسب ود اليهود بإعادة بناء الهيكل في بيت المقدس، وهو الحاكم الذي أمر بذبح جميع أطفال بيت لحم في محاولة قتل المسيح عليه السلام. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص488.

([2])يوسف النجار: هو أحد شخصيات الإنجيل، والذي يعتقد النصارى أنه خطيب مريم، ومربي للمسيح عليه السلام، وأنه هو الأب الأرضي له بخلاف الأب السماوي يهوه، انظر: انجيل لوقا(3:23).

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص26-28.

من اعتنق دينه وآمن به، وأخذوا يعملون على منع الناس من سماع دعايته. فلما أعيتهم الحيلة، ورأوا أن الضعاف والفقراء يجيبون نداءه، ويلتفون حوله مقتنعين بقوله، أخذوا يكيدون له، ويشون للحكام بشأنه، ويحرضون الرومان عليه، ولكن الرومان ما كانوا يلتفتون إلى المسائل الدينية، والخلافات المذهبية بين اليهود، ولما ضاقت بهم الحيلة كذبوا عليه، وانتهى الأمر إلى أن تمكنوا من حمل الحاكم الروماني على أن يصدر الأمر بالقبض عليه، والحكم عليه بالإعدام صلباً [1]

يعقب أبو زهرة مبيناً منهجه في عدم الخوض في تفاصيل الخلافات، وإبراز العقيدة من دون التعقيب حتى يبين الحالة الكاملة لنشأة العقيدة، حيث يقول في ذلك: "لا نريد أن نخوض في بيان خلافاتهم حوله، قبل أن نبين ما نزل بالمسيحيين بعد المسيح، ولكنا سارعنا إلى بيان اعتقادهم الذي استقروا عليه في السميح ليوازن القارئ بين ما جاء في القرآن الكريم، وما جاء في أناجيلهم وتعاليمهم" [2].

حيث صرح أبو زهرة ببيان منهجه في عدم الخوض في التفاصيل الخلافات، وصرح أيضاً في بيان مصدره، من حيث اعتماده على القرآن، وعلى ما جاء في الأناجيل.

رابعاً: تعدد أوجه الاستدلال في إثبات تحريف العقائد النصرانية:

يتحدث أبو زهرة أن المسيحية تغيرت بعد المسيح، وتغيرت تغيراً جذرياً، فقد سارت في مسار انتهى بوثنيتها وانحرافها، وتحللها من العقيدة التي دعا إليها المسيح عليه السلام، وأنه عيسى رسول الله تعالى، وأنه عبده، يقول الله تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: 172] ، وبيان منهجه على النحو التالي:

(1)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص23.

(2) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص29.

1- اهتمامه بالسرد التاريخي:

عندما توفى الله المسيح إليه، توالى التعذيب على أتباعه، والتعذيب ابتدأ في حياته ﵇، في هذه الدنيا فقد اضطهده اليهود ودسوا عليه عند الرومان حتى همُّوا بصلبه ونجَّاه الله تعالى إذ شبه لهم، وتوالى من بعد ذلك تعذيب الرومان، في عهد ملوك كثيرين منهم، فكان منهم نيرون[1] الذي كان يطلي أجسامهم بالقار ويشعل فيه، ويسيرون في مواكبهم مشتعلين، ومنهم دقلديانوس[2] الذي قتل مقتلة عظيمة في سنة 282م، وإنه في وسط هذا الاضطهاد كان المسيحيون يقيمون شعائرهم الدينية في الخفاء، ولا يسلم الدين مع هذا [3].

2- تحديده لمصادر التحريف:

أ- بيانه لاختلاط المسيحية بالوثنية:

يبن أبو زهرة أنه في هذه العصور دخلت عناصر من الوثنيين يحملون وثنيتهم، وخلطوا ما بينها وبين عقيدة التوحيد التي جاء بها المسيح ﵇، والاختلاط هذا من أكثر الأشياء التي تضر العقائد، ومن أشدهم تحريفاً وتدليساً هو بولس -الذي سموه رسولا-، الذي ما دخل المسيحية إلا من أجل تخريبها، وهو الذي كان عدواً للمسيح في حياته، وهو أول من أدخل الوثنية فيها[4].

([1]) نيرون: نيرون كلاوديوس قيصر، (37- 68م)، خامس وأخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية، وصل إلى العرش لأنه كان أبن كلوديوس بالتبنى، بدأ حكمه بفترة من الإصلاحات، وذلك بتأثير معلمه الفيلسوف سينيكا، وقد كان سنه 16 سنة، ثم انقلب حكمه إلى كابوس مخيف وأنغمس في اللهو، وهو الذي كان مسؤول عن مجازر في حق المسيحيين، الذي استخدم في إعدامهم أفانين من القسوة المتناهية. انظر: قصة الحضارة، ديورنت، ج10 ص129-137.

([2]) دقلديانوس: ديوكلتيانوس (244-305م)، وكان عصره نقطة تحول في التاريخ القديم من عصر الإمبراطورية الرومانية إلى العصر البيزنطي سنة 284م، وحاول إدخال بعض الإصلاحات، تحولت سياسته ضد المسيحيين في أواخر حكمه، فأصدر دقلديانوس أربعة مراسيم تحث على اضطهاد المسيحيين، بمافي ذلك حرق الأناجيل ومنع المسيحيين من التجمع وهدم الكنائس وقتل أكثر من ألف مسيحي . انظر: تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية، عبد الجواد، ص45-46.

([3])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص380.

([4])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص380.

ب-**بيانه لأثر الأفلاطونية الحديثة على التحريف:**

بين أبو زهرة أن الأفلاطونية الحديثة[1] تكونت لأن الأوثان الرومانية فقدت قوتها، والفلسفة هي الأخرى فقدت سلطانها، فأرادت الأفلاطونية الحديثة أن تصل إلى نفوس الرومان باسم الدين وأرادت أن تجمع من بقايا من الوثنية، ومن اليهودية والنصرانية التي ظهرت ديناً جديداً، فكانت النصرانية التي خرجت عن دين المسيح عليه الصلاة والسلام، وهي جمعت بين الوثنية بألوهية المسيح وروح القدس مع الله، واليهودية باعتبار التوراة أصلا لها فصارت النصرانية[2].

ج- **بيانه لأثر السلطة في التحريف:**

بين أبو زهرة أن بطريق الإسكندرية جاء باتفاق مع قسطنطين إمبراطور الرومان في أول القرن الرابع، وادعى أن التوحيد بدعة في المسيحية، وأن الأصل فيها ألوهية المسيح -في زعمهم-، وأن آريوس[3] قد ابتدع التوحيد، وأنه يجب طرد أريوس الموحد المنكر لألوهية المسيح من المسيحية، مع أنه صورة للكثرة المسيحية الكاثرة التي كانت منبثة في ربوع مصر والشام[4].

د- **بيانه أثر المجامع على التحريف:**

دعي بسبب الخلاف الدائر، بين آريوس ومن معه من الموحدين، وغيره من دعاة ألوهية المسيح، لعقد مؤتمر عام في نيقية، الذي عده النصارى المصدر الأخير لديانتهم، دعي في هذا الجمع العام ثمانية وأربعون وألفا أسقف، وجرى بينهم اختلاف، والسائد فيهم التوحيد وإن كان فيه انحراف من بعض الطوائف. ولكن قسطنطين يريد الدخول في النصرانية، بعد أن يصيرها قريبة من دينه بإدخال الوثنية فاختار من هذا العدد الكبير 318، وقد رضوا بما يدعو إليه، وسلطهم

([1])الأفلاطونية الحديثة: حركة فلسفية موطنه الإسكندرية، وهي عبارة عن خليط من عقائد مختلفة، التي يعد أكبر رؤسائها أفلوطين المتوفى سنة 27 ميلادية، وتعتقد أن العالم نشأ عن الشيء الأول، وهو الله أو العقل الأول عندهم، ثم نشأ عنه العقل الثاني وهو ما سمي عند النصارى بالابن، ثم نشأ عنهما الروح العامة المتصلة بالمخلوقات جميعا. انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص381.

([2])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص381.

([3])آريوس: (250-336م)، لا هوتي نصراني، يوناني من سكان الاسكندرية، وضع مذهباً يعرف بالآريوسية، أكد فيه أن المسيح مخلوق وليس إله، وقد شجب مجمع نيقية واعتبره هرطقة. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبك، ص10.

([4])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص381.

على المسيحيين كلهم، قرر المجتمعون ألوهية المسيح، بقيادة بطريق الإسكندرية، وكان ذلك المجمع سنة 325م . ولكن المسيحيين عارضوا ذلك المجمع، ولكن الأفلاطونية الحديثة لم تتم فصولها، فقد تقررت في هذا المجمع ألوهية الابن في زعمهم، ولكن ثالوث الأفلاطونية الحديثة الله أو الأب، أو العقل الأول، والابن أو العقل الثاني، وروح القدس لم يتقرر بعد! ولذا كان لابد من أن يتقدم بطريق من الإسكندرية سنة(381م) بطلب تقرير ألوهية روح القدس فانعقد مؤتمر القسطنطينية، وقرر باقتراح بطريق الإسكندرية ألوهية روح القدس. وبذلك تم ثالوث النصارى، وهو ثالوث الأفلاطونية الحديثة [1].

يقرر بذلك أبو زهرة المراحل التي تطورت فيها الديانة المسيحية، دون التطرق إلى النقد لها أو التعليق على هذا التطور، وسنورد كامل التعليقات التي أوردها أبو زهرة من خلال الحديث عن عقيدة النصارى، في الفصل القادم، لكنه أكد التحريف الحاصل عندهم بجملة واحدة من خلال قوله: "وهم بهذا وثنيون يشركون مع الله أحدا، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[2].

([1])انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ج1 ص382.

([2])زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، ج1 ص382.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة نشأة النصرانية:

يُعرف عن الفاروقي اهتمامه الكبير بالتاريخ، وخاصة تاريخ الأديان، ولكنه عند حديثه عن المسيحية، فإنه يربط تاريخها باليهود، حيث أنه كان لليهود تأثير كبير على نشأة الديانة المسيحية، وذلك من خلال ما يلي:

أولاً: بيانه سبب التسمية:

منهج الفاروقي في تسمية النصارى كان في عدم الانجرار وراء الخلافات في المسميات، أدى ذلك إلى اهتمامه بالمضمون لا بالشكل، وقد أطلق على النصارى اسم المسيحيين في جميع الكتابات التي عرفت عنه، وهذا ربما لأحد سببين:

1- أن الفاروقي تخرج من المدرسة الغربية والتي تطلق على المسيحيين هذا الاسم، وهم لا يحفلون بالتسمية الإسلامية، ولا للدلالة التي تقع على المسمى من خلال الاسم، والغرض فقط هو التعريف في الطائفة.

2- أن الفاروقي كانت كتاباته معظمها باللغة الإنجليزية، عند ترجمتها إلى اللغة العربية يكون المعنى الإنجليزي للنصارى والمسيحيين نفس الكلمة، وهي (Christians)، ولهذا التزم المترجمون بمعنى المسيحية فقط.

فالفاروقي رجل علم، انتهج منهجية ألا يطرق باب الخلاف، الذي ربما يعقد المسائل ولا يأتي بالفوائد التي يرجوها، ولهذا لم يرد أن يدخل في هذا المعترك، واكتفى بالتسمية التي تبين المراد.

ثانياً: بيانه لعقيدة بني إسرائيل قبل بعثة المسيح عليه السلام:

وضح الفاروقي الخلل الحاصل في عقيدة بني إسرائيل متمثلين في اليهود، الذين أصبحوا فيما بعد هم أتباع عيسى عليه السلام، وقد عرض هذه العقيدة على النحو التالي:

1- تحديد علاقة النصرانية باليهودية من خلال السرد التاريخي:

بدأ الفاروقي بالحديث عن العقيدة اليهودية، وما حدث لها من تغيير، فيتحدث الفاروقي عن أن التغيرات والتطورات على مدى الزمان الذي ظل فيه اليهود خاضعين للدولة الإمبراطورية الرومانية، وغيرها من الإمبراطوريات التي احتلت فلسطين، مثل الإمبراطورية البابلية والفارسية، مع بيانه لمحاولة اليهود الحفاظ على الحماية الرومانية، مع احتفاظهم الشكلي بمحل إقامتهم في فلسطين، لكنهم لم يحتفظوا بالعقيدة الإبراهيمية كما أنزلها الله على أنبيائه، وفي خضم ذلك كانت الأخلاق التوحيدية الإبراهيمية قد نسيت تماماً [1].

2- توضيحه لدور عيسى عليه السلام في إصلاح الخلل في اليهودية:

أكد الفاروقي على أن المسيح عليه السلام كان من بيئة يهودية، ولد فيها، وتلقى التعاليم الدينية فيها، وقد لاحظ عيسى عليه السلام أن الخطأ العظيم في الديانة اليهودية هو: عندما وضعوا مجتمعهم في أعلى السلم القيمي. وبسبب معاناة اليهود، واضطهادهم مع الرغبة في توحيدهم، فُرضت تعليمات تشريعية انضباطية صارمة لتوحيد هويتهم، ولكن نسيت القيم الأساسية، وروح الشريعة اليهودية، فهم أرادوا دوام المجتمع لكن بغير الطريقة الصحيحة التي كتبة في توراة موسى عليه السلام؛ فصارت شريعة ظاهرية أضاعت روحها. وكانت الأخلاق المعتبرة والمقدمة هي التي تحافظ على الشخصية الاجتماعية لا الشخصية الفردية، ومن ثمَّ تقديم قيم المجتمع على قيم الخطأ والصواب بعينه، وقد لاحظ عيسى عليه السلام هذا الأمر، فجاء بثورة أخلاقية روحية داخلية فردية في داخل مجتمع بأخلاق ظاهرية اجتماعية، وأعاد ترتيب القيم لإعادة حب الإله أولاً، ثم الاهتمام بالداخل الإنساني للشخص في المجتمع [2].

3- استنباطه لأسباب بعثة عيسى عليه السلام:

ذكر الفاروقي العديد من الأسباب التي أدت إلى بعثة عيسى عليه السلام، وحاول إصلاح المجتمع اليهودي بتطهيره من هذه الآفات التي كان فيهم، فالأحوال الدينية لليهود والتي سبقت بعثة عيسى عليه السلام، هي من أهم الأسباب التي أدت إلى بعثته، وبيانها على النحو التالي:

([1]) See: Christian Ethics, Al Faruqi, page74.

([2]) See: Christian Ethics, Al Faruqi page74-77.

1- وضع حد لطغيان العنصرية على عقول اليهود.

2- التأكيد على مساواتهم مع جميع البشر.

3- تطهير لاهوتهم من البشرية، وارجاع السمو الإلهي إلى مكانه، حيث أنهم قد قدسوا البشر، وقدموا كلام البشر على كلام الله .

4- وتحرر اليهود من طغيان القانون الذي احتفظ بحرفيَّته ولكنه فقد روحه [1].

ربط الفاروقي بين نشأة النصارى، ووجود اليهود، حيث بين أن التحريف الذي حصل في اليهودية، ووجود العديد من المعتقدات التي تخالف الدين في عقيدتهم، كانت أهم الدوافع التي من أجلها أتت شريعة النصرانية، وتمثلت ببعثة عيسى عليه السلام، الذي رفضه اليهود.

ثالثاً: الأسباب التي أدت إلى عداوة اليهود لعيسى عليه السلام:

وقد شرح الفاروقي أن اليهود قوم لا يقبلون الرأي الآخر، على اعتبار أنهم قوم فوق الأمم، فلما بعث عيسى عليه السلام رأى اليهود فيه بدايةً لحركة، تهدف إلى إحداث تغيير جذري في روحهم، ونظامهم، وأخلاقهم؛ ومن هنا قرروا وضع حد لحياة المسيح من أجل الحفاظ على تلك الروح وذلك النظام، لا يريدون أن يتغيروا ولا يقبلون بأي تصحيح في معتقداهم التي وضعوها، حتى لو كان المصحح لهم من عند الله [2].

رابعاً: استنباطه أسس الإصلاح المتبع عند المسيح عليه السلام:

بين الفاروقي أن المسيح عليه السلام حاول أن يؤثر على اليهود أخلاقياً، بقصد التأثير عليهم وإعادتهم إلى الجادة، فالمسيح كان مهتماً بالإنسانية أولاً وأخيراً، وكان مهتماً باليهود بقدر ما هم

([1])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص105.

([2]) See: Christian Ethics, Al Faruqi, page50.

جزء من تلك الإنسانية. ولبلوغ تلك الإنسانية، رأى المسيح أن استبعاد الشريعة اليهودية لغيرهم يشير بوضوح إلى فشل تلك الشريعة في إدراك القيم الجديدة للأخلاق العليا[1].

لذلك فإن الفاروقي ذكر سمات الأخلاق الإنسانية عند المسيح ﵇، بما يخالف نظرة اليهود إلى الأخلاق، فأحدث عيسى ثورة أخلاقية ضد فساد الأخلاق اليهودية من جهات، وقد بينها كما يلي:

1- تصحيح الترتيب القيمي:

فاليهود يعتقدون أن العنصر اليهودي هو افضل ما في الكون، لذلك فإن الأخلاق الجديدة تعيد حب الإله إلى الأعلى، وإلغاء حب المجتمع اليهودي لذواتها فقط ليعم كل البشرية[2].

2- تقييم النظام الأخلاقي:

فأخلاق عيسى ﵇ تحقق القيم السامية، والأخلاق العالية، التي من أجلها بعث الأنبياء، لا كما كان عند اليهود، من أخلاقٍ فاسدة[3].

3- تحطيم النظام العنصري عند اليهود:

وذلك بتحطيم أسوار الهوية اليهودية الجالبة للانفصال عن المحيط الإنساني، والعنصرية والكراهية والتعامل بروح الاختيار والاصطفاء مع الأغيار، وجعل بدلاً منها التقييم الإنساني للفعل الإنساني الشخصي الداخلي [4]. ولقد مثلت المسيحية في مستهل عهدها بالوجود رد فعل على هذا التمركز اليهودي الرهيب حول الذات، الذى كان قد تيبس، لدى مجيء السيد المسيح﵇ [5].

([1]) See: Christian Ethics Al Faruqi, page77.

([2]) See: Christian Ethics, Al Faruqi, page77.

([3]) See: Christian Ethics, Al Faruqi page77.

([4]) See: Christian Ethics, Al Faruqi page78.

([5])انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص162.

4- رفض التقيد الحرفي بنصوص الشريعة:

فقد عهد عن اليهود تقيدهم بنصوص التوراة المحرفة، وحرفيتهم وتحجرهم في فهم الشريعة، واعتبارهم ما هو مجرد بطبيعته مادياً[1].

علق الفاروقي على هذا القول، أنه لذلك فقد كان لزاماً أن تكون دعوة عيسى عليه السلام عالمية، و شخصية. ودعوة عيسى عليه السلام الأخلاقية حتى النخاع كان من المفترض أن تتطور إلى حركة إصلاحية تصحح مبالغات اليهود، ويظل أتباعها هم الساميون، أي الفلسطينيون وجيرانهم. إلا أن تلك الدعوة تحولت مع غلبة اليونانيين على أمرها ، إلى ديانة غنوصية [2] أخرى . وأصبح إله الساميين المتعالي "أباً " في ثالوث مقدس [3].

إن الفاروقي بهذا العرض المقتضب حول نشأة المسيحية، يؤكد أنها حلت محل لخرافات، والأفكار، والقيم، والمبادئ اليونانية والرومانية، لكن الفاروقي يتساءل هل أدت المسيحية ما وجدت لأجله؟ أم أنها ابتعدت عن المسار الذي رسم لها من خلال تحريفها، فقد أصبحت فيما بعد توصف بأنها (مظلمة)، بسبب تعارضها مع الحياة والإنسان ومع العقل[4].

لذلك فإن الفاروقي درس عقائد المسيحية وقام بنقدها، ليبين أن المنهج الأمثل هو المنهج الإسلامي، الذي لم تدخل يد البشر في تحريفه.

([1])انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص204.

([2])الغنوصية: (العرفانية)، ويطلق على المذهب الذي انتشر في القرنين الثاني والثالث للميلاد، وخلاصته ان العقل البشري قادر على معرفة الحقائق الإلهية، وإن الحقيقة واحدة، وإن اختلف تعليمها، وإن الموجودات فاضت عن الواحد، ولها مراتب مختلفة، أما النفس التي هبطت الى هذا العالم فإنه لا خلاص لها إلا بالمعرفة، بل الخلاص بالمعرفة أفضل من الخلاص بالإيمان. انظر: المعجم الفلسي، صليبا، ج2 ص72.

([3])انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص162-163.

([4])انظر: النهضة الإسلامية في المجتمع المعاصر، الفاروقي، ص52.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة النصرانية:

تحدث أبو زهرة والفاروقي عن أهم النقاط المأثرة في نشأة النصرانية، والتي أدت إلى الصورة الحالية لديانة النصرانية، والتي كان لليهود عظيم الأثر فيها، وبيان أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما كما يلي:

أولاً: أوجه الاتفاق بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة النصرانية:

1- تحدث أبو زهرة والفاروقي حول عداوة اليهود للمسيح ﵇، والتي بدأت من يوم ميلاده إلى اليوم الذي توفاه الله إليه.
2- يتفق أبو زهرة والفاروقي على عدم الخوض في المسائل الخلافية والتي لا يفيد العلم بها، واكتفيا بعرض المسألة دون الرد عليها، حتى لو كان للسلمين رأي لنه رأي غير قطعي.
3- أكد أبو زهرة والفاروقي على أن المسيحية، والتي كان سبب نشأتها تصحيح المسار القيمي والأخلاقي في المجتمع، قد انحرفت لعوامل عدة عن مسارها، ودخلت فيها من الأفكار والمعتقدات الهدامة، ولم تؤدي الغرض الذي بعث عيسى ﵇من أجله.

ثانياً: أوجه الاختلاف بين منهج أبي زهرة والفاروقي في بيان نشأة النصرانية:

على الرغم من تمكن كل من أبي زهرة والفاروقي بعرض نشأة النصرانية، إلا أن لكل منهما ما يميزه عن الآخر، بيان ذلك كما يلي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- وضح أبو زهرة والفاروقي، الأسباب التي دفعت اليهود إلى العداوة مع المسيح ﵇، وقد حصرها أبو زهرة في سببين، أحدها سياسي، والآخر عقائدي. وقد ذكر الفاروقي السبب العقائدي فقط.

ب-أطلق أبو زهرة على النصارى تسميتان، النصرانية بناءً على التسمية الإسلامية لهم، ومسيحيين بناءً على التسمية الغربية، وهذا خلافاً للفاروقي الذي اقتصر على تسميتهم مسيحيين.

ج- ذكر أبو زهرة أحوال ميلاد المسيح بالتفصيل، وقد قام بعمل مقارنة ميلاده والأحوال المصاحبة لذلك بين ما ذكر في القرآن وما ذكر في الإنجيل، لكن الفاروقي لم يتطرق إلى هذا الموضوع.

د- بيان أبو زهرة للحكمة من ميلاد عيسى ﷺ من غير أب، وهذا الموضوع لم يتطرق إليه الفاروقي.

هـ- تحدث أبو زهرة عن المراحل التي مرت بها النصرانية بعد المسيح ﷺ، بدأً من التعذيب الذي مر به أتباع المسيح ﷺ، مروراً بالفتنة التي أحدثها قسطنطين، انتهاءً بالتحريف والتغيير الذي حصل في الديانة وخاصة مسألة تقرير الثالوث المقدس المسيحي.

و- ذكر أبو زهرة اختلاط النصرانية بالوثنية والأفلاطونية الحديثة، والتي سعت إلى إيجاد قاسم مشترك بينها وبين اليهودية والمسيحية، ما أثر على النصرانية وأدى إلى تحريفها.

2- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- ربط الفاروقي بين العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية، من خلال بيان أن العقيدة المسيحية هي امتداد لعقيدة اليهود، الذين رفضوا التغيير، وحاربوا الأفكار الجديدة.

ب- انفرد الفاروقي في بيان الأسباب التي من أجلها بعث المسيح ﷺ، مبينا أن أهمها هو: تطهير المجتمع اليهود من العنصرية، وتطهير اللاهوت من البشرية.

ج- ذكر الفاروقي العناصر الأخلاقية التي حاول المسيح ﷺ تغييرها في اليهود.

المبحث الثاني: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد النصرانية

درس أبو زهرة والفاروقي العقائد النصرانية، وكان كل منهما منهجه وأسلوبه، في دراسته لعقيدة النصارى، وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة العقائد النصرانية:

فصل أبو زهرة في كثير من الأمور التي من سياقات التاريخ، والتي بالتطرق إليها يتوضح للقارئ الكثير من مفاهيم النصرانية، والتي لعب اليهود والرومان فيها الدور الأكبر في صياغتها، وقام أبو زهرة بذكر عقائد النصرانية مع شيءٍ من التوضيح، حيث ينحصر نقد عقيدة النصارى حول الكتاب المقدس، وعقيدتهم في المسيح عيسى عليه السلام، وقد وضح أبو زهرة أن دعوة المسيح عليه السلام إلى الزهادة في الدنيا، والابتعاد عن أسباب النزاع والعكوف على الحياة الروحية، سببها أن اليهود الذين جاء المسيح عليه السلام مبشراً لهم بهذه الديانة بينهم، كان يغلب عليهم النزعات المادية، وكان منهم من يفهم أن الحياة الدنيا هي غاية بني الإنسان [1]، وقد بين أبو زهرة أهم العقائد في النصرانية، وذلك كما يلي:

أولاً: نقده للكتاب المقدس:

استمر أبو زهرة على المنهج الذي بدأه في كتاباته، من حيث الالتزام ببيان ما عندهم أولاً ثم التعقيب إن احتاج الأمر، فقد قسَّم أبو زهرة الكتاب المقدس إلى قسمين، وهي: كتب العهد القديم، وكتب العهد الجديد التي هي الأناجيل مع رسائل الرسل، ثم شرع ببيانها على النحو التالي:

1- بيانه لمكانة الكتاب المقدس عند النصارى:

بين أبو زهرة مكانة الكتاب المقدس عند النصارى، وبيان مكانته يلزم منه التفصيل في مكوناته، وكان على النحو التالي:

أ- توضيحه لعلاقة النصارى بالعهد القديم:

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص13.

وضح أبو زهرة ارتباط النصارى بالعهد القديم، والذي هو التوراة (أسفار موسى)، فمن هذا الجزء من الكتاب المقدس؛ يعرف النصارى أخبار العالم في عصوره الأولى، وأجياله القديمة، وشرائع اليهود الاجتماعية والدينية، وتاريخهم، والنبوات السابقة، والبشارات بالنبيين وبالمسيح، وفيها يجدون أدعية متوارثة تعين على أداء العبادات، بيد إنه يجب أن يلاحظ أن بعض الأسفار المعتبرة عند اليهود مرفوضة عند المسيحيين، لعدم اعتقادهم بصحة الوحي فيها[1]، يدلنا أبو زهرة على ارتباط النصارى باليهود، حيث إن الاتفاق في المصدر يؤدي إلى الاقتراب في العقيدة، يؤدي في النهاية إلى فساد المصدر والعقيدة معاً.

ب-**تحديده لمكونات العهد الجديد:**

ثم تطرق أبو زهرة إلى أهم أجزاء كتابهم قداسة، والتي قسمها أبو زهرة إلى قسمين، الأناجيل، ورسائل الأعمال، ثم بدأ بشرحها على النحو التالي:

- **الأناجيل:**

يبين أبو زهرة أن النصارى، لم يتفقوا في بداية الأمر على الأناجيل، ثم بعد فترة حصل الاتفاق على أن الأناجيل المعتبرة عندهم أربعة: (إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا)، والتي تشتمل على شخصية المسيح عليه السلام، وحياته من ميلاده إلى مرحلة الصلب والفداء. وهذه الأناجيل هي ما تعترف بها الكنيسة، وتقرها[2].

- **رسائل رسلهم:**

وضح أبو زهرة مقصود النصارى من رسائل الرسل، حيث أنهم يسمونها -ما عدا رسالة أعمال الرسل- الأسفار التعليمية، كما يسمون الأناجيل ورسالة أعمال الرسل الأسفار التاريخية، ثم يعدد أبو زهرة الرسائل مع كاتبيها وترجم لكل واحد منهم ترجمة مختصرة وترجمة لبولس ترجمة خاصة مستفيضة لما له من تأثير على الديانة المسيحية[3]، حتى أن أبا زهرة يقول: "لقد

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص40.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص41.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص69-74.

صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه، منسوبه إليه" [1]. وقد خص أبو زهرة بولس في التفصيل، لما له الأثر على النصرانية، مع أنه قد كان يهودياً ومن أشد أعداء النصرانية، ليصبح في فترة وجيزة الآمر الناهي، صاحب إنجيل يقدسه النصارى.

2-إثباته التحريف للكتاب المقدس:

وضح أبو زهرة التحريف الحاصل في الكتاب المقدس عن النصارى، وذلك من خلال ما يلي:

أ- **النقد بالمقارنة مع القرآن الكريم:**

وضح أبو زهرة أن هذه الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح عليه السلام، ولم تنزل عليه هو بوحي أوحى إليه، ولكنها كتبت من بعده[2]، يريد أبو زهرة هنا أن يبين الفرق الكبير بين هذه الأناجيل والقرآن الكريم، الذي كان من عند الله تعالى، وهو على ما كان من يوم نزل على قلب محمدﷺ.

ب-**النقد المعرفي للأناجيل:**

يؤكد أبو زهرة أن التاريخ يروي لنا وجود أناجيل أخرى غير الأناجيل الأربعة، اعتمدتها فرق قديمة، مثل (أصحاب مرقيون[3]، وأصحاب ديسان، وأصحاب ماني، وإنجيل السبعين ...) وهذه الأناجيل يخالف بعضها البعض الآخر، وكل من له إنجيل يعتقد أن إنجيله هو الصحيح وما سواه باطل[4].

ج- **النقد التاريخي للأناجيل:**

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص75.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص42.

([3])مرقيون: وهو أبرز مسيحيي القرن الثاني الميلادي، حول التوفيق بين المسيحية والغنوصية، والخلاص عنده يأتي بالإيمان عن طريق يسوع المسيح بالذات. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات وحتى ظهور الإسلام، خياطة، ص79.

([4])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص41.

نقد أبو زهرة هذه الأناجيل نقداً تاريخياً، بقوله: "لم توجد عبارة تشير إلى وجود أناجيل متى ومرقيون ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثالث" [1]، يقصد أبو زهرة فبماذا كان يؤمن الناس في هذه المدة؟ ثم يؤكد على أن الذي جعلهم يثبتون هذه الأناجيل الأربعة دون غيرها، هو اختيار الكنيسة لها، وإجبارها الناس على الإيمان بها دون غيرها[2].

د- **نقده للأناجيل في أمور مخصوصة كل على حدة:**

بعد أن نقد أبو زهرة الأناجيل بشكل عام فإنه قام بعمل نقد منهجي لكل إنجيل بشكل مخصوص، وذلك كما يلي:

- **نقده لإنجيل متى:**

- بين أبو زهرة أن كاتب إنجيل متى هو من الجُباة اليهود الذين كانوا يبغضونهم، حيث يتهموهم بالظلم، والعمل فيها معين للدولة الرومانية، التي تحكم البلاد بغير رضا أهلها، فكيف يكون كاتب أحد الأناجيل أحد أعظم المبغوضين من قبل النصارى أنفسهم[3] .
- كتب إنجيل متى بالعبرية، ولم يُعرف إلا باللغة اليونانية، وجهل المترجم، وهذا باتفاق جمهورهم، ثم الجهل بتاريخ تدوينه[4]، ثم يعقب أبو زهرة على ذلك بقوله: "لا شك أن جهل تاريخ التدوين، وجهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية، وجهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره، وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها، كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي" [5]، يلفت أبو زهرة انتباهنا هنا إلى ما كان من علماء الحديث من تدقيق على رواة الأحاديث عن رسول الله، من حيث معرفة كل التفاصيل المتعلقة بحياتهم، وإذا جهل أي أحد ولم يعلم حاله فإن حديثه يترك.

---

(1)محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص41.

(2)انظر: المرجع السابق، ص41.

(3)انظر: المرجع نفسه، ص42.

(4)انظر: المرجع نفسه، ص42.

(5)المرجع نفسه، ص45.

- **نقده لإنجيل مرقص:**

بين أبو زهرة إنكار مرقص كاتب أحد الأناجيل الأربعة المعتمدة ألوهية المسيح ﷺ [1]، يعني أن لسان حال أبي زهرة أن يقول إذا كان أحد كتبة الإنجيل ينكر أساس الديانة، فمن يجب أن ينكرها حتى تعلموا أن دينكم محرف.

- **نقده لإنجيل لوقا:**

يبين أبو زهرة أن الباحثين الغربيين ليسوا على علم يقيني بمولد وعمل كاتب إنجيل لوقا، فمن قائل إنه (أنطاكي)، ومن قائل إنه (روماني) ولد (بإيطاليا)، ومن قائل إنه كان طبيباً، ومن قائل إنه كان مصوراً، وفي القوم الذين كتب لهم، وفي تاريخ تأليفه، وكلهم يتفقون على إنه من تلاميذ بولس ورفقائه، ولم يكن من تلاميذ المسيح، ولا من تلاميذ حوارييه[2].

- **نقده لإنجيل يوحنا:**

- إنجيل يوحنا هو الإنجيل الذي تضمنت فقراته ذكراً صريحاً لألوهية المسيح، خلاصة أقوال العلماء بالمسيحية في القرن الثاني الميلادي في هذا الإنجيل أن من كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة[3].
- النصارى يجمعون أو يكادون على أن الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات أُلوهية المسيح التي اختلفوا وشأنها، لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة يعينها[4].

بعد أن وضع أبو زهرة هذه الانتقادات على الأناجيل المعتمدة عندهم، وبين أن هناك أناجيل أخرى لم يعتمدوها، ثم فصل القول في أحدها بما يقدح في المعتقدات الأساسية الموجودة في ديانة النصرانية، بما يعطي السبب في استبعاد هذه الأناجيل، بخلاف الأربعة الأخر، وقد تحدث أبو زهرة عن (إنجيل برنابا) [5]، بقوله:" إن الكنيسة لم تعترف به وأنكرته، ولكنه متداول

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص46.

([2])انظر: المرجع السابق، ص48-49.

([3])انظر: المرجع نفسه، ص50.

([4])انظر: المرجع نفسه، ص53.

([5])إنجيل برنابا: هذا الإنجيل يمكن أن يكون حلقة الوصل بين المسيحية والإسلام، وبرنابا يعتبر من الصف الأول بين أتباع المسيح، وقد ورد اسمه عدة مرات في رسالة أعمال الرسل، وفي هذا الإنجيل العديد من المسائل

بين علماء الأمم الأوربية، وقد اتجهوا إليه بالبحث والعناية، والاهتمام، ولم يمنعهم من ذلك إنكار الكنيسة له. فمن الحق علينا أن ندرسه، ونعرف رأي المسيحيين فيه، من غير أن نقحم أنفسنا فيما ليس لنا من إملاء عقيدة على القوم في دينهم"[1]. ويبرز هنا منهج لأبي زهرة حيث صرح بالحيادية في عرضه لحقائق الديانة المسيحية، ثم قام بالتدليل على صحة إنجيل برنابا من خلال:

- **بيانه للصفات الحسنة التي كان يتمتع بها برنابا:**

بين أبو زهرة أن هناك من كتابهم المقدس ما يشهد على صدق برنابا، فرسالة الأعمال تشهد أنه كان من الرسل في اعتقادهم، الذين أخلصوا للدعوة إلى المسيحية، حتى باع كل ما يملك، وهو الذي شهد لبولس بالإيمان، وأن برنابا كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروح.

- **توضيحه لمكانة برنابا من المسيح ؛:**

يوضح أبو زهرة أنَّ وجود إنجيل باسم برنابا، إنما يدل على أنه كان من الحواريين الذين أختصهم المسيح ؛ بالزلفى إليه، وملازمته في سرائه وضرائه، فإن صحت نسبة هذا الإنجيل إليه، كان ما يشمله حجة عليهم[2].

- **إثباته للقيمة المعرفية لإنجيل برنابا:**

يبين أبو زهرة أن إنجيل برنابا هذا يمتاز بقوة التصوير، وسمو التفكير، والحكمة الواسعة، والدقة البارعة، والعبارة المحكمة، والمسيحيون رفضوه لأنه خالف أناجيلهم ورسائلهم في مسائل جوهرية في العقيدة. منها:

- رفضه تأليه المسيح ؛ ، فهولم يعتبر المسيح ابن الله، ولم يعتبره إلهاً [3].

التي تعد خرقاً في دين النصارى، والتي تنقضه من أساسه، ولا تعترف الكنيسة بنسبة هذا الإنجيل إلى برنابا، انظر: المسيحية، شلبي، ص217-224.

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص57.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص58-59.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص64.

- أن الذبيح الذي تقدم به إبراهيم الخليل عليه السلام للفداء هو إسماعيل، وليس إسحاق، كما هو مذكور في التوراة، وكما يعتقد المسيحيون [1].
- أن مسيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع، بل محمد [2].
- يبين أن المسيح ﷺ لم يصلب، ولكن شبه لهم[3].

يعقب أبو زهرة على هذا الإنجيل بالقول: "وفي الحق إنه خالف المسيحية القائمة في خصائصها التي امتازت بها، فإن تلك المسيحية امتازت بالتثليث، وبنوة المسيح وألوهيته، وكان هذا شعارها الذي بها تعرف، وقد خالف كل هذا، وإذا كانت مخالفته للمسيحية القائمة في ذلك الأمر الجوهري ثابتة، فقد كان من الحق إذن أن يحدث ظهوره وكشفه بين ظهراني المسيحيين رجة فكرية عنيفة، فالكنيسة والمتعصبون من المسيحيين يرفضونه رفضاً باتاً، مادام قد أتى بما لا يعرفونه هم" [4].

هـ- نقده لرسائل الرسل:

قام أبو زهرة بتفنيد رسائل الرسل عند النصارى ثم بين الخلل الموجود فيها، وذلك من خلال:

- **البحث في حقيقة الرسل:** فلم تعرف حقيقة هؤلاء الرسل، ومن هم بسند صحيح، فضلاً عن أن يكون السند قطعياً، وإذا كنا لا نعرف من هم، فكيف نؤمن لهم بمعجزات[5].
- **تحقيق بعض الأوصاف التي وردت في حق الرسل:** لم يكن إذن لوقا ملهماً، أنه لا يوجد دليل يثبت إلهامه، ولأن مقدمة إنجيله كمقدمة رسالته تدل على إنه لم يكن ملهماً[6]. وفي دعوى إلهام الرسل في كل ما كتبوا، لم تكن محل إجماع من كتاب المسيحيين في القديم

([1])انظر: المرجع السابق، ص65.

([2])انظر: المرجع نفسه، ص65.

([3])انظر: المرجع نفسه ، ص66.

([4])المرجع نفسه ، ص67.

([5])انظر: المرجع نفسه ، ص82.

([6])انظر: المرجع نفسه ، ص83.

والحديث[1]، وادعاء الإلهام على فرض اتفاقهم عليه ليس له من البينات ما يثبته، ولا من الأدلة ما يقيم ادعاءه، ونحن نطالبهم بدليل [2].

- **إثباته للتناقض:** حيث أثبت أبو زهرة التناقض والتضارب التضارب بين كتب العهد الجديد[3].
- **الاختلاف في صحة رؤيا يوحنا:** ورؤيا يوحنا التي تسمى (الكتاب النبوي) ولم يحكم بصحة هذه الكتب إلا في مجمع لوديسيا سنة 364 [4].

تعقيب من أبي زهرة على هذه الأمور، حيث يقول:" هذه كتبهم، اعتقدوا إنها كتبت بإلهام من كُتَّابها، ولم يقيموا أي دليل على دعوى الإلهام، وبدراستها يتبين التناقض بينها، مما يثبت أنها ليست بإلهام من الله، وبدراسة تاريخها يثبت إنها منقطعة السند عمن نسبت إليهم" [5].

بعد أن انتهى أبو زهرة من عرض لكتابهم المقدس يتجه إلى النقد والتمحيص، والفحص حيث يورد على كتابهم بعضاً من الاعتراضات، والتي تبين الخلل الكبير الحاصل فيه فيقول في ذلك: "عرضنا على القارئ كلام القوم في كتبهم، وحاولنا أن نكون حاكين ولم نعلق عليها ولم ننقدها، ولم ننبه إلى وهنها، إلا إذا كان ذلك التنبيه قد نسبق إليه علماؤهم، والباحثون منهم، ووجهوا هم النقد إليه، أو كان الأمر من الوضوح بحيث يكون المرور عليه من غير تنبيه إلى موضع الضعف يجعل البحث غير منسق، وبعيداً عن الانسجام الفكري" [6].

يورد أبو زهرة بعضاً من أوجه النقد، لا كلها حيث أنه يقول: "ولسنا نريد أن نحصي كل أوجه النقد التي وجهت، فإن ذلك يحتاج بيانه إلى مجلدات ضخام لكثرتها، ولكنا نكتفي بإيراد بعضها، ونترك الباقي للاطلاع عليه في مصادرة المسيحية وغير المسيحية"[7].

---

(1)انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص84.

(2)انظر: المرجع السابق، ص85.

(3)للاطلاع على هذه التناقضات، انظر: المرجع نفسه ، ص85–90

(4)انظر: المرجع نفسه ، ص90.

(5)المرجع نفسه ، ص91.

(6)المرجع نفسه ، ص77.

(7)المرجع نفسه ، ص77.

أثبت أبو زهرة تحريف النصارى لكتابهم المقدس، حتى أنه ذكر محاولتهم لتحرف القرآن الكريم،[1]، لكن يميز القرآن عن غيره من الكتب أنه محفوظ بحفظ الله تعالى له.

ثانياً: بيانه عقيدة المسيح عليه السلام التوحيدية:

حيث قرر أبو زهرة أننا معشر المسلمين لا نعرف مصدراً صحيحاً جديراً بالاعتماد والثقة من المسلم غير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، فهما المصدران المعتمدان للمسلم في هذا، وما نكتب هذا لنلزم به المسيحيين، ولا على أنه هو المعتبر عندهم، ولكن نكتبه، ليتسق البحث، ولنتم السلسلة[2]، ثم يحكي أهم ما ورد ذكره في بيان عقيدة المسيح، كما يلي:

1- إثباته التوحيد الكامل للمسيح عليه السلام من خلال القرآن لكريم:

منهج أبي زهرة في إقرار عقيدة المسيح عليه السلام هو أن يذكرها كما أقرها القرآن الكريم، حيث ينص على أن عقيدة المسيح هي التوحيد الكامل، فلا يعبد إلا الله، وهو خالق السماء والأرض وما بينهما لا شريك له، والتوحيد في الذات والصفات، وهذا ما يقوله الله تعالى عما يكون من عيسى عليه السلام يوم القيامة من مجاوبة بينه وبين ربه: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [المائدة: 116، 117] فهذا نص يفيد بصريحة أن عيسى ما دعا إلا إلى التوحيد، فغير التوحيد إذن دخل النصرانية من بعده، وما كان عيسى إلا رسول لله رب العالمين [3].

2- التعريف بالإنجيل الذي نزل على المسيح عليه السلام:

(1) انظر: الديانات السماوية، أبو زهرة، ص193.

(2) انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص12.

(3) انظر: المرجع نفسه ، ص12.

يؤكد أبو زهرة أن الله بعد أن بعث عيسى عليه السلام بالتوحيد، أنزل عليه كتاباً سماوياً وهو الإنجيل، وهو مصدق للتوراة، ومحيى لشريعتها، ومؤيد للصحيح من أحكامها، وهو مبشر برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، وهو مشتمل على هدى ونور وهو عظة للمتقين، وإنه كان على أهل الإنجيل أن يحكموا بما أنزل فيه، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: 47] . ولقد كانت دعوة المسيح عليه السلام تقوم على أساس إنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، ولا توسط بين العابد والمعبود، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، من غير حاجة إلى توسط كاهن أو قسيس أو غيرهما [1].

3- الاستدلال على أساس دعوة المسيح عليه السلام:

بين أبو زهرة أن دعوة المسيح عليه السلام كانت تقوم على أساس أنه لا توسط بين الخالق والمخلوق، بل كل مسيحي يتصل بالله في عبادته بنفسه، ودعوته عليه السلام تقوم على الزهادة، وكان يحث على الإيمان باليوم الآخر، واعتبار الحياة الآخرة الغاية السامية لبني الإنسان في الدنيا، إذ الدنيا ليست إلا طريقاً غايته الآخرة، وقد صرح أبو زهرة بأنه استدل على أحوال المسيح عليه السلام من خلال استقراءه الآثار الواردة عن رسول الله ﷺ ومن أقوال المؤرخين[2].

هذا كان بيان أبي زهرة لعقيدة المسيح عليه السلام كما كان عليها هو في أيام حياته، وقد استند أبو زهرة لبيان هذه العقيدة على القرآن الكريم، والسنة الصحيحة، والذي في اعتقاده هما المصدر الوحيد الذي يملك الثقة فيه، ولم تدخل يد البشر في التلاعب فيه مطلقاً.

ثالثاً: منهجه في بيان معجزات المسيح عليه السلام وبعثته:

لقد فصل أبو زهرة الحديث عن بعثة المسيح عيسى عليه السلام بدءاً بالحديث عن بداية البعثة إلى الحديث عن المعجزات التي رافقت هذه البعثة، وبيان ذلك على النحو التالي:

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص13.

([2])انظر: المرجع نفسه ، ص13.

1- التوفيق بين مصادر المسلمين والنصارى :

ويتضح هذا الأمر في بيانه السن التي بعث فيها المسيح عليه السلام ، حيث يبدأ أبو زهرة الحديث عن بعثة عيسى عليه السلام بالحديث عن السن التي بعث فيها، ثم يبين منهج بوضوح في قوله: "ولم يرد في القرآن الكريم، ولا في الآثار الصحاح بيان السن التي بعث عند بلوغها عليه السلام. ولكن ورد في بعض الآثار إنه بعث في سن الثلاثين، وهي السن التي تذكر الأناجيل المعتبرة عند النصارى إنه بعث على رأسها، ويصح لنا أن نفرض أنه بعث في هذه السن على هذا الأساس"[(1)] . يعني أن أبا زهرة يبين لنا منهجاً راقياً في التعامل مع النصوص النصرانية حيث أنها لم تعارض نصاً صحيحاً وكان من الأثر ما يتفق معها فكان لزاماً أن نتفق مع هذا النص.

2- إثبات موافقة معجزات المسيح عليه السلام لدعواه:

بين أبو زهرة أن المعجزات التي ذكرها القرآن تتلخص في أمور خمس:

أ- تصويره الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله، فالخالق هو الله، ولكن جرى الخلق على يد عيسى، بإذن الله تعالى.

ب-إحياؤه عليه السلام الموتى بإذن الله جلت قدرته، والمحيي في الحقيقة هو الله العلي القدير، ولكن أجرى الأحياء على يد المسيح عليه السلام، ليكون ذلك دليلا على رسالته.

ج- إبراؤه عليه السلام الأكمه والأبرص، وهما مرضان تعذر على العالم قديمه وحديثه العثور على دواء لهما، فكان ذلك دليلاً قائماً على رسالته عليه السلام.

د- إنزال المائدة من السماء بطلب الحواريين، لتطمئن قلوبهم، وليعلموا أن قد صدقهم.

هـ-إنباؤه عليه السلام بأمور غائبة عن حسه، ولم يعاينها، فقد كان ينبئ صحابته وتلاميذه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم [(2)].

3- بيانه للحكمة من كون معجزاته عليه السلام من ذلك النوع:

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص18.

([2])انظر: المرجع نفسه ، ص19-20.

وافق أبو زهرة قول من قال بأن الحكمة من كون معجزاته من هذا النوع؛ بأن القوم كانوا على علم بالطب الطبيعي وكانوا فلاسفةً في ذلك، فجاءت المعجزة من جنس ما يعرفون، ليكون عجزهم حجة عليهم، وعلى غيرهم ممن هم دونهم في الطب. لكن أبا زهرة لم يتفق وهذا الرأي، حيث أورد فقرة تاريخية تدل على أن اليهود لم يكونوا على علم بالطب، بما يقدح في هذه الحكمة. فيرد أبو زهرة على ذلك بقوله: "وفي الحق أن الذي نراه تعليلاً مستقيماً لكون معجزات السيد المسيح عليه السلام جاءت على ذلك النحو هو مناسبة ذلك النوع لأهل زمانه، لا لأنهم أطباء، بل لأن أهل زمانه كان قد سادهم إنكار الروح في أقوال بعضهم، وأفعال جميعهم، فجاء عيسى عليه السلام بمعجزة هي في ذاتها أمر خارق للعادة، مصدقٌ لما يأتي به الرسول وهي في الوقت ذاته إعلان صادق للروح، وتناسبت مع رسالته، وهي الدعوة إلى تربية الروح، والإيمان بالبعث والنشور" [1]، لكن ربما الحق أن الحكمة هي ذلك كله، حيث يأتي المسيح عليه السلام بمعجزات يعجز عنها أهل السحر والشعوذة ممن كان في ذلك الزمان من اليهود، ثم تكون هذه المعجزات تأكيداً من المسيح لقوم لا يأمنون بالروح، ولا بالبعث والحساب.

ويرسم أبو زهرة لطلبة العلم منهج راق في التعامل مع الآخر، حيث إننا لا يجب أن نأخذه كما هو، بل يجب إعمال العقول في المسائل التي تقبل ذلك، حيث إنه استطاع بمعرفته التاريخية، وقدرته التحليلية أن يعطي الحكم الأمثل من كون معجزات عيسى عليه السلام أتت على هذا النحو، وبالتالي حري بطلبة العلم إذا أرادوا الإبحار في هذا المضمار، أن يعملوا عقولهم، وأن يحاولوا سبر غور المسائل حتى يتبين لهم الحق ويبينوه للناس على أحسن صورة .

رابعاً: نقده تأليه النصارى للمسيح عليه السلام:

يقرر أبو زهرة –من خلال استقراءه التاريخي– مسألة تاريخية مهمة، هي أن عيسى عليه السلام إنما بعث داعياً إلى الوحدانية، ينادي بأن الله واحد أحد، فرد صمد ليس بوالد ولا ولد، وإن الذين قالوا منهم في أول أمر المسيحية بأن المسيح ولد الله، فسروها أنها أبوة نعمة، وهو ولد نعمة، ليس ولد ألوهية، حتى جاء (مجمع نيقية) الذي انعقد تحت سلطان قسطنطين، عندما أراد الدخول

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص21–22.

في النصرانية، فأعلن ذلك المؤتمر ألوهية المسيح [1]، أي: أنهم تدرجوا في التحريف، حيث إن النصارى الأوائل لم يؤمنوا بأهم أساس من أساسات العقيدة في دينهم والتي هي ألوهية المسيح، فقد كان أول أقر ألوهية المسيح هم أتابع بولس الذين يعبدون المسيح، وهو بريء منهم [2]، وقد استدل أبو زهرة على إثبات بطلان هذه الدعوى من خلال إثبات بشريته وقد رد على مغالاة النصارى في المسيح عليه السلام كون صفة البشرية واضحة فيه، منذ ولادته، وفي أطوار حياته، وفي كونه لحماً ودماً، يحيا ويموت، ويأكل ويشرب، كما يأكل سائر البشر [3].

خامساً: نقده عقيدة الثالوث المقدس:

من أهم العقائد عند النصارى هي عقيدتهم في التثليث، وهي التي تمثل التوحيد عند المسلمين، فأساس العبادات وأساس النصرانية هو الإيمان بهذه العقيدة، وقد بينها أبو زهرة على النحو التالي:

1- شرح عقيدة التثليث عند النصارى:

شرح أبو زهرة التثليث الذي عند النصارى من كتبهم، فنقل عنهم أن التثليث يعني أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية، وهي على النحو التالي:

الأقنوم الأول: الله الأب(مصدر كل الأشياء ومرجعها).

الأقنوم الثاني: والله الابن (الكلمة).

الأقنوم الثالث: والله الروح القدس (الدلالة على النسبة بينه وبين الأب والابن).

يشرح أبو زهرة هذه العقيدة، كما يلي:

أ- الاعتماد على مصادرهم في توضيح التثليث:

---

(1)انظر: المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، أبو زهرة، ص40.

(2)انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص70.

(3)انظر: المرجع السابق، ج4 ص1978.

يعتمد أبو زهرة على مصار النصارى أنفسهم في شرح عقيدتهم في الثالوث المقدس، ولكنه لا يصرح بالمصدر، ويذكره بالمعنى، فإلى الأب ينتمي الخلق بواسطة الابن، وإلى الابن الفداء، وإلى الروح القدس التطهير، ثم يعقب على هذ الكلام بقوله: "ويفهم من هذا أن الأقانيم الثلاثة عناصر متلازمة لذات الخالق" [1].

ب-بيانه للتناقض في التفسير:

يوضح أبو زهرة التناقض من خلال أن الثالوث عندهم أشخاص متغايرة، وإن كان وجودها متلازما، وفي هذا التفسير، والتفسير الذي سبقه يبدو بجلاء أن شخصية الابن غير الأب، وكذلك روح القدس [2].

مع تهافت القول بالتثليث، والنصارى يعلمون ذلك، فإن أبا زهرة يوضح محاولاتهم في تبرير أو إقناع مجتمعه في هذا القول من خلال نقاط ثلاث، وهي كالتالي:

- إثبات أن التوراة وجد فيها أصل التثليث.
- احتواء اللاهوت على ثلاثة أقانيم، وهي في شعبها متغايرة وإن كانت في جوهرها غير متغايرة.
- العلاقة بين الأب والابن ليست ولادة بشرية، بل هي علاقة المحبة والاتحاد في الجوهر [3].

يعقب أبو زهرة على ذلك بقوله: "ومن هذا كله يفهم أن المسيحيين على اختلافهم يعتقدون أن في اللاهوت ثلاثة يعبدون، وعباراتهم تفيد بمقتضاها أنهم متغايرون، وإن اتحدوا في الجوهر والقدم، والصفات، والتشابه بينهم كامل، ولكن كتابهم يحاولون أن يجعلوهم جميعاً أقانيم لشيء واحد، وبعبارة صريحة يحاولون الجمع بين التثليث والوحدانية، ولكن عند هذه المحاولة

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص100.

([2])انظر: المرجع السابق، ص102.

([3])انظر: نفسه، ص101.

تستغلق فكرة التثليث، وتصير بعيدة عن القصور، كما هي في ذاتها مستحيلة التصديق، لأن من أصعب الأشياء الجمع بين الوحدانية والتثليث" [1].

2- بيان انتقال النصرانية من التوحيد إلى التثليث:

يقرر أبو زهرة أنه من البداهة أن التثليث بالشكل الذي يعتقده جماهير المسيحيين، لم يعلن للناس دفعة واحدة، بل في أزمان متفاوتة مختلفة، وكان بإعلان المجامع التي كانت تعقد من الأساقفة، وفيها يقرر المجمع رأياً معيناً، والمجامع في المسيحية هي كما يقول علماؤهم (جماعات شورية في المسيحية)، وأعظم هذه المجامع، وأبعدها أثراً، وأكبها شأناً، وأولها وجوداً هو (مجمع نيقية)[2]. و سبب انعقاده العام الاختلاف بينهم في شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول؟ فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، وأنه هو كلمته، ولم يظهروا هذه الخلافات في زمن الاضطهاد الروماني لهم، فلما جاء قسطنطين واعتزم دخول النصرانية، وجد هذا الخلاف الشديد، فأمر بعقد (مجمع نيقة)[3].

وقد كان مذهب عدم أُلوهية المسيح ذائعاً منتشراً، ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح، وطالح، وعدل بينهما، وهي مقالة (مرقيون)اللعين وأصحابه[4]. وقد تدخل (قسطنطين) إمبراطور الرومان في الأمر. فأرسل كتاباً إلى (أريوس) و(الإسكندر) يدعوهما إلى الوفاق، ثم جمع بينهما، ولكنهما لم يتفقا، فجمع مجمع نيقية سنة 325م، وقرر فيه القول بأُلوهية المسيح، وإنه من جوهر الله، وإنه قديم بقدمه، وفرضت تلك العقيدة على المسيحيين قاطبة مؤيدةً بسلطان قسطنطين، لاعنةً كل من يقول غير ذلك، والذين وافقوا على هذا القول من الأساقفة المجتمعين ثلاث مائة

---

(1)محاضرات في النصرانية، أبو زهرة ، ص103.

(2)انظر: المرجع السابق، ص121.

(3)انظر: المرجع نفسه ، ص123.

(4)انظر: المرجع نفسه، ص122-124.

وثمانية عشر فقط، ويخالفهم في ذلك نحو سبعمائة وألف أسقف، وإن لم يكونوا متفقين فيما بينهم على نِحلة واحدة [1].

بعد أن سرد أبو زهرة التاريخ الذي أدى في النهاية إلى التثليث، قام بتوجيه النقد لهذه البدعة القاتلة للتوحيد من خلال:

أ- الأخذ برأي (318) أسقفاً وإهمال الباقي الكثرة، عملاً برأي قسطنطين. ويظهر أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل في تكوين رأي الذين رأوا أُلوهية المسيح[2]

ب-فرض المجمع نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقى على الناس أوامر الدين وعليهم أن يطيعوا راغبين أو كارهين، ولابد من تلقي تعاليم الدين من أفواه العلماء ورجال الكهنوت فقط [3].

ج- أمر المجمع بتحريق الكتب التي تخالف رأيه، وحث الناس على تحريم قراءتها [4].

د- مارس قسطنطين سلطة كهنوتية مع أنه لم يكن مسيحياً في إبان انعقاد ذلك المجمع، وبالتالي ما كان من حقه أن يحكم لرأي أحد، لذلك فقد كان له رأي خاص، وأنه عندما رجح رأي فريق على فريق كان يرجح ما هو أقرب إلى وثنيته، وأدنى إلى ما يعرفه من عقيدة [5].

يعقب أبو زهرة بأنه يظهر أن المسيحية قد أتى عليها حين من الزمن كان التوحيد هو السائد بين معتنقيها، وأن قسطنطين الإمبراطور الحاكم بأمره، كان يشايع فكرة أُلوهية المسيح ويناصرها، ويحميها ويؤيدها، كما بيَّنَّا عند الكلام حول مجمع نيقية، إذ حمى القائلين بأن المسيح فيه أُلوهية، وأمدهم بالجاه والسلطان[6].

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص124.

([2])انظر: المرجع السابق، ص126.

([3])انظر: المرجع نفسه، ص127.

([4])انظر: المرجع نفسه، ص127.

([5])انظر: المرجع نفسه ، ص128

([6])انظر: المرجع نفسه ، ص149.

3-تقسيم مراحل الانتقال من التوحيد إلى التثليث:

- **العصر الأول: عصر التوحيد:** ونجعل نهايته الزمن الذي انعقد فيه مجمع نيقية. أو ما ولي ذلك الزمن بقليل. إذ غالب التوحيد فكرة أُلوهية المسيح ردحاً غير قصير من الزمن بعد مجمع نيقية[1].
- **والعصر الثاني: عصر تأليه المسيح:** وذلك العصر يبتدئ بعد مجمع نيقية، وبعد أن استطاع أباطرة الرومان أن يطمسوا نور التوحيد في وسط المسيحيين، ويمنعوا الموحدين من نشر دعاياتهم [2].

4-استقراءه التاريخي لاستنباط أهم أسباب ضياع التوحيد:

يوضح أبو زهرة أن النصارى في هذا الزمان كان بهم بقية باقية من توحيد، كما رأينا في آراء الفرق النصرانية الماضية، لكن هذا التوحيد مع مرور الزمن ذهب وضاع، ولم يبقى منه شيء، وذلك لأسباب ذكرها أبو زهرة على النحو التالي:

أ- الاضطهادات التي نزلت بالمسيحيين.

ب- مصادرة الكتب وتحريفها بأمر الرومان، والأيدي العابثة المفسدة.

ج- نفذت الأهواء والأساطير إلى القلوب.

د- عامل السلطان والجاه بتقريب من يقول مقالة تأليه المسيح وإدنائه من ذوي السلطان، وتغريب من لا يقول هذه المقالة، واضطهاده. [3]

وضح من خلال العرض السابق منهجه في نقد عقيدة الثالوث المقدس حيث بدأ بالشرح المنهجي لهذه العقيدة، ثم بين مراحل التدرج في اعتماد العقيدة، ثم استخدم منهج الاستقراء التاريخي لبيان أهم الاسباب التي أدت إلى ضياع التوحيد.

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص149.

([2])انظر: المرجع نفسه، ص149.

([3])محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص154-155.

سادساً: نقده عقيدة الخطيئة والفداء:

وضح أبو زهرة أهم الأسس التي قامت عليها الديانة المسيحة، وهي عقيدة الخطيئة الأولى للإنسان، ثم الفداء منها، وذلك كما يلي:

1- بيانه للمنطلق العقدي لأصل الخطيئة والفداء:

شرح أبو زهرة اعتقاد النصارى في آدم ﷺ، حيث يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى أوصاه بألا يأكل من الشجرة، فأكل منها بإغواء إبليس، فاستحق هو وذريته العذاب، ولكن الله سبحانه وتعالى رحمة منه بعباده جسد كلمته، وهي ابنه الأزلي تجسداً ظاهراً، ورضي بموته على الصليب، وهو غير مستحق لذلك، لكي يكون ذلك فداءً للخطيئة الأولى، ولم يكن في استطاعة أحد أن يقوم بذلك الفداء سوى ابن الله وابن الإنسان معاً، وكان ذلك الابن، وهذا الفداء هو المسيح عيسى ولد مريم العذراء[1].

2- رجوعه إلى مصادرهم في الاستدلال على عقيدة الخطيئة والفداء:

ولقد بين أبو زهرة ذلك، من كتبهم المقدسة حيث أن محبة الله ظهرت في تدبيره طريق الخلاص للعالم، لأن العالم من عهد سقوط آدم في الخطيئة، وهبوطه هو وبنيه إلى الدنيا، مبتعداً عن الله بسبب تلك الخطيئة، ولكن الله من فرط محبته وفيض نعمته رأى أن يقربه إليه بعد هذا الابتعاد، فأرسل لهذه الغاية ابنه الوحيد إلى العالم، ليخلص العالم. إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله بسبب ما اقترف أبوهم، وبتوسط الابن الوحيد للتكفير عن خطايا الخلق، وقد كان التكفير الذي قام به المسيح هو الصلب، ورضي الله عن صَلْبه، وهو ابنه، ودفن بعد الصلب، ولكنه قام بعد ثلاثة أيام من قبره، ويقولون إنه كان قد أنبأ بذلك قبل صلبه، وقد قام من القبر بعد ثلاثة أيام، واختلفوا في تفاصيل القيام [2]، يعلل أبو زهرة أسباب الخلاف في الأناجيل حول مكان ومدة قيام المسيح من الصلب، بالسببين التاليين:

أ- أن كل إنجيل كتب لغرض معين لا يشمل في عمومه ما كتب له الإنجيل الآخر[3].

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ص26.

([2])انظر: المرجع السابق، ص107.

([3])انظر: المرجع نفسه، ص109.

ب-أن كلاً منها ذكر المكان الذي يتفق مع غرضه، وإذن فلا اختلاف في الخبر [1].

ثم عقب أبو زهرة على هذا الكلام بقوله: "معناه أن كل إنجيل لم يذكر حال المسيح كاملة، ويحتمل أن يكون الجميع لم يذكروها كاملة على هذا الأساس، ويكونون قد نسوا حظاً مما ذكروا به" [2].

3- استدلاله في الرد على أقوالهم بالقرآن الكريم:

ومنهج أبو زهرة واضح في أخذ الآراء النصرانية المختلفة من الأناجيل المعتبرة عندهم، ثم يرد عليهم بما أتانا وحيه من السماء، بأن المسيح لم يصلب لقوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 157، 158]، وقوله تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: 157]، حيث تدل هذه الآية وغيرها من الآيات على أنهم ما نالوا منه ولم يصلبوه، وبذلك يتم نقض أساس من أساسات دين النصارى [3].

4- استدلاله بما صح من أناجيل النصارى:

منهج أبي زهرة في الرد على الخصوم من خلال الإتيان بالرد عليهم من أنفسهم، حيث يثبت أبو زهرة ما يوافق القرآن من كتب النصارى أنفسهم، بقوله: "ولقد وافق هذا إنجيل برنابا موافقة تامة،...، والأناجيل المعتبرة عند المسيحيين لم تختلف في شيء كاختلافهم في قصة الصلب، فلكل رواية بشأنها" [4].

5- تركه الخلاف في التفسير عند المسلمين:

يذكر أبو زهرة الاختلاف الإسلامي في مسألة عيسى عليه السلام، وأين هو الآن، فقد ذكر اختلاف أهل التفسير فيه، فيذكر أبو زهرة الأقوال في المسألة ثم لا يرجح أي منها لاعتماد أهل

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص109.

([2])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص109.

([3])انظر: المرجع السابق، ص24.

([4])المرجع نفسه، ص24.

الأقوال على أدلة لا تفيد القطع، ثم يعقب على هذه المسألة بقوله: "وإن القرآن الكريم لم يبين ماذا كان من عيسى بين صلب الشبيه ووفاة عيسى أو رفعه على الخلاف في ذلك، ولا إلى أين ذهب، وليس عندنا مصدر صحيح يعتمد عليه، فلنترك المسألة: ونكتفي باعتقادنا اعتقادا جازماً أن المسيح لم يصلب، ولكن شبه لهم" [1].

وهذه هي منهجيته عدم الخوض في الأمور التي لا دليل عليها، وهذا موافق لقل الحق جل وعلى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: 36]، فترك الخلاف فيها أولى.

وضح بذلك أبو زهرة عقيدة النصارى في الخطيئة والخلاص من خلال بيانه للمنطلق العقدي ، ولقد استند في ذلك بالاستلال بالإنجيل الذي اعتمدوه مصدراً أساسياً للدين، ثم رد عليهم أبو زهرة بالقرآن وبكلام بعضهم، بما لا يدع مجالاً للشك بفساد وتحريف الديانة.

سابعاً: استنباطه التشابه بين النصرانية وغيرها من الأفكار:

وضح أبو زهرة في كثير من الأحيان التشابه الكبير، والتأثر العظيم بين العقائد الأساسية للديانة النصرانية، وبعد الأفكار والعقائد المختلفة، من خلال اهتمامه بالبعد المعرفي، والبعد التاريخي الزماني بين الديانات لإثبات استنساخ عقائد الديانات، ومعرفة السابق منها للاحق، وبيان ذلك على النحو التالي:

1- بيان التشابه بين النصرانية والبرهمية:

يشرح أبو زهرة معتقد (البرهمية)[2] من خلال منهجه في عقد المقارنات، حيث عقد مقارنة بين النصرانية البرهمية، وقد ذكر عن معتقد (البرهمية) أن بعض آلهتهم حلت في إنسان

([1])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص25.

([2])البرهمية: هي ديانة هندية، يعبدون القوى المؤثرة في الكون، ثم قاموا بتجسيد هذه القوى باعتقادهم حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها بزعمهم، ثم تعددت آلهتهم لتصل إلى ثلاثة وثلاثين إلهاً، ثم حصرت هذه الآلهة في ثلاثة أقانيم، وهي: براهما الإله الخالق، وسيفا إله الخراب، وبشنو وهذا الذي حل في المخلوقات ليقيها من الفناء. انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة، ص27.

واسمه (كرشنه)، والتقى فيه الإله بالإنسان، أو حل اللاهوت في الناسوت، ويعتقدون أنه البطل الذي قدم شخصه فداءً للخليقة في ذنبها الأول، ويقولون أن الإله و شنو وهو الابن وثاني الأقانيم قد حل فيه، ويذكرون من الأساطير حول كرشنه أنه ولد من عذراء مخطوبة، اسمها (ديفاكي)، وقد ولدته أمه في غار، ولما ولدته أضاء عند ولادته نور عظيم، وصار وجه أمه يرسل أشعة نور ومجد، ويقولون أن لأمه قبل ولادته خطيب، وهذا مشابه لما عن النصارى في عقيدتهم حول عيسى، وتقارب المعتقدان حتى أوشكا على التطابق، وإذا كانت البرهمية هي أسبق من النصرانية المحرفة، فقد عُلِم إذن المشتق من المشتق منه، وعلى المسيحين أن يبحثوا عن أصل دينهم، وقد عقد أبو زهرة مقارنة بين اعتقاد الهنود في (كرشنه) واعتقاد المسيحيين في عيسى ﷺ، وقد أثبت أكثر من خمس وأربعين وجه شبه بين الديانتين[1].

2- تحديد أوجه التشابه بين المسيحية والبوذية:

عقد أبو زهرة مقارنة أخرى مع اعتقاد البوذيين [2] في (بوذا)، مع ما يقابلها من اعتقاد المسيحيين في المسيح، كتجسدهما بواسطة حلول روح القدس على العذراء، ونزولهما من المقعد السماوي والدخول في جسد العذراء، ويدل على ولادتهما نجم في السماء، وحديثهما في المهد، وظهور الشيطان لهما في بداية حياتهما، وعمل العجائب على أيديهما، وغير ذلك مما أوصله أبو زهرة إلى أكثر من ست وأربعين اتفاقاً مع هذه الديانة، وكذلك تعتبر الديانة البوذية أقدم كثيراً من النصرانية، بمعنى أن احتمال أن تكون كثير من عقائد وخرافات النصرانية قد انتحلت من البرهمية أو البوذية[3].

3-تحليله لعقائد الوافدين الجدد على النصرانية:

يتتبع أبو زهرة المصادر التاريخية العلمية والفلسفية والتي تروي لنا أنه في القرن الثاني، والثالث، والرابع الميلادي دخل الرومان والمصريون أفواجاً أفواجاً في المسيحية. وقد كان يسود

([1])انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة، ص29-42.

([2])البوذية: ديانة هندية، منشأها برهمية، ولكنها تختلف عنها في الكثير من التعاليم، والمؤسس لهذه الديانة هو بوذا الذي ولد قبل المسيح ﷺ بنحو 560 سنة، وقام بإملاء تعاليمه على مريديه الذين تكاثروا في البلاد، وأساس العقيدة البوذية هو الأخلاق وإصلاح المجتمع من خلال تخفيف ما فيه من آلام. انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة، ص53-55.

([3])انظر: مقارنة الأديان الديانات القديمة، أبو زهرة، ص55-68.

تفكيرها كثير من المنازع العقلية والدينية. يقول أبو زهرة أن الفلاسفة في الدولة الرومانية ظهروا ليحلوا فلسفتهم محل الدين، في الوقت الذي كانت فيه الدولة تغلي من الفقر والظلم الاجتماعي، فالأديان التي كانت في بلاد الرومان ناشئة: الوثنية الرومانية، واليهودية، والمسيحية الناشئة، فهل علمت الفلسفة على إيجاد ديانة تجمع بين المسيحية واليهودية، وفيها وثنية؟ لم يجل أبو زهرة الإجابة الكافية عن هذا التساؤل بل تركه أمام القارئ ليستنتج الإجابة الواضحة أمامه كما يقول [1]. هذا التساؤل الذي تركه أبو زهرة مشرعاً للإجابة عنه لكل من فتح عقله، لمعرفة الحقيقة، حول صحة المعتقد في دين النصارى.

4- استنباطه تأثر النصرانية بالأفلاطونية الحديثة:

يوضح أبو زهرة المقصود من الأفلاطونية الحديثة، والتي هي فلسفة المعاصرين لنشأة الديانة المسيحية عندما أريد تحويلها، وترى أن فلسفة الرومان ترمي إلى إيجاد ألفة بين الوثنية واليهودية ومسيحية المسيح ﷺ. كما ترى أن فلسفة الإسكندرية تُرجع العالم في تكوينه وتدبيره إلى ثلاثة عناصر، أو إلى ثالوث مقدس هو:(المُنشئ الأول، والعقل الذي تولد منه كما يتولد الولد من أبيه، والروح الذي يتصل بكل حي ومنه الحياة). فإذا عبرنا عن المنشئ الأول بالأب، وعن العقل المتولد عنه بالابن، وعن الروح بروح القدس، -كما هو ثالوث النصارى- لما خرجنا في التسمية عن الصواب، فذلك الثالوث في معناه هو ثالوث النصارى، وإذا لم يختلف المسمى، فلماذا يختلف الاسم؟ [2].

من خلال العرض السابق يؤكد أبو زهرة على التأثر العميق للنصرانية بغيرها من العقائد والأفكار، وخاصة البرهمية، والبوذية، والفلسفات المختلفة، التي كانت موجودة في زمان تبلور أساسات العقيدة النصرانية.

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص34-35.

([2])انظر: المرجع السابق، ص36.

ثامناً: تصحيحه لأوهام بعض المسلمين بأفضلية النصارى على اليهود:

ختم أبو زهرة الحديث عن النصارى ومعتقداتهم، أن بعض الناس يعتقد أن النصارى خير من اليهود، وأنهم أقرب اعتقاداً، ثم يرد أبو زهرة على هذا بقوله: "إن هذا ليس بصحيح. إنهم لا يقلون فسادا في اعتقادهم عن اليهود، وإنهم ملة واحدة في سوء الاعتقاد، وضياع الإيمان، وإذا كان بعض النصارى في عصر النبي ﷺ كانوا أقرب مودة للذين آمنوا، فجُلُّهم آمن واهتدى، ومن بعد ذلك فهم واليهود على سواء في العداوة الأثيمة" [1].

كانت هذه أهم معالم منهج أبي زهرة في دراسته للعقيدة للنصرانية، من خلال نقده للكتاب المقدس، وإثباته التحريف الحاصل فيه، ثم بيانه لعقيدة المسيح المخالفة لما عليه النصارى من أتباعه كما يدعون، ثم انتقد أبو زهرة بعض عقائد النصارى، وقام بالرد عليها من القرآن الكريم ومن كلام بعضهم، وقد بين أبو زهرة التأثر الواضح للنصراني من الديانات والأفكار التي كانت موجودة في زمان انتشار الديانة النصرانية.

([1])زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج1 ص374.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة العقائد النصرانية:

شرح الفاروقي أهم العقائد الموجودة عند المسيحية، وقد ربط العقيدة المسيحية الجديدة بالأخلاق، حيث كان المحرك الأساسي لبحثه في مسائل العقائد المسيحية هي الأخلاق الجديدة التي غيرها المسيح ﵇ في اليهود، فقد عهد عن اليهود تقيدهم بنصوص التوراة، وحرفيتهم وتحجرهم في فهم الشريعة، واعتبارهم ما هو مجرد بطبيعته مادياً، وهذا ما جاء المسيح ﵇ لتغييره لكن حواريي عيسى ﵇ اختاروا أن يحولوا رؤيته الأخلاقية والمنزلة من عند الله في أساسها، إلى نظام مطلق، على عكس ما كان عند اليهود تماماً، وهذا ما لم ميكن يريده المسيح ﵇، فالفضيلة كلها في ظل عيسى شأن شخصي متعلق بضمير الإنسان. وصارت مقولة القديس (أوغسطين) [1]: (أحب الله ، وافعل ما تشاء)، قاعدة سلوكية فاسدة يمكن أن يستخدمها الإنسان في تبرير كل ما يحلو له، أي أن تطبيق الشريعة صار عند المسيحية أمر ثانوي غير مهم [2].

وعند التعمق في كتابات الفاروقي تجده تميز بمنهج خاص يستحق الدراسة والفهم، وهو على النحو التالي:

أولاً: نقده للكتاب المقدس:

وضح الفاروقي أن الكتاب المقدس الذي في أيدي النصارى ليس هو الكتاب الذي نزل على عيسى ﵇، بل حصب فيه تحريف وتغيير، وبين ذلك من خلال:

1- بيانه لمصدر التحريف في الكتاب المقدس:

بين الفاروقي أن الإنجيل قد وقع عليه التحريف، وأن التصور المسيحي عن الذات الإلهية كان من كلام رعاة الكنائس الأوائل، ولم يصدر عن المسيح ﵇، وكذلك هم الذين

([1])أوغسطين: القديس (354-430ق.م)، فيلسوف كاثوليكي، يعتبر كبير مفكري النصرانية في عهودها الأولى، حاول التوفيق بين الفكر الأفلاطوني والعقيدة النصرانية، أشهر كتبه سيرته الذاتية بعنوان (اعترافات). انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص76.

([2])انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص204.

صدرت عنهم مسائل عن الإنسان والخلاص، وعن الكتاب المقدس، بل وعن الكنيسة نفسها، ثم يؤكد الفاروقي على منهجيته في المقارنة مع الإسلام، بالقول أن كل ذلك لا مكان له بالنسبة للقرآن الكريم، أي بالنسبة للدين الإسلامي[1]، فعندما جاء عيسى عليه السلام لتصحيح اليهودية، جاء بأوامر معيّنة–تفهم من السياق التاريخي– لتحقيق غاية محددة للضبط، لكن الرواة فيما بعد والأتباع لعيسى عليه السلام تمسّكوا بالفهم فأضاعوا الرسالة التي جاء بها عيسى عليه السلام، فاحتاجت المسيحية أن تعود للعيسوية من جديد لتعيد اعتبارها لقيمتها[2].

2– بيانه لدور السلطة الحاكمة في التحريف:

يشرح الفاروقي أن هناك سؤال يظل مطروحاً عنده، هل اختفت العقيدة المسيحية الأصلية من الوجود؟ يجيب عن ذلك بأن العقيدة المسيحية الأصلية لم تختف من التاريخ، ولكنها نحت إلى جانب التقاليد الأخرى في النصوص الدينية المسيحية، فالانحراف قد تم من خلال حكم السلطة نفسها التي اعتمدت التحريف، وهذه السلطة كانت الكنيسة الكاثوليكية، والتي ادعت أنها وحدها من يمتلك حقيقة يسوع المسيح، وهذه السلطة هي التي اعتمدت النصوص واحتكرت تفسيرها[3].

3– الاستدلال بالنقد الموجه للكتاب المقدس على التحريف:

يؤكد الفاروقي أن العقيدة المسيحية تعرضت لانتقادات كبيرة من خلال الخلل الواضح في الكتاب المقدس، والذي من المفترض أنه من الله، وسعياً وراء تخليص الكتاب المقدس من نقد مبرم ورفض تام، بل وسقوط محقق، راح علماء الدين المسيحيين ينتحلون النظرية تلو النظرية في جميع الحقول محاولين تفسير وتأويل نصوص الكتاب المقدس، وهذا ما تم قديماً عندما كان الناس يحاولون اتباع النصوص في الكتاب، أما الآن فأصبح الوحي أفعال يقوم بها الفرد أو الشعب المختار، فتأدي إلى أفعال أخرى في التاريخ نهايتها وذروتها مجيء المسيح وصلبه وقتله فداية للبشر، بهذا الحل استطاع علماء المسيحية تقبل كل ما جاء في العهد القديم على علاته،

([1])انظر: الإسلام في القرن المقبل، الفاروقي، ص10.

([2]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page119.

([3]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page311.

مدعين أنه مجرد سجل-في بعضه شيء من الإلهام فقط- للأفعال الوحيية أي للتاريخ اليهودي برمته [1]، يعني أن الإنسان يستطيع فعل ما شاء فقد أتى المخلص، وتمت الشفاعة، وهذا ما أكد الفاروقي على انتقاده.

وجه الفاروقي نقده إلى الكتاب لمقدس من خلال بيانه أن مصدر التحريف فيه هم الرعاة الأوائل للكنائس، وبين دور السلطة الكاثوليكية العليا في زيادة هذا التحريف، ثم بين أهم الانتقادات التي وجهة إلى الكتاب المقدس.

ثانياً: نقده لعقيدة النصارى بالمسيح ﷺ:

تحدث الفاروقي عن عقيدة النصارى في المسيح ﷺ، وكيف أنهم حرفوا مقام النبوة التي وصف به، ورفعوه إلى مكان لا يصل إليه إنسان مهما بلغ من المكانة، وقد بين الفاروقي ذلك من خلال ما يلي:

1-تأصيله لعقيدة النصارى في الألوهية:

يقرر الفاروقي أن الله في نظر المسيح ﷺ ليس إلهاً لليهود وحدهم، أو لإبراهيم أو يعقوب أو إسحق ﷺ وأبنائه على وجه الحصر، الله هو إله الناس جميعاً، فقد رفض المسيح الحصرية اليهودية التي رأى فيها سبباً لإغلاق مملكة السماء في وجه البشرية. وعلى هذا الأساس انتقدهم المسيح، وانتقد تسميتهم أنفسهم أنهم أبناء الله، ثم رد المسيح عليهم السلام أنه إن كان هناك أحد أجدر أن يكون أباهم فهو الشيطان [2].

2-بيانه الخلل في العقيدة ومنشأه:

حدد الفاروقي أهم الأمور والتي من خلالها حدث الخلل الذي أدى في النهاية إلى تقديس المسيح ﷺ، وادعاؤهم عليه أنه ابن الله، وقد بين الفاروقي أهم الأمور كالتالي:

([1])انظر: الملل المعاصرة في الدين اليهودي، الفاروقي، ص49.

([2])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page92.

أ- التأثر بالطقوس السرية:

شرح الفاروقي أن المسيحية أعطت لعيسى عليه السلام مضامينه الوجودية المزيلة لصفة التسامي والمفارقة، بالقول بوحدة الجوهر بين الله وعيسى عليه السلام، ومصدر هذا الانحراف الجديد لم يكن نتاج ما ورثته المسيحية عن اليهودية، إنما كان مصدره هو تأثير الطقوس السرية، فاستقت من ذلك إلهاً معذباً بخلص الإنسان بموته، ثم قيامته بالعودة إلى الحياة[1]، يثبت الفاروقي أن عقيدة تأليه المسيح هي الطقوس السرية والتي كان يقوم بها معتنقو المسيحية الأوائل قديماً.

ب-الفهم الخاطئ لبعض النصوص في الكتاب المقدس:

يبين الفاروقي أن الحواريين الساميين كانوا يطلقون أوصافاً مثل: (كبير، كبيرة، قديس، قديسة)على أي شخص له سلطة بين الساميين، ففهم المسيحيون إطلاق هذه الصفة على المسيح عليه السلام على أنها تعنى أنهم اعتبروه إلهاً، وبعد أن اعتبر رجال الدين أن فهمهم للكتاب المقدس مسلماً، راحوا يبحثون في العهد القديم عن دليل على تعددية الذات الإلهية، وبتفكير تعوذه أي درجة من التمحيص، ظنوا أن ضمائر الجمع المعبرة عن الذات الإلهية في (سفر التكوين)، من أمثال (فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ) [2] دليل على ألوهيات ثلاث، هذه الحجة التي دعتهم إلى تأليه المسيح، ولا تزال هذه حجة مسيحية يؤمن بها مفكرون مرموقون [3]،

يظهر هنا منهج الفاروقي بالتوقف عن الرد، لكنه استهجن أن مفكرين مسيحيين مرموقين لهم علم كافٍ لفهم هذا التحريف البسيط، لكن استهجانه معناه أن العقول تحجرت مع علمها المطلق بالحقيقة.

وقد أورد الفاروقي -كما سيظهر في كل كتاباته- النص المقتبس من الكتاب المقدس بالنص، وهذا يعطي كتاباته قوة أكبر.

3-إثباته للتناقض الحاصل في القول بألوهية المسيح عليه السلام:

بعد أن عدد الفاروقي أساس الخلل، ومنشأ الباطل في عقيدتهم، يذكر كلامهم ويفنده حيث شرح أنه ووفق منطقهم هذا، فإن المسيح إنسان وإله في آن واحد، ولم يسع أحدٌ منهم إلى

([1])انظر: التوحيد مضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص70.

([2])سفر التكوين(1:27)

([3])انظر: التوحيد مضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص71.

تحقيق التناغم بين القول ببشرية عيسى، والقول بألوهيته، دون أن يؤدي به ذلك إلى الاتهام بالهرطقة، والردة. وهذا هو السبب في لجوئهم -على أحسن الفروض- إلى لغة غامضة، وحمالة أوجه على الدوام، أما حين يضطر أي مسيحي للإفصاح عن موقفه من هذه المسألة، فإنه لا يجد مناصا من التصريح باعتقاده بأن الله متعالٍ، وحالٌ في مخلوقاته في آن واحد. ومن الواضح أن صفة العلو له وفق هذا المنطق تصير بلا أساس. ويستلزم القول بغير هذه النتيجة، التخلي عن قواعد التفكير المنطقي [1]، وبالتالي يقرر الفاروقي أبسط طرق التحليل المنطقي العقلي الذي يتبناه الكثير من مفكري المسيحية، ولكن عند تحجر العقل الواعي والمنطق الصحيح، يصبح هذا العقل بلا فائدة مرجوَّة.

4-اعتبار التثليث انتهاك للتوحيد:

يقرر الفاروقي أن الديانة المسيحية ترتكز على عقيدتهم في تأليه المسيح ﷺ، وهذه العقيدة تعمتد في شرحها على الثالوث المقدس، وقد افترضت عقيدة التثليث المسيحية، وجود ثالوث مقدس (الآب والابن والروح القدس)، يمثل كل منهم إلهاً بكل معنى الكلمة، وزعمت أن الرب قد أصبح بشراً، منتهكة بذلك كل من: وحدانية الذات الإلهية، وتساميها المفارق لأي عنصر آخر[2].

5-نقد التثليث من منطلق عقدي إسلامي:

قرر الفاروقي أن الإسلام سعى إلى تطهير الدين تماماً من كل الشبهات التي علقت بوحدانية الله تعالى، وأنجز الإسلام بذلك مهمة مزدوجة : الإقرار بأن الله تعالى هو الخالق الوحيد للكون(الوحدانية)، والتسوية بين كل البشر بوصفهم من خلق الله تعالى، أنعم عليهم بذات الخصائص الأساسية للبشرية المخلوقة والوضعية الكونية[3]، ومن ثم لا يمكن للخالق أن يتحد أو يتصل وجودياً أو يحل أو يتجسد في المخلوق، ولا للمخلوق أن يتحد أو يتصل وجودياً في الخلق أو يسمو بنفسه إلى مرتبة الخالق[4].

([1])انظر: التوحيد مضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص72.

([2])انظر: المرجع السابق، ص80.

([3])انظر: المرجع نفسه، ص80.

([4])انظر: جوهر الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص11.

يعلن الإسلام أن مسألة التسامي الإلهي المطلق موجهة لجميع البشر كائناً من كان، وأن الله تعالى خلق كل البشر قادرين على معرفته في علوه المطلق، فتلك هي الفطرة التي فطر الله البشرية عليها ، والتي تمثل القاسم المشترك بين كل بنى آدم [1].

نخلص من خلال العرض السابق أن الفاروق أصل عقيدة النصارى بالمسيح عليه السلام من خلال بيانه لأصل الخلل عندهم، والذي تمثل بالتأثر بالطقوس السرية، والفهم الخاطئ لنصوص الكتاب المقدس، ثم أثبت التناقض الذي يحصل عند القول بألوهية المسيح عليه السلام، واعتبر أن القول بالتثليث هو انتهاك للتوحيد، وقد قام بنقض عقائد لنصارى من منظور إسلامي.

ثالثاً: نقد عقيدة الخطيئة والخلاص عند النصارى:

قام الفاروقي بنقد عقيدة النصارى في الخطيئة والخلاص من خلال:

1- **التأصيل المعرفي لعقيدة الخطيئة:**

يرى الفاروقي الخلل الموجود في الدين المسيحي من خلال حديثهم عن الخطيئة الأولى للبشر، حيث إن علم نشأة الكون المسيحي يرى أن الطبيعة من خلق الله تعالى، وأنها كانت كاملة في أول أمرها، ولكنها فسدت بالخطيئة، وصارت شريرة. وشر الخليقة؛ هو السبب في عملية الخلاص الإلهي بتجسده هو ذاته في يسوع وصلبه وموته، وبعد عملية الخلاص هذه، ترى المسيحية نظرياً عدم القطع بعودة الكمال إلى الطبيعة، أما من الوجهة العملية، فإن العقل المسيحي ظل ينظر إلى الخليقة على أنها ساقطة في الخطيئة، وإلى الطبيعة على أنها شريرة . وانتقلت العداوة البالغة للمادة التي اتسمت بها **(الغنوصية)** إلى المسيحية [2].

2- **الاستدلال بالرد الإسلامي على عقيدة الخطيئة:**

يورد الفاروقي وفق المنهج الذي سار عليه الرد الإسلامي على ذلك، حيث إنه في الإسلام، فإن الطبيعة من خلق الله تعالى وهى منحة منه، وهى بوصفها مخلوقة ذات غاية

([1])انظر: التوحيد مضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص72.

([2])انظر: المرجع نفسه، ص109-110.

وكاملة ومنظمة، وهى بصفتها منحة إلهية بمثابة نعمة وخير خالص برئ موضوع تحت تصرف الإنسان، وتتلخص الرؤية الإسلامية للطبيعة في كونها تتصف بصفات ثلاث :النظام والهدفية والخيرية [1].

رابعاً: نقده لعقيدة النصارى في اليوم الآخر:

انتقد الفاروقي النصارى في عقيدتهم في اليوم الآخر، وبين أصل الخلل عنهم في هذه العقيدة، وذلك على النحو التالي:

1- بيانه الخلل الموجود في عقيدتهم باليوم الآخر:

اعتبر الفاروقي أن الدين المسيحي من الديانات الخلاصية [2]، والتي تعني (إدانة المشرك من الناحية الدينية، وتتنبأ بدوام خلوده في جهنم لأنه لم يؤمن أو يتقبل أياً من أسرارها المقدسة)، وتلك الإدانة تأتي من الله، وسببها رفض المشرك لكنيسته التي تعد القائم على تنفيذ عدالة الله في الأرض، وقد فصلت الكنيسة الحياة الدينية عن المدنية الدنيوية فصلاً تاماً، حيث أن سلطتها دينية فقط، وتتم إدانة المشرك بمقتضى تمسكه بعدم المشاركة في الأشياء الخاصة بالإيمان، وأما النواحي الأخرى، أي الخاصة بالحياة الدنيا فإن إدانتها تتم بداهة، ومن ثم فإن ما يقوم بفعله أو عدم فعله في تلك النواحي يعد غير ذي أهمية، ويعتقدون أنه ليس ثمة خلاص خارج الدين، وهناك من كان أكثر تطرفاً مثل (سيبريان)[3]، الذي كان سبباً في مبدأ أنه ليس ثمة

([1])انظر: التوحيد ومضامينه على الفكر والعقيدة، الفاروقي، ص111.

([2])الخلاصية: وتعني وجود مشكلة معينة عند الإنسان ويسعى الدين إلى تخليص الإنسان منها، وفي اليهودية والمسيحية سيطرت مشكلة الخطيئة، ثم تطورت لعقيدة الخلاص والمسيح المخلص، الذي وظيفته تحقيق الخلاص من هذه الخطيئة، ويعتبر الدين الإسلامي الاستثناء الوحيد، فهو لا يحوي على خلاص لأنه لا توجد مشكلة للإنسان في الإسلام. انظر: تاريخ الأديان، حسن، ص296.

(3)سان سيبريان: قبريانوس القرطاجي (200–258م)، ولد بقرطاج، وهو من أصل أمازيغي، كتابة المشهور (وحدة الكنيسة) والذي يتكلم فيه عن أنه إذا تعذر عليك أمر في الفهم فعليك ان تتبع تعاليم الاسقف، انظر: ويكيبيديا، سان سيبيريان.

خلاص خارج كنيسة روما، وهذا ما ساد في المذهب الكاثوليكي ومثله في مذهب البروتستانتي حتى يومنا هذا [1].

2- **بيانه لأصل الخلل من خلال النقد التاريخي:**

يؤكد الفاروقي على أن الجزء المتعلق بـ (الجزاء الأخروي) لا يُعد معتقداً مَسيحياً خاصاً، بل كان سائداً في العصور القديمة، وربما يكون اتجاهاً ضرورياً لأيةِ أخلاق دينية فاضلة، وبالطبع هذا المفهوم موجود في الإسلام أيضًا، ولكنه فرق هنا بين الإسلام والمسيحية من حيث كون (مغالطة الإزاحة)[2] في المسيحية تستند إلى طبيعة الدين المسيحي نفسه والعقيدة في الإله، وليست فقط مغالطة فلسفية في الفهم الما وراء طبيعي للقيمة[3]. ومعنى هذا الكلام الفلسفي هو: أن الديانة المسيحية قد وقعت في خطأ تعميمي بأنها اعتمدت تعميمات الديانات الخلاصية الموجودة حول اليوم الآخر، لكن هذا التعميم لا يصدق على الديانات التي تعتمد الوحي أساساً في تقرير العقيدة، وهو خطأٌ تعميمي فلسفي، لأن الفلسفة لا يمكنها الحكم على أمور الغيب واليوم الآخر.

3- **الاستدلال برأي الإسلام بعقيدة المخالفين في النقد:**

أما عن رد الفاروقي على هذه العقيدة فقد أعطى رأي الإسلام في المشركين أنهم في الإسلام على ثلاثة مستويات منفصلة:

أ- **الإنسانية:** أي أن الله يمنح العباد عند ميلادهم الفطرة، ويكون ديناً صحيحاً وصادقاً وحقيقياً بالنسبة لجميع العصور. ولدى جميع الناس بمقتضى هذه الفطرة أن يصلوا إلى جوهر الحقيقة الدينية، وهذا بدون استثناء لأحد على الإطلاق [4].

([1])انظر: حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الفاروقي، ص21.

([2])مغالطة الإزاحة = مغالطة التعميم: هي التعميم الاستقرائي الذي من خلاله نستمد خصائص فئه كليّه من خصائص عينه من هذه الفئه، وحتى يكون التعميم صحيحاً يجب أن تكون العينة ممثلة لكل العناصر، والمغالطة هنا بتعميم الحكم دون التمثيل الكامل للعينة. انظر: المغالطات المنطقية، مصطفى، ص51-53.

([3])انظر: قراءة في أطروحة الدكتوراه للمرحوم إسماعيل الفاروقي "حول إثبات الخير"، جاسر عودة، ص12.

([4])انظر: حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الفاروقي، ص22.

ب-**عقيدة الخلاصيين المنقولة عن طريق عن طريق الوحي:** حيث إنه في اعتقاد أهل الإسلام ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 24] ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36] ، وهذا هو الإسهام الزائد، حيث يبعث الله الرسل ليبينوا للناس أمور دينهم، ويضعوهم على الطريق الصحيح إن ضلوا[1].

ج- **قبول الإسلام لغيره من الديانات الأخرى خاصة اليهودية والمسيحية:** وإقامة العلاقات الودية معهم، وجعل الاختلافات الداخلية في الأديان راجعة للفهم الإنساني أكثر من كونها راجعة إلى دين الله، وبذلك قد قلل الهوة بين المسلمين واليهود والمسيحية، إلى أقل حد ممكن، وتلك هي أقرب وجهة نظر لهداية المشرك وتعريفه التام بالإيمان المقصود، ولا جدال أن هناك بعض الاختلافات بين المسلمين والذميين، والاسلام يرجع هذه الخلافات إلى الفهم الشخصي، وليس إلى الديانات المعينة، والمطلوب من المسلم كما أمر نبيه ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 64] أي ضرورة دعوة غير المسلمين إلى الدخول في دين الله الإسلام [2].

ثم يتحدث الفاروقي عن الخلاص الإسلامي، وخلاصة قوله:" أن الخلاص الإسلامي هو على النقيض من الخلاص في المسيحية، بل إنه لا نظير لمفهوم المخلص، في المفردات الدينية الإسلامية، فليس هناك مخلص، وليس هناك ما يحتاج الإنسان إلى تخليصه منه" [3].

خامساً: الرد على عقيدة الإثمية عند النصارى:

شرح الفاروقي عقيدة الإثمية عند النصارى، وانتقدها كما يلي:

1- بيانه لمعنى الإثمية عند النصارى:

انتقد الفاروقي هذه العقيدة، ويرى فيها تأكيداً للشر الكامل، وإدانة شاملة للخلق، وللجنس البشري في الماضي، والحاضر، والمستقبل. كما يرى فيها إسقاطاً لأي خير من الإنسان،

([1])انظر: حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الفاروقي، ص23.

([2])انظر: المرجع نفسه ، ص24-25.

([3])التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، الفاروقي، ص49.

و(الإثمية) تعني عند المسيحين: أن الخطيئة ظاهرة عالمية وضرورية، وأن جميع الناس أخطأوا، وسوف يخطؤون حتماً، وأن الخطيئة متجذرة في عمق طبيعة الإنسان، وعلى ذلك فإن الإنسان غير الخاطئ لن يكون إلا من خلال يسوع المسيح ﵇ بطبيعته الثنائية الإلهية والإنسانية [1]. وهي في نظره المقدمة الكبرى لجميع اللاهوت المسيحي، فهي بمثابة نقطة البداية للإيمان المسيحي برَّمته؛ لأنّ الشر إن لم يكن ذا قدرة كلية لم يكن هناك سبباً للفداء أو حاجة ضرورية للتدخل السماوي[2].

2- بيانه لأصل عقيدة الإثمية:

في الوقت الذي تتفق فيه العقائد التوحيدية على أساس أن الله موجود، فإن العقيدة المسيحية تضيف أساساً ثانياً وهو أن الخطيئة موجودة. ويذهب الفاروقي إلى أن المسيحية لا ترضى ولا تستطيع أن ترضى بأن الله خير، وأن كل ما يأت منه خير، فهي تذهب إلى أنه إلى جانب كونه خير، فإنه ذو طبيعة ثالوثية، فأحد شخوص الإله هو يسوع المسيح، وهو ابن إله، تجسد وصلب وخرج من بين الأموات، وهذا يعني أن عقيدة الخطيئة تشكل جزءاً جوهرياً من التصور المسيحي للإله[3].

3- ذكره دليل النصارى على عقيدة الإثمية، ورده عليه:

يذكر الفاروقي أن أهم الأدلة المسيحية على نظرية الإثمية، وهي قصة آدم وحواء اللذان عصيا أمر الله، فوقع عليهما العقاب الإلهي، فيرى الفاروقي أن هذا القصة دليل ضعيف على الإثمية، ويرد عليهم من خلال النقاط التالية:

أ- **النقد من خلال المنطق:** فالقول بأن خطيئة إنسان واحد، التي هي خطيئة أخلاقية، أصبحت متصلة بالبشر جميعاً من خلال الوراثة الجسدية، هو قول لا يمكن له أن يصح بأي منطق كان، فكل إنسان يعمل عملاً يعود إلى قراره، وخطيئته هو لا تتعدى لغيره، عدا أن تتعدى إلى كل البشر.

([1]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page194.

([2]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page194-195.

([3]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page194-195.

ب-**استدلاله بصفة العدل الإلهي:** أن يصبح عقاب إنسان واحد عقاباً للناس جميعاً هو سلوك مستحيل؛ لأنه حتى وإن مارس الناس جميعاً الفعل الخاطئ ذاته، فإنها لا تتطلب بأي معنى من المعاني الإدانة ذاتها أو العقاب نفسه.

ج- **النقد بالمقارنة مع التعريف الإسلامي:** إن عمل آدم الخاطئ المتمثل من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر، والتي هي (شجرة الحياة)، هو في نظر البشرية كلها عكس الفعل الخاطئ، وبالتالي يجب أن يكون هناك أمر غير أخلاقي فعله آدم حتى تتحقق فيه الخطيئة التي تحتاج إلى مغفرة، وهذا ما ينافي صفة عصمة الأنبياء، ويؤكد الفاروقي في السياق نفسه على الفرق الكبير بين المسلمين والمسيحيين في آدم؛ حيث إنه هو أبو الأنبياء عند المسلمين وأبو الخطيئة عند المسيحيين[1].

هكذا يكون الفاروقي قد ذكر نظرية الإثمية عند النصارى وشرح مرادهم منها، وبين الأصل الذي دفعهم للاعتقاد بيها، ثم نقضها مبيناً رأي الإسلام المخالف لقولهم.

سادساً: نقده لعقيدة الرهبنة عند المسيحية:

ناقش الفاروقي عقيدة النصارى في الرهبنة من خلال:

1- تأصيله لأصل الخلل في عقيدة الرهبنة:

يناقش الفاروقي القول بالاتحاد عند المسيحية، من خلال فهمهم الخاطئ لمفهوم التصوف، الداعي إلى الاتحاد، والذي هيمن على المسيحية فسارت تعرَّف به، والتي بالإضافة إلى الاتحاد مع الخالق، فإنها أخذت الأمر الداخلي في الشريعة، وتخلت عن الأمر الظاهري، وهذا باطل، فإن الأخلاق والمقاصد والأعمال القلبية العيسوية سارت جنباً إلى جنب، إلا أن التحريف الذي طال الكتاب المقدس هو الذي فصل بينها[2]. فالمسيحية ترى الدين في غير مجريات الحياة والتاريخ، يعني عدم تدخل الدين في الحياة، وقد تفرض إذلال النفس والتنسك والرهبنة والمجاهدة، وتفعل ذلك لأن مجريات الحياة والتاريخ في نظرهم أهل للشجب على أساس

([1]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page202.

([2])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page136.

أنها شر ومحكوم عليها بالهلاك. فالمسيحية تؤمن بأن الخليقة آثمة وشر ولا خير فيها، وترى الخلاص من ذلك في الإيمان بالمسيح وتقليده[1].

2- الرد على شبهتهم من خلال المقارنة بين النصارى والمسلمين:

يبن الفاروقي ادعاءهم المشابهة بين التصوف المسيحي والإسلامي، ولكنه في الحقيقة التشابه بينها هو تشابه غير صحيح، من خلال النقاط التي عددها الفاروقي كالتالي:

أ- **الهيمنة الصوفية على التصور المسيحي:** فبعد أن هيمنة الصوفية على المسيحية صارت جزءً أصيلاً من العقيدة، أما في الإسلام فإن الفاروق قد فرق بين التصوف المعتدل والغلاة، وقال أنه حتى الصوفية المعتدلة الغير موجودين بكثرة فإنهم فقد وقفوا جنباً إلى جنب مع الفقه العملي والشريعة الإسلامية[2].

ب- **إبطال الصوفية المسيحة لأعمال الجوارح:** تخلي الصوفية المسيحية عن الأعمال تماماً واعتمادها المطلق على الأعمال القلبية، ولكن الصوفية المعتدلة الإسلامية لا زالت تقيم للأعمال وزناً ولم تتخلى عن الأعمال الظاهرة[3].

ج- **الثورة الصوفية:** حيث كانت عند المسيحية هي ثورة على اليهودية وعلى عنصريتهم وتحيزهم، كما أنها كانت خرقاً ثورياً لإعادة ضبط وتعديل وإصلاح اليهودية، أما في الإسلام فإنها ثورة على الجمود الفقهي، ولم تكن أبداً خرقاً للتعاليم الفقهية[4].

يعقب الفاروقي بعد هذه المقارنة بما فحواه: أن مقارنة التصوف الإسلامي بالمسيحية بعد التغيّر لأن المسيحية لا تصح، فقد فقدت المسيحية أركاناً تؤهلها لعقد المقارنة، وإن المقارنة الحالية مقارنة ظاهرية لا تصح[5]، وقد رد الفاروقي على هذا القول، بإيراده الرد الإسلامي عليهم من خلال قوله: "أما الإسلام فإنه ينكر مثل هذه المسلمات المسبقة التي تلعن الحياة والتاريخ،

([1])انظر: أسلمة المعرفة، إسماعيل الفاروقي، ص58.

([2])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page141.

([3])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page141.

([4])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page143.

([5])See: Al Faruqi, Christian Ethics, page144-145.

ويرى أن الخلقة خير وأن الله سبحانه وتعالى خلقها لغاية طيبة، وأن تحقيقها يتأتى بالإخلاص الله، وطلب العدالة للبشر " [1].

سابعاً: بيانه لتأثر النصرانية بغيرها من الأفكار:

تتبع الفاروقي مسار النصرانية الفكري، فأكد اتفاقها مع الفكر الغربي الحديث في موضعين:

1- **استخلاصه لعزل العقل:** حيث تتفق المسيحية مع الفكر الغربي من حيث عزلهم للعقل وإحلال الشعور مكانه كمنهج للمعرفة، حيث إن العقل السليم لا يسوغ التثليث، والتجسيد، وصلب الإله، وموته، وإعادته إلى الحياة، وتخليص البشر بتعذيبه، إنما الشعور المسيحي يسوغ ذلك لدى المسيحيين المؤمنين بهذه الأركان[2].
2- **بيانه لأصل المادية:** أكد الفاروقي أن الخطيئة الأصلية وسقوط البشر أجمع بالضرورة الناتج عنه أفسد جبلة الإنسان، بحيث أصبحت لا يرجى منها خير، وعجزت بالكلية عن الإتيان بالخلاص من الخطيئة، حتى لزم أن يتجسد الإله ويكفِّر عن الإنسان خطيئته ويحدث له خلاصه [3].

وبالتالي وجد الفاروقي أن هذين الأمرين الموجودين في عقيدة المسيحية، هما أمور مشتركة مع أصحاب الفكر الغربي الحديث، حيث إن هذه الأقوال سابقة للمسيحية، يعني أن المسيحية أخذت هذه الأقوال من أصحاب هذا الأفكار.

---

(1)أسلمة المعرفة، الفاروقي، ص58.

(2)انظر: التحرك الفلسفي الإسلامي الحديث، الفاروقي، ص15

(3)انظر: المرجع نفسه ، ص15

يختم الفاروقي حديثه حول عقيدة المسيحية أن المسيحية برأيه تحتاج إلى إصلاح، ولكنه ليس إصلاحاً كالذي قام به (لوثر) [1] ضد سلطة الكنيسة، وإنما ضد سلطة التراث المتراكمة، ويدعو الفاروقي المسيحيين إلى إعادة اكتشاف العقيدة المسيحية، وهنا يرى الفاروقي مستوى آخر للحوار الإسلامي المسيحي، الذي هدفه رؤية الله، والعمل بإرادته[2].

يتبين من العرض السابق منهج الفاروقي في دراسته للنصرانية، من خلال نقده للكتاب المقدس عند النصارى، وقد بين مصادر التحريف، وأوضح دور السلطة الكنسية في التحريف، واستدل على ذلك من خلال كتابات النصارى أنفسهم، وقد انتقد الفاروقي عقائد النصارى في المسيح، واليوم الآخر، وعقيدتهم في الخلاص والإثمية، ثم تحدث عن تأثر المسيحية بغيرها من الأفكار، وقد دعا إلى زيادة مستوى الحوار الإسلامية النصراني لمساعدة النصارى على معرفة الحق الذي هو الإسلام.

([1])مارتن لوثر: (1483–1546م)، راهب ألماني، زعيم حركة الإصلاح البروتستانتي في ألمانيا، هاجم الكنيسة، باحتجاجه المألف من خمس وتسعين فقرة، ترجم الكتاب المقدس إلى الألمانية. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص389.

([2]) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page311.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في نقد العقائد النصرانية:

درس أبو زهرة والفاروقي عقائد الدين النصراني، وكانت دراسة أبي زهرة موجهة إلى الدارسين الإسلامين، وكانت دراسة أبي زهرة موجهة إلى العالم الغربي الذي كان يحيط به، فاختلفت لذلك اتجاهات الدراسة لكل منهما، وبيان أهم نقاط الاتفاق والاختلاف كما يلي:

أولاً: نقاط الاتفاق في منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة العقائد النصرانية:

1- أكد أبو زهرة والفاروقي أن الرهبنة الموجودة في العقيدة النصرانية سبب وجودها هو: محاربة المادية التي كانت موجودة عند اليهود.
2- قام كل من أبي زهرة والفاروقي بمتابعة الآراء العقائدية النصرانية والرد عليها بما هو موجود في الإسلام من عقائد وأدلة مخالفة لماهم عليه.
3- تقرير كل من أبي زهرة والفاروقي لتأثر المسيحية بغيرها من الأفكار والعقائد التي كانت سائدة في المجتمعات التي دخلت المسيحية.
4- اتفق أبو زهرة والفاروقي بعدم الخوض في المسائل التي لا يفيد الخوض فيها شيئاً، وإيراد بعض الأقوال فيها دون الرد أو التعقيب أو التفصيل.
5- قدم أبو زهرة دراسة مستفيضة حول الكتاب المقدس للمسيحية، بشقيه العهد القديم، والعهد الجديد بتفريعاته، الأناجيل، ورسائل الرسل. كما كان من الفاروقي، وأكدا على التحريف الحاصل في الإنجيل بجميع أجزائه.
6- فرق أبو زهرة بين الأناجيل الأربعة المعتمدة عن الكنائس النصرانية، وبين الأناجيل غير المعتمدة، والتي قررت الكنيسة بعد مجمع نيقية إخفاءها وعدم العمل بها. وكذلك الفاروقي الذي أكد بأن العقيدة المسيحية الأصلية لم تختف من التاريخ، لكنها اخفيت قسرياً من الحياة بناءً على أمر من السلطة الكنسية.
7- انتقد أبو زهرة والفاروقي عقيدة النصارى في التثليث، وقد رد عليها كل منهما بالأدلة الدينية الإسلامية، التي تبين الخطأ الموجود فيها.
8- اتفق أبو زهرة والفاروقي في منهجهم في شرح عقيدة النصارى في خطيئة والفداء، وقد بينا الخطأ في قولهم في صلب المسيح ﵇، وردا على هذه العقيدة من القرآن والإسلام.

9- يحاول كل من أبي زهرة والفاروقي اتباع أسلوب يقرب أهل الديانات الأخرى، وإغرائهم للدخول في الإسلام، مع اختلاف بسيط في الأسلوب، حيث إن أبو زهرة يصرح بأنه لا دين إلا دين الله(الإسلام)، لكن الفاروقي يحاول أن يجعل القارئ المسيحي يستنتج هذه النتيجة بنفسه، من خلال رجوعه إلى الصحيح من دينه –إذا وجده– فإنه سيرده إلى الإسلام حتماً، وحتى لو لم يجد صحيحا في دينه فإنه بالنظر العقلي الواعي الصادق، فإن ما هو في الإسلام من عقيدة ودين أكثر إقناعاً من غيرها.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في نقد العقائد النصرانية:

على الرغم من تمكن كل من أبي زهرة والفاروقي بعرض العقائد النصرانية المختلفة، إلا أن لكل منهما ما يميزه عن الآخر، بيان ذلك كما يلي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- أطلق أبو زهرة مسمى النصرانية والمسيحية بناءً على سياق النص الذي ذكرت فيه، وقد سماهم الفاروقي مسيحيين فقط.

ب-أكد أبو زهرة الارتباط الوثيق بين اليهود والنصارى، حيث إن الاتفاق في المصدر يؤدي إلى الاقتراب في العقيدة.

ج- وضح أبو زهرة العديد من الأدلة التي تأكد على الخلل الكبير الموجود في الاناجيل المعتمدة، وكذلك أدلة تفيد بالخلل الكبير الموجود في رسائل رسلهم، هذه الأدلة التي تؤيد القول بتحريفها وأنها لا تمثل الأوامر التي أرادها الله تعالى.

د- بين أبو زهرة أن هناك من الأناجيل الغير معتمدة عند النصارى، مثل إنجيل برنابا، الذي فيه الكثير من الآراء التي تخالف ما هو موجود في الأناجيل المعتمدة ومتفق مع ما هو موجود في الإسلام.

هـ-فصل أبو زهرة بيان عقيدة المسيح ﷺ كما هي، ومصدره في بيانها القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة؛ لأنهما المصدر الوحيد الذي يملك الثقة فيه، ولم تدخل يد البشر في التلاعب فيه.

و- يوضح أبو زهرة الحكمة من كون معزات عيسى ﷺ جاءت على هذه الصورة، وقد اختلف مع جمهور علماء المسلمين في هذه المسألة، وهذا يبين منهجه في التعامل مع المصادر التراثية، حيث إنه لا يجب أن تأخذ المعلومات دون الدراسة والتحليل بغرض معرفة الحقيقة والصواب في المسألة، إلا إذا كانت قرآناً أو سنة نبوية صحيحة.

ز- أقر أبو زهرة أن النصارى تدرجوا في دوى الألوهية للمسيح ﷺ، وأن المنهج السائد قبل المجامع المسيحية هو عدم ألوهيته، وأنها كانت في البداية أبوة نعمة ثم تغيرت إلى ابن الله، عند عقد مجمع نيقية، والذي وجه إليه أبو زهرة العديد من الانتقادات.

ح- يعتقد أبو زهرة أنه لا فرق في بين اليهود والنصارى، وأنهم ملة واحدة في سوء الاعتقاد، وأنهم واليهود على سواء في العداوة الأثيمة.

1- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- ينفرد الفاروقي باعتماده في معظم كتاباته على الأسلوب الفلسفي، وذلك لأن معظم كتاباته موجهة لعقول المفكرين الفلاسفة، ولأنه خريج هذه المدرسة، ولأنها ترد على ادعاءات فلسفية محضة، وتحتاج للرد عليها من أن تكون من نفس جنس الادعاء. خلافاً لأبي زهرة.

ب-ربط الفاروقي العقيدة المسيحية الجديدة بالأخلاق، حيث كان المحرك الأساسي لبحثه في مسائل العقائد المسيحية هي الأخلاق الجديدة التي غيرها المسيح ﷺ في اليهود.

ج- بين الفاروقي أصل الخلل في اعتقاد النصارى في ألوهية المسيح ﷺ، والتي هي الطقوس السرية التي عندهم، والفهم الخاطئ للكتاب المقدس.

د- انفرد الفاروقي في ذكر عقيدة المسيحيين في اليوم الآخر، وفي مسالة الإثمية.

المبحث الثالث: منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية

بعد دراسة أبو زهرة والفاروقي لنشأة الديانة النصرانية، ثم الحديث المفصل حول أهم العقائد فيها، اتجها للحديث حول أهم الفرق النصرانية المختلفة، والتي كان لها تأثير كبير على سير الديانة، وعلى نشأتها قديماً وحديثاً، وبيان ذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: منهج أبي زهرة في دراسة الفرق النصرانية

شرح أبو زهرة العديد من فرق النصارى، في مختلف العصور التي مرت على الديانة النصرانية، وقد خص بالشرح والدراسة الفرق التي لا يزال لها تأثير على الدين النصراني. وقد قسم أبو زهرة دراسة الفرق النصرانية إلى ثلاث مستويات تاريخية، قسمٌ نشأ قديماً في عصر التوحيد، وقسم نشأ في عصر التثليث، ثم الفرقة التي نشأت حديثاً، وبيان ذلك على نحو التالي:

أولاُ: دراسته الفرق النصرانية التي نشأة في عصر التوحيد:

اهتم أبو زهرة في دراسة الفرق التي نشأة في عصر التوحيد، وقد كان المحدد الأساسي في التفريق بينها هو توحيد الله تعالى، من عدمه، فمنهم من ألَّه المسيح أو أمه، أو قال أن السيح عليه السلام اجتمعت فيه صفاتان، وغير ذلك من الأقوال، وقد ذكرها كما يلي:

1- بيانه أصل الملكانية التاريخي وأهم ما يميزها:

يبين أبو زهرة أن النصارى اختلفوا قبل الإسلام فيما بينهم فكان منهم الكاثوليك الذين يسمون في التاريخ العربي الملكانية[1]، وترى هذه الفرقة أن المسيح إله تام كله، وإنسان تام كله، وليس أحدهما غير الآخر، ومريم ولدت الإله والإنسان، وأنهما ابن الله، ولكن الذي صلب وقتل الإنسان منه، والإله لم ينله شيء[2].

([1])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج5 ص2755.

([2])انظر: تاريخ الجدل، أبو زهرة، ص22.

2- استدلاله بالقرآن لبيان أصل عقيدة البربرانية (البرتانية):

تقول أن المسيح وأمه إلهان[1]، ولعل هؤلاء هم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله مبيناً ما يكون بينه سبحانه وتعالى وعيسى عليه السلام من قول يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116] [2].

3- استنباطه الأصل التاريخي لأتباع مرقيون:

مرقيون الذي كان يقول أن هناك آلهة ثلاثة: صالح، وطالح، وعدل بينهم، وهم أتباع مرقيون، ولعل هذه النحلة من آثار المجوس، لأنهم هم الذين يقولون بإله الخير وبإله الشر[3].

4- توضيحه الفرق بين أريوس وغيره من النصارى:

أريوس الذي اعتقد بالتوحيد، ومن قوله التوحيد المجرد، وكون عيسى عليه السلام عبد الله ومخلوقه، ولكنه زاد أنه كلمة الله التي خلق بها السماوات والأرض، وكان في زمن قسطنطين الأول، الذي خاف رأيهم ومال خالف رأيهم، ومال إلى الرأي المخالف لهم، لأنه أقرب إلى وثنيته، كما بينا في المبحث الماضي[4]، وقد بين أبو زهرة أنه يظهر أن كلمات أريوس هذه كانت هي الخطوة الأولى إلى التعدد والتثليث[5].

5- بيانه تحريف النصرانية من خلال دراسة عقيدة بولس الشمشاطي:

بيّن أبو زهرة أن بولس[6] هذا الذي كان بطريركا بأنطاكية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح، وأن عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله، كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر، وإنه إنسان لا إلهية فيه. وكان يقول: "لا أدري ما الكلمة، ولا روح القدس" [7].

([1])انظر: تاريخ الجدل: أبو زهرة، ص21.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص153.

([3])انظر: المرجع السابق، ص153.

([4])انظر: نفسه، ص151.

([5])انظر: تاريخ الجدل: أبو زهرة، ص21.

([6])بولس الشمشاطي: وجد في القرن الثالث الميلادي، كان بطريركيا بأنطاكية قبل ظهور النصرانية، وكان قوله التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام، خلقه الله تعالى في بطن مريم من غير ذكر، وأنه إنسان لا إلهية فيه. انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمد ابن حزم ج1 ص47.

([7])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص151.

وأصحابه الذين كانوا يأخذون بالتوحيد المجرد مثله، ويقولون إن عيسى عبد الله ورسوله ككل الأنبياء [1]. يعلق أبو زهرة على ذلك بقوله: "ومن هذا يتبين أن مذهب بولس هذا كان توحيداً خالصاً، وأن عيسى ليس إلا رسولاً من رب العالمين، وإنه كان إذا عرض له البحث في كلمة الله، وروح القدس أمسك عن ذلك، ولم يخض فيه، وتوقف واعتصم بذلك"[2].

هذه كانت أبرز الفرق التي كانت موجودة في عصر التوحيد، وقبل العصر الذي أصبح التثليث فيه عقيدة أساسية، وقد أجمل أبو زهرة أهم ما كان يميز كل فرقة من هذه الفرق، باستقرائه التاريخي من أجل معرفة أساس النشأة، وبيانه المعرفي لمعرفة الفرق بين الفرق المختلفة.

ثانياً: دراسته الفرق النصرانية بعد عصر التوحيد:

شرح أبو زهرة أنه بعد مجمع نيقية أبعد التوحيد رسمياً عن الديانة النصرانية، وإن كان أتباعه أكثر عدداً، ولم تستطيع الحكومة الرومانية أن تقضي على التوحيد بذلك المجمع، ولكنها أخذت تبعد الموحدين عن مكان الرياسة في الكنائس، ولا تجعل صوتهم يصل إلى الشعب بالنفي والتشريد، حتى حيل بين العامة وبين سماع صوت التوحيد، وعندئذ كانت الفرق التي تظهر بعد ذلك في ظل أُلوهية المسيح في الجملة أن استثنينا مقدونيوس[3] وفرقته[4] ، وقد فصل أبو زهرة الحديث عن هذه الفرق كما يلي:

1- إثباته لانحرافهم عن التوحيد من خلال عقيدة فرقة مقدونيوس:

هذه الفرقة التي أنكرت أن يكون روح القدس إلهاً، وقاومت ما ترمي إليه الكنيسة العامة من فرض تلك الأُلوهية، ودعوة الناس إليها، ولعل (مقدونيوس) هذا كان من الموحدين الذين لا

([1])انظر: تاريخ الجدل: أبو زهرة، ص21.

([2])محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص151.

([3])مقدونيوس: كان بطريركا في القسطنطينية بعد ظهور النصرانية أيام قسطنطين بن قسطنطين باني القسطنطينية، ومن قول مقدونيوس هذا التوحيد المجرد وأن عيسى عبد مخلوق إنسان نبي رسول الله كسائر الأنبياء عليه. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، ج1 ص47.

([4])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص156.

يزالون يعتنقون التوحيد، فهاله أن يبدأ الأساقفة بتأليه المسيح، ويثنون بتأليه الروح القدس، فجاهر بإنكار الثاني، لأنه لم يعد في قوس الصبر منزع [1].

يلاحظ إنه في الوقت الذي أنكر فيه (مقدونيوس) لم تكن عقيدة التثليث قد أعلنت في مجمع عام، وقد يكون موضع حديث البطاركة وتعاليم بعضهم كون الروح القدس إلهاً، فتصدى (مقدونيوس) لإنكار ذلك، وتلقى الناس كلامه بالقبول، ولذا لم ينعقد المجمع للرد عليه إلا بعد أن مات بعدة سنين [2].

2- بيانه الخلل في عقيدتهم في المسيح عليه السلام من خلال عقيدة النسطوريون:

بين أبو زهرة أن (نسطور)[3]رأى أن مريم العذراء لم تلد إلهاً، بل ولدت فقط الإنسان، وهو بذلك يرى أن الاقنوم الثاني، وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين، بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثاني، وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئاً واحداً، أو ذلك الاتحاد لي اتحادا حقيقياً، بل اتحاد مجازياً. لأن الإله منحه المحبة، ووهبه النعمة، فصار بمنزلة الابن، وهذا التخريج لا شك يؤدي إلى أن المسيح الذي خاطبهم وكلمهم، وحوكم وعوقب في زعمهم، لم يكن فيه عنصر إلهي قط، فلم يكن إلهاً ولا ابن الإله[4].ويقول أن مريم ولدت الإنسان، ولم تلد الإله منه، والإله لم ينله شيء[5]. ولقد أُبعد ذلك نسطور عن منصبه ونُفي، فسار إلى مصر وأقام فيها إلى أن مات[6].

3- بيانه تناقض أقوال النصارى من خلال عقيدة اليعقوبيون:

بين أبو زهرة أن النصارى لم يتفقوا في قول واحد حول الطبيعة الإلهية، فاليقوبيون هم الذين يقولون بأن المسيح ذو طبيعة واحدة قد امتزج فيه عنصر إله بعنصر إنسان وتكون من

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص156.

([2])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص157.

([3])نسطور: (نسطوريوس، المتوفى عام 451م)، بطرييك القسطنطينية، قال بأن المسيح له طبيعتان منفصتان، إلهية وبشرية،وأعلن أن مريم لا يجل أن تدعى أن الإله، ونفي لقوله إلى صحراء ليبيا. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص454.

([4])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص158.

([5])تاريخ الجدل: أبو زهرة، ص22.

([6])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص158.

الاتحاد طبيعة واحدة جامعة بين اللاهوت والناسوت، فالله والإنسان اتحدا في طبيعة واحدة هي المسيح [1]. وإن أول من أعلن هذا المذهب هو بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي. وبسبب ذلك الإعلان أنعقد مجمع خليكنونية [2]، وقرر أن المسيح ذو طبيعتين لا طبيعة واحدة، وبسبب ذلك القرار انفصلت الكنيسة المصرية عن الكنيسة الرومانية[3]. يذكر أبو زهرة أن أقباط مصر كانوا يسمون في التاريخ العربي اليعقوبيين [4].

4- تتبعه للمسار التاريخي لخلاف الكاثوليك مع الأرثودوكس:

وضح أبو زهرة أن كثرة الخلافات حول طبيعة الإله عند النصارى، أدت في النهاية إلى نشوء فرقتين كبيرتين لم تستطع أي منهما إلغاء الآخر وهما: شرقية وغربية، بقي تأثير هذا الانقسام فيهما إلى يومنا الحاضر، وقد تحدث عنهما أبو زهرة كما يلي:

أ- **الشرقية (الكاثوليك):** كنيسة رومة التي آلت إليها رياسة الكنيسة الغربية اللاتينية، والبلاد التي تتبع الكنيسة الغربية، وكانت فيما مضى كل أوربا تقريباً، وبعض طوائف آسيا [5].

ب- **الغربية (الأرثودوكس):** كنيسة القسطنطينية التي آلت إليها رياسة الكنيسة الشرقية اليونانية قاطبة، وأما البلاد التي تتبع الكنيسة الشرقية، فأكثرهما في الشرق، ولها بطاركة. وأولهم بطريرك القسطنطينية، وهو كبيرهم ويضيفون إلى لقبه وصف إنه البطريق المسكوني، ويليه في الرتبة والمكانة الدينية بطريرك الإسكندرية للروم الأرثوذكس ثم بطريرك أنطاكية، ثم بطريرك أورشليم، ثم المجمع الروسي، ثم عدة مجامع لأسقفيات مستقلة أخرى كأسقفية أثينا، وأسقفية قبرص وغيرهما[6].

([1])انظر: تاريخ الجدل: أبو زهرة، ص22.

([2])مجمع خليكنونية: عام 451م، انعقد في ظل الإمبراطور مرقيانوس، وضم 500-600 أسقف، وتم تحديد الإيمان الصحيح، بالطريقة المألوفة، من حيث مساواة الكلمة بين أو الابن مع الآب في الذات والجوهر، بما يعني أن المسيح إنسان وإله في آن واحد. انظر: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، خياطة، ص95.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص159.

([4])انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج5 ص2755.

([5])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص164.

([6])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص164.

يقرر أبو زهرة أن لهذا الانقسام أثره العميق في الديانة النصراني، حيث أن هذا الانقسام أعظم الانقسامات القديمة شأناً، وأبعدها أثراً، ثم ذكر أبو زهرة أساس الخلاف بين هاتين الكنيستين، كما يأتي:

- **سبب اعتقادي:** أن كنيسة القسطنطينية ومن والاها من بعد اعتقدوا أن الروح القدس من الأب وحده، لا من الأب والابن، وكنيسة روما ومن والاها قد اعتقدوا أن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً[1].
- **سبب سياسي:** لقد قرر المجمع الذي شايع رومة أن تكون الرئاسة والكلمة لرومة، فرئيس كنيستها هو الحبر الأعظم والرئيس الروحي للمجمع، وقرر المجمع الذي شايع القسطنطينية رَفْض تلك الرياسة وعدم الاعتراف بها، ويعتبرون رئيس القسطنطينية رئيساً عاماً للكنيسة[2].

ولقد تبع الاختلاف في هاتين المسألتين الرئيسيتين خلاف في مسائل أخرى أوجدها تتابع السنين واستمرار الشقاق، فقد كثرت أوجه الاختلاف في مسائل فرعية[3].

بين أبو زهرة من خلال العرض السابق أهم الفرق النصرانية القديمة، وقد استخدم أسلوب المنهج الوصفي في دراسة الفرق، مع استنباطه للأحداث التاريخية المؤثرة في نشأة الفرق، ويرى القارئ لكلام أبي زهرة في الفرق أن عرضه لها يحتوي على رد على بعض العقائد الفاسدة في النصرانية، من خلال بيانه الاختلاف في مسائل أساسية في الدين النصراني.

ثالثاً: دراسته الفرق النصرانية في العصر الحديث:

وقد بينها أبو زهرة أن هذه الفرقة التي ظهرت حديثاً وهي تسمى (البروتستانت) أو الإصلاح الديني، قام أبو زهرة بدراستها على النحو التالي:

1- استنباطه لأسباب ظهور البروتستانتية:

([1])انظر: المرجع السابق، ص161.

([2])انظر: المرجع نفسه ، ص161.

([3])انظر: المرجع نفسه ، ص161.

وضح أبو زهرة أن هناك أسباب أدت إلى ظهور هذه الفرقة، بينها كما يلي:

أ- **السلطة الجبرية:** حيث ضغط الكنيسة الكاثوليكية على المسيحيين، وبالغت في فرض آرائها عليهم مبالغة تجاوزت حد الغلو، والعنف الشديد[1].

ب-**رفض الرأي المخالف:** جعلت كل رأي في العلوم الكونية يخالف رأيها كفراً، ولا تدعو معتنقيه إلى الهداية، بل تكفر لأوهى الأسباب، وتحرق أو تعذب من تراه كافراً بلا رفق ولا هوادة[2]

ج- **فرض سلطانها على الملوك:** بأن صار البابا لا سلطان لأحد من ولاة الأمر عليه، وأصبح الباباوات غير خاضعين بأي نوع من أنواع الخضوع لأي ملك من الملوك[3]

د- **الابتزاز المادي:** بحيث أرهقت الكنيسة النصارى بأتاوات ماليه، وضرائب كبيرة تأخذها ، وتفرض عليهم هذه الضرائب لأسباب غير معقولة، وغير مقبولة في كثير من الأحيان[4].

هـ- **الاحتكار الفكري:** استبداد الكنيسة بفهم الكتب المقدسة [5].

و- **صكوك الغفران:** امتلاك الكنيسة حق الغفران للمسيء في الدنيا، وغفرانها مهما يكن مقدارها، ومهما تكن قد دنست النفس[6].

ز- **سلوك رجال الدين الشخصي:** حيث كان حال رجال الدين محاطا بالريب من كل جانب، فحرموا على أنفسهم الزواج، لكنهم مع المال المغدق عليهم من الكنيسة، انغمسوا في الملذات، واتصل بعضهم بالنساء اتصال سِفاح[7].

2- بيانه الانطلاق الحقيقي لزمن الإصلاح، وأهم قادته:

---

(1)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص167.

(2)انظر: المرجع السابق، ص167.

(3)انظر: نفسه، ص168.

(4)انظر: نفسه، ص169.

(5)انظر: نفسه ص170.

(6)انظر: نفسه، ص171.

(7)انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص173.

بعد هذه الأسباب التي بينها أبو زهرة، بدأ العصر المسمى بالإصلاح، حيث نهض الأوروبيون في عصر النهضة، ورأوا نور الإسلام، والتدين الحقيقي، حينئذ أخذت الأنظار المتربصة تحصي على رجال الدين ما يفعلون، واستنكروا حالهم، كانت البلاد التي تظهر فيها آراء الإصلاح في شمال أوربا وإنجلترا، وفرنسا، لأن فرنسا قد ذاق بعض ملوكها أذى الحرمان من الكنيسة، وأحس الفرنسيون بشدتها، وإنجلترا رأت من سلطان البابا عليها تدخلاً في شئونها، وأشد من ظهر من أولئك تأثيراً وأقوالهم نفوذاً: مارتن لوثر وزوينغلي [1]، وكالفن [2]، كانت جهود هؤلاء القادة وأتباعهم، وعيوب الكنيسة، وسوء حالها وحال القوامين عليها، وشدة ضغطهم سبباً في ذيوع الآراء التي تخالف رأي الكنيسة، وقد انتشر المذهب الجديد في ألمانيا والدانمرك والنرويج وهولندا وإنجلترا وأمريكا الشمالية وسويسرا، وإن لم تصر كلها على المذهب[3].

3- استنباطه لأهم مبادئ الإصلاح، كما بينها أبو زهرة:

أ- جعل الخضوع التام الواجب على المسيحي لنصوص الكتاب المقدس وحدها.

ب-ليس لكنائسهم من يترأس عليها رياسة عامة، بل لكل كنيسة رياسة خاصة بها.

ج- ليس لها سلطان في محو الذنب أو ستره، أو تلقى الاعتراف بالذنوب ومسحها سواء أكانت تلك هي المسحة الأخيرة عن الاحتضار، أم كانت قبل ذلك.

د- رفض أولئك المسيحيون الصلاة بلغة غير مفهومة للمتعبد.

هـ-في العشاء الرباني ينكرون أن يتحول الخبز إلى جسد المسيح، والخمر إلى دمه.

و- أنكر أولئك المصلحون لزوم الرهبة التي يأخذ رجال الدين أنفسهم بها ويعتبرونها شريعة لازمة.

([1])أولريخ زوينغلي: (1484-1531م)، مصلح بروتستانتي سويسري، تأثر بتاعليم لوثر، ولكنه اختلف معه حول طبيعة القربان المقدس، ذاهباً إلى أن له قيمة رمزية لا غير. انظر: معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص224.

([2])جون كالفن:(1509-1564م)، لاهوتي فرنسي، نشر رواية الإصلاح البروتستانتي في فرنسا، ثم في سويسرا، حيث أنشأ حكومة دينية صارمة في جنيف، أسس المذهب الكالفني، وكان له الأثر الكبير في إنجلترا، وأمريكا الشمالية. معجم أعلام المورد، البعلبكي، ص357.

([3])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص175-183.

ز – منع البروتوستانت اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس والسجود لها، معتقدين أن ذلك قد نهي عنه في التوراة [1].

عقب أبو زهرة على هذا الكلام: " فإذا كان المصلحون قد قرروا أن يأخذوا مذهبهم الديني من الكتب الصحيحة، وقرروا أن يرفضوا سلطان المجامع والكنيسة معاً، فإن المنطق الذي يسيرون عليه كان يوجب عليهم أن يرفضوا أقوال المجامع القديمة، ومنها أُلوهية المسيح، وألوهية الروح القدس." [2].

في هذا العرض الموجز قام أبو زهرة بعمل عرض موجز حول أهم الفرق النصرانية في العصر القديم والحديث، وقد ميز بعضها ببقايا التوحيد العيسوي، وانحراف البعض الآخر، كما كان يشرح أبو زهرة أفكارهم وعقائدهم من خلال أقوال مؤسسيهم ورؤسائهم، وقد كان منهج أبي زهرة في عرض جميع الفرق النصرانية هو المنهج الوصفي التاريخي، من خلال العرض والتحليل والاستنباط، دون الخوض في الرد والنقد، لكن القارئ يستطيع بيان الخلل الكبير في العقيدة النصرانية ككل إذا كان هذا حال بعض فرقها.

([1])انظر: محاضرات في النصرانية، أبو زهرة، ص184–187.

([2])المرجع نفسه ، ص188.

المطلب الثاني: منهج الفاروقي في دراسة الفرق النصرانية:

قدم الفاروقي في دراسته للدين المسيحي، دراسة أخلاقية تاريخية متميزة، وقد درس العديد من العقائد أيضا بهدف الرد على الكثير من الخلافات العقائدية مع الدين الإسلامي، لكن الفاروقي لم يقدم دراسة كبيرة حول الفرق والطوائف المسيحية المختلفة، واقتصر حديثه حول القليل من الفرق، كما يلي:

أولاً: دراسته لفرقة الأبيونية:

وضح الفاروقي إنه عند انتشار الحركة الدينية المسيحية مع اليهود في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، كسبت أتباعاً من اليهود وغيرهم، ممن اعتنق الدين الجديد، اتخذوا اسم الأبيونيين واختاروا حياة الفقر، مسلكاً لهم، وقصروا جهدهم على تزكية الأنفس، والعبادة، وكانوا أول أمثلة حياة الزهد والرهبنة في المسيحية [1].

تشبه هذه الحركة، الصوفية المسيحية والصوفية الإسلامية التي درسها الفاروقي بكل تفصيل في الفصل الماضي.

ثانياً: دراسته لحركة الإصلاح الديني:

درس الفاروقي حركة الإصلاح الديني، وأوضح معالمها من خلال:

1- توضيح أساس حركة الإصلاح الديني:

بين الفاروقي أن هذه الفرقة والتي تزعمها (لوثر)، وأودت بسلطة الكنيسة، وتعاليمها وأبعدتها كل البعد عن السلوك الإنساني، وهي أخضعت السلوك للمعطيات التي يستخلصها الإنسان المسيحي من الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد مقتفياً آثار الأجداد دون التقيد بها[2]، يعني أن أساس هذه الحركة هو عدم التقيد بما فعله الأجداد؛ فالنصوص ثابتة لكنها

([1])انظر: أطلس الحضارة الإسلامية، إسماعيل ولمياء الفاروقي، ص108.

([2])التحرك الفلسفي الإسلامي الحديث، الفاروقي، ص13.

تخضع إلى متغيرات العصر، حتى لو خالفت هذه المتغيرات أساساً واضحاً من أساسات الديانة المسيحية.

2- **استنباطه لمساعي قادة الإصلاح الديني:**

وقد وضح الفاروقي أن لوثر وقادة الإصلاح الديني سعوا إلى:

أ- تحرير المسيحية من سلطة كنيسة روما.

ب-يمكن للمسيحي الخلاص بنفسه دون كنيسة روما، من خلال أن الإيمان يُعيد للإنسان ما كان قد فقده قبل الإيمان.

ج-قرر لوثر أن معنى صورة الله هي الاستقامة والفضيلة، التي كان آدم قد حصل عليها مرة، ثم فقدها، ولن يحظ بها المسيحيون إلا من خلال الإيمان.

د- ركز لوثر على التجديد الذي عده وحده الضروري لتحقيق الخلاص.

هـ-جميع الخير في الإنسان لا يكون إلا من خلال الإيمان، مما يعني أنه لم يوجد إنسان بعد آدم غير المسيحيين فقط [1].

ثالثاً: إغفاله لدراسة الفرق النصرانية:

ولكن لماذا لم يدرس الفاروقي الفرق والملل النصرانية، كما درس الملل والفرق اليهودية؟!، ربما يكون الجواب بما يلي:

1- دراسة الفاروقي للمسيحية كانت دراسة أخلاقية تاريخية متخصصة، ولم تكن دراسة مقارنة أديان كدراسته لليهودية.

2- الفاروقي أراد أن تكون دراسته للمسيحية هي دراسة تقريبية بين الإسلام والمسيحية، ولم يكن يريد أن يدخل في تفاصيل الفرق التي ربما تخرب عليه مقصده.

(1) See: Al Faruqi, Christian Ethics, page165.

3- دراسة الفاروقي الغربية ربما لم يكن من ضمنها دراسة العقائد المسيحية القديمة، والولايات المتحدة الأمريكية تعتمد دراسة العقيدة الإصلاحية، ربما هذا ما لم يؤهله للكتابة حول هذه العقائد.

يتضح مما سبق أن الفاروقي اتبع أسلوب الوصف في دراسة الفرق النصرانية، لكنه في دراسته لحركة الإصلاح الديني، يستطيع القارئ بيان الخلل الموجود عند الكثير من أتباع النصرانية، من خلال استقراء الآراء المخالفة، وأن هذه المخالفات هي من صميم الدين، وليست أمراً مما يسوغ الخلاف فيه.

المطلب الثالث: مقارنة بين منهج أبي زهرة والفاروقي في دراسة الفرق النصرانية.

درس كل من أبي زهرة والفاروقي فرق النصارى المختلفة، وكان لكل منهما منهجه وأسلوبه الذي يتفق في بعض المواضيع ويختلف في بعضها الآخر، من حيث عدد الفرق التي درسها، ومنهجية الدراسة. ونقاط الاتفاق والاختلاف بينهما كما يلي:

أولاً: نقاط الاتفاق بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للفرق النصرانية:

1- تحدث كل من أبو زهرة والفاروقي عن الانقسام البروتستانتي، وعن المؤسسين له.

2- شرح كل منهما أهم المبادئ التي تأسست نها حركة الإصلاح الديني البروتستانتي.

ثانياً: نقاط الاختلاف بين منهجي أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للفرق النصرانية:

تأثر كل من أبي زهرة والفاروقي من منهج الدراسة التي عاشوا فيها، أدى ذلك إلى اختلاف في دراسة الفرق النصرانية، وبيان ذلك كما يلي:

1- ما يتميز به أبو زهرة عن الفاروقي:

أ- انفرد أبو زهرة في بيان التقسيم التاريخي للفرق النصرانية، حيث اعتمد تاريخ مجمع نيقية كأساس لبداية عصر التثليث، وسقوط التوحيد من عقائد الفرق النصرانية المختلفة.

ب-شرح أبو زهرة العديد من عقائد فرق النصارى القديمة المختلفة، مثل الملكانية والسامرة، والربرانية، والمرقونية، والأريوسية، وأصحاب بولس الشمشاطي، وهذه كانت من الفرق التي كانت في عصر التوحيد، في حين لم يشرح الفاروقي هذه الفرق.

ج- عدد أبو زهرة الفرق التي كانت أقرب إلى التوحيد في عصر التثليث، وهي أصحاب مقدونيوس ، النسطوريون واليعقوبيون.

د- عدد أبو زهرة أهم الأسباب التي ادت إلى عقيدة النصارى بالانحدار إلى التثليث، وبزوال التوحيد الذي كان في أصل عقيدتهم، ولم يشرحها الفاروقي.

هـ-ذكر أبو زهرة الخلاف الأهم الذي أدى إلى الانقسام العظيم بين الكنيسة الشرقية الأرثودوكسية والكنيسة الغربية الكاثوليكية، والاثر الكبير الذي خلفه هذا الانقسام، وأدى إلى انقسامات أخرى أكبر.

2- ما يتميز به الفاروقي عن أبي زهرة:

أ- تحدث الفاروقي عن الفرقة الأبيونية، والتي شبهها بالتصوف في الإسلامي.

ب-أغفل الفاروقي دراسة الفرق المسيحية دراسة حقيقية، خلافاً لأبي زهرة الذي فصل في هذه المسألة.

هذا كان عرض مقتضب حول منهج أبي زهرة والفاروقي في دراستهما للنصرانية، حيث البداية كانت مع نشأة النصرانية وارتباطها مع بالنشأة مع حياة اليهود، والحديث عن المسيح عيسى عليه السلام، كونه أساس بداية التاريخ النصراني، ثم الحديث حول أبرز العقائد التي مثلت النصرانية، وما شابها من نقص أو تحريف، ثم الختام بالحديث حول أهم الفرق النصرانية القديمة والحديثة الموجودة حتى الآن.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي وفقني وأعانني على أن تتم رسالتي، وأسأل الله تعالى أن يجعل مجهودي فيها خالصاً لوجهه الكريم، وابتغاءً لمرضاته، وأن ينفع بها كل مسلم، وكل طالب علم، وفي ما يلي النتائج والتوصيات لهذه الرسالة:

أولاَ: النتائج:

في ختام هذه الرسالة أذكر أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال البحث، وهي:

1- علم مقارنة الأديان هو علم مهم لكل إنسان يسعى لنشر دين الإسلام، فهو اسم جامع لمختلف الدراسات العلمية التي تهتم بالأديان عموماً، من خلال دراسة المعتقدات والطقوس الدينية، بناءً على أسسٍ وضوابط علمية ومنهجية. وقد كان لمفكري الإسلام قصب السبق في ظهور هذا العلم، حيث إنه لا يوجد قبل الإسلام مؤلفات عالجت هذا الموضوع بدقة وموضوعية؛ بل إن علماء الغرب قد استفادوا من التراث الإسلامي. وتنحصر مناهج علم مقارنة الأديان بالمنهجين الوصفي التاريخي، والنقدي التحليلي.

2- تميز كل من أبي زهرة والفاروقي بجودة مصادرهما في دراسة الأديان، من حيث الأصالة والعمق، مع الاستعانة بالكتب الغربية، يأخذ على أبي زهرة أنه كان يستدل بالكتاب المقدس بالمعنى وليس بالنص، وهذا ما وقع فيه الفاروقي ولكن مع القرآن الذي كان يذكر ترجمة النصوص بدلاً من ذكرها بالغة العربية.

3- واجتمعا على اتباع المنهج الوصفي، في دراستهما للأديان، لكنهما صرحا على أنهما سيتبعان المنهج النقدي في القضايا التي تحتاج إلى إبداء رأي نقدي، وقد استحدث الفاروقي منهج ما وراء الدين، الذي برأيه يصلح الخلل الموجود في المنهج الوصفي، وهذا حالهما سواءً في أمور العقيدة، أو غيرها، مع تصريح كل منهما بإعطاء حل للقضايا التي يعتقدان أنهما على علم بحلها.

4- استغل كل من أبي زهرة والفاروقي المنهج التاريخي لسرد قصة نشأة اليهود، ونشأة النصارى، من الزمان الأول إلى يومنا الحاضر، وقد بينا أهم النقاط التي أدت إلى استقرار الصورة الحالية للعقيدة اليهودية والنصرانية، وقد كان من أهم أسس منهجهما في

النقطة هو عدم الدخول في مسائل الخلاف التاريخي أو العقائدي التي لا يفيد البحث فيها شيئاً.

5- يؤخذ على أبي زهرة أنه كان يذكر الرواية التوراتية بالمعنى، ولا يرجع القارئ إلى المصدر الأصلي الذي أخذ منه المعلومة، ويؤخذ على الفاروقي في هذه المقام عدم ذكره للرواية القرآنية، أو إيراد النص القرآني بترجمة معانيه، وفي الكثير من الأحيان كان يكتفي بذكر الرواية التوراتية.

6- أكد كل من أبي زهرة والفاروقي على التحريف الحاصل في العقائد اليهودية والنصرانية المختلفة، وقد اعتمد كل منهما على أدلته للتحريف، حيث اعتمد أبو زهرة على الدليل القرآني للتحريف، واختلاط الكتاب المقدس بالفلسفات والسحر، وابتعاد نصوصه عن الأخلاق الكريمة التي تنادي بها الأديان، أما الفاروقي فقد اعتمد على المنهج التاريخي الاستقصائي، بحيث يحدد الأبعاد الزمنية للنصوص، مع تأكيده على البعد الفلسفي للكثير من نصوص وعقائد كل من اليهود والنصارى.

ثانياً: التوصيات:

1- الاهتمام بالعلماء المسلمين الذين عاشوا في الغرب وتعلموا من مناهج الغرب؛ لما لدراستهم من أثر عميق على العقل الغربي، لما لذلك من طبع للدراسات الإسلامية بالحداثة الإسلامية التي تقنع الغرب. كأمثال: موريس بوكاي، وأحمد ديدات.

2- تطوير علوم التراث الإسلامية الموروثة من علماء الإسلام الأجلاء الأقدمين، والذي كان تراثهم رد على أهل زمانهم، لتصبح نافعة لأهل زماننا، ومعالجة القضايا التي لم تكن مطروحة للمناقشة في عهدهم، مثل: تطوير كتاب (إظهار الحق) الذي أظهر شبهات في دين النصارى، فقد وجود شبهات جديدة، ووجدت ردود على الشبهات التي أوردها رحمت الله الهندي مؤلفه.

3- تجميع مقالات أبي زهرة الموزعة في المجلات القديمة، لتصبح في كتاب واحد، ليسهل على الباحث الوصول إلى المعلومات فيها.

4- ترجمة كتب ومقالات الفاروقي المختلفة إلى اللغة العربية، فالكثير من علمه يخفى على الباحث العربي.

5- أبو زهرة لم يحقق كتاباته محاضراته في الأديان فنوصي أحد الباحثين بتحقيقها بعد جمعها، وكذلك الحال مع كتابات الفاروقي.

وأخيراً:

إن أحسنت ووفقت في بحثي فهذا بتوفيق من الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله متقبلاً، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، والناس أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- أبو زهرة عالماً إسلاميا حياته ومنهجه في بحوثه وكتبه، ناصر وهدان، ط(1)، (د.ن) (د.م)، 1417هـ.

2- الاستشراق والمُسْتَشْرِقُونَ ما لهم وما عليهم، مصطفى بن حسني السباعي، الناشر: دار الوراق للنشر والتوزيع – القاهرة، (د.س).

3- الإسلام في القرن المقبل، إسماعيل الفاروقي، *مجلة المسلم المعاصر*،(38)، ص5-26. 1984م

4- الإسلام ونظرية التطور، محمد احمد باشميل، ط(3) ،(د.ن)، مكة المكرمة- السعودية، 1984م.

5- إسلامية المعرفة، اسماعيل الفاروقي، ط(1) م، دار الهادي للنشر- بيروت، 2001م.

6- أسلمة المعرفة، إسماعيل الفاروقي، ترجمة: عبد الوارث سعيد، نشر: دار البحوث العلمية – الكويت، 1983م.

7- إسماعيل الفاروقي الرائد في العلاقات الإسلامية المسيحية، جون اسبوزيتو، *مجلة الحوار* (141) سنة 2014م.

8- إسماعيل الفاروقي واسهاماته في الفكر المعاصر، (مجموعة بحوث)، د فتحي الملكاوي وآخرون، ط(1)، دار الفتح للنشر الأردن، 2014م.

9- أصول الصهيونية في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، ط(2)، ، نشر: مكتبة وهبة، مصر، 1988م.

10- أصول الفكر التيّمي وأثرها على الجانب التوحيدي عند الفاروقي، محمد الجدي، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الثاني بعنوان : (تراث اسماعيل راجي الفاروقي)، الجامعة الاسلامية العالمية بماليزيا من 22-23 أكتوبر 2013.

11- أطلس الحضارة الإسلامية، اسماعيل ولمياء الفاروقي، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، ط (1)، نشر: مكتبة العبيكان الرياض، 1998م.

12- أطلس الحملات الصليبية على المشرق الإسلامي، سامي المغلوث، ط(1) ، الناشر: العبيكان للنشو –الرياض2009م.

13- الأعلام، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، ط(15) ، الناشر: دار العلم للملايين2002م.

14- بحوث ودراسات في مقارنة الأديان، محمد الشرقاوي، ط(3) ، مكتبة الزهراء القاهرة1990م.

15- بولس وتحريف المسيحية، هايم ماكبي، ترجمة: سميرة الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية(د.م).

16- تاريخ الأديان، محمد خليفة حسن، نشر ، دار الثقافة العربية القاهرة- مصر2002م.

17- تاريخ الجدل، محمد أبو زهرة، ، نشر دار الفكر العربي1934م .

18- تاريخ دمشق لابن القلانسي، حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي، المحقق : سهيل زكار، ط(1) ، الناشر : دار حسان للطباعة والنشر دمشق1983م.

19- تاريخ مصر الاجتماعي منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، عبد العزيز سليمان نوار، نشر: دار الفكر العربي، القاهرة.

20- تاريخ مصر وحضارتها في الحقبة البيزنطية، ليلى عبد الجواد، نشر عام ، دار الثقافة العربية – مصر2007م.

21- تاريخ وتطور علم مقارنة الأديان، (بحث)، أحمد عبد الحميد مهدي، جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا.

22- التحرك الفلسفي الإسلامي الحديث، إسماعيل الفاروقي، *مجلة المسلم المعاصر*، (39)، عام 1984م، ص11-23.

23- التوحيد ومضامينه على الفكر والحياة، إسماعيل الفاروقي، ترجمة: السيد عمر، ، الناشر: مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة-مصر2014م.

24- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر ط(1) ، مؤسسة الرسالة، القاهرة2000م.

25- الجامع الكبير أو سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت1998م.

26- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه(صحيح البخاري) المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط(1) الناشر: دار طوق النجاة1422 هـ.

27- جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، صالح أبو بصير، ط(1) (د.ن) (د.م) 1967م.

28- جوهر الحضارة الإسلامية، إسماعيل الفاروقي، *مجلة المسلم المعاصر*، (27)، عام1981م، ص11-27.

29- حاضر العالم الاسلامي، تاج السر حران، ط(1)، إشبيليا للنشر والتوزيع السعودية2001م.

30- حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية، إسماعيل الفاروقي، *مجلة المسلم المعاصر*، (26)، عام1981م، ص19-39.

31- خاتم النبيين ﷺ، محمد أبو زهرة، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة 1425هـ.

32- خيرة العقول الإسلامية في القرن العشرين، محمد بن المختار الشنقيطي، ط(1)، الشبكة العربية للأبحاث والنشر بيروت، 2016م .

33- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ط(1) ، الناشر: مكتبة أضواء السلف- الرياض1997م.

34- دراسات في تاريخ مصر الحديث، عمر عبد العزيز، ، دار المعرفة الإسلامية القاهرة1998م.

35- الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، علي محمد الصلابي، ط(1)، دار التوزيع والنشر الاسلامية بور سعيد2001م.

36- ذلك الدين القيم ، محمد أبو زهرة، *مجلة لواء الإسلام*، العدد الثاني عشر السنة الثامنة سنة النشر 1955م.

37- رسالة في الأديان والفرق والمذاهب، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر،(د.م).

38- زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة ، دار النشر: دار الفكر العربي.

39- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، محمد ناصر الدين، الألباني، ط(1) ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض1995م.

40- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط(3) ، الناشر : مؤسسة الرسالة1985م.

41- السير والمغازي (سيرة ابن إسحاق) ، محمد بن إسحاق ، تحقيق: سهيل زكار، ط(1) الناشر: دار الفكر بيروت1978م.

42- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط(2) ، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر1955م.

43- الشيخ محمد أبو زهرة وآراءه الاعتقادية عرضاً ونقداً، فهد النميري، (رسالة دكتوراه غير منشورة) جامعة أم القرى السعودية، 1430هـ.

44- الشيخ محمد أبو زهرة وجهوده الكلامية، سعد عاشور (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة أم درمان السودان، 1997م.

45- العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، محمد أبو زهرة، نشر مجمع البحوث العلمية عام 1969م.

46- علم مقارنة الأديان أصوله ومناهجه ومساهمة علماء المسلمين والغرب في تأصيله، حسن الباش، ط(1) ، دار قتيبة للنشر2011م.

47- علم مقارنة الأديان عند مفكري الإسلام ، إبراهيم محمد تركي ط(1) ، دار الوفاء الإسكندرية 2002م.

48- علم مقارنة الأديان فضاء معرفي لفهم الآخر، سيكو توري، تاريخ الاطلاع 15 أكتوبر 2018م، الموقع: www.islamonline.net/3174

49- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم أبو العباس ابن أبي أصيبعة، المحقق: الدكتور نزار رضا، الناشر: دار مكتبة الحياة – بيروت.

50- الغصن الذهبي في السحر والدين، جيمس فريزر، ترجمة: نايف الخوص، ط(1) ، نشر دار الفرقد، دمشق-سوريا2014م.

51- فاروق وسقوك الملكية في مصر، لطيفة محمد سالم، ط(2) ، الناشر مكتبة مدبولي -القاهرة1996م.

52- الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، نهاد خياطة، دار الأوائل، دمشق.

53- الفصل في الملل والأهواء والنحل، محمد ابن حزم، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر.

54- الفيمينولوجيا عند هرسل، سماح رافع محمد، ط(1) ، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد1991م.

55- قراءة في أطروحة الدكتوراه للمرحوم إسماعيل الفاروقي "حول إثبات الخير" ، (بحث)، جاسر عودة، نشر عام 2017م.

56- القرآن المعجزة الكبرى، محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، (د.م).

57- قصة الحضارة، ويِل ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، عام النشر: 1408 هـ - 1988 م.

58- القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، محسن صالح ، طبعة، مركز الزيتونة بيروت لبنان2012م.

59- قمم إسلامية أبو زهرة إمام عصره، أبو بكر عبد الرازق، ، نشر دار الاعتصام القاهرة1984م.

60- الكامل في التاريخ، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط(1) الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان1997م.

61- الكتاب المقدس، النسخة الإلكترونية. http://www.st-takla.org/Holy-Bible_.html

62- كنز الدرر وجامع الغرر، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، المحققون وعام النشر: جـ 1/ بيرند راتكه1982 م ،جـ 2/ إدوارد بدين،1994 م،جـ 3/ محمد السعيد جمال الدين1981 م. جـ 4/ جونهيلد جراف - اريكا جلاسِن1994 م. جـ 5/ دوروتيا كرافولسكي1992 م. جـ 6/ صلاح الدين المنجد1961 م. جـ 7/ د سعيد عبد الفتاح عاشور1972 م ، جـ 8/ أُولْرِخ هارمان1971 م، جـ 9/ هانس رُوبرت رويمر، 1960 م، الناشر: عيسى البابي الحلبي.

63- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن الميداني، ط(2) ، دار القلم دمشق1998م.

64- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، ط(3) ، الناشر: دار صادر - بيروت1414هـ.

65- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام، محمد أبو زهرة، ط(2)، الدار السعدية للنشر والتوزيع، السعودية1981م.

66- محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة، ط(3) ، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة1966م.

67- محمد الجدي، قابله: محمد أبوراس، 2018/11/22م.

68- محمد بخيت، قابله: محمد أبوراس، 2018/11/22م.

69- مدخل الى علم مقارنة الاديان، محمد أحمد كامل، تاريخ الاطلاع 7 أكتوبر 2018م، الموقع: (www.nottansser2.wordpress.com)

70- مدخل إلى علم مقارنة الأديان،(بحث) بشير الكردوسي، *مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية*، (18) ص72-83.

71- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ط(9)، ، نشر دار الشروق، القاهرة - مصر 2001م.

72- مستشرقون اعتنقوا الإسلام، محمد جبر الألفي، تاريخ الاطلاع 12 اكتوبر 2018م ، الموقع: www.alukah.net/cultcer/0/80269

73- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت1954م.

74- المسيحية، أحمد شلبي، ط(10) ، نشر: مكتبة النهضة، القاهرة–مصر 1998م.

75- مشاهد علمية الحرب العالمية الأولى، سايمون آدمز، ترجمة مروة عبد الستار، نهضة مصر للطباعة والنشر.

76- مشاهد علمية الحرب العالمية الثانية، سايمون آدمز، ترجمة مروة عبد الستار، ط(1) ، نهضة مصر للطباعة والنشر 2008م.

77- المعارف، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ،تحقيق: ثروت عكاشة، ط(2) ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1992م.

78- معالم منهج دراسة المسيحية بين أبي محمد بن حزم وإسماعيل راجي الفاروقي، زينة محمد باخة (رسالة ماجستير غير منشورة)، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 1999م.

79- معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، ط(1) ، نشر دار العلم للملايين، بيروت – لبنان1992م.

80- المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، المؤلف: مجموعة مؤلفين من أعضاء ملتقى أهل الحديث.

81- معجم الشيوخ الكبير للذهبي، المحقق: محمد الحبيب الهيلة، ط(1) ، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف – المملكة العربية السعودية1988م.

82- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ، الشركة العالمية للكتاب، بيروت–لبنان 1994م.

83- المعجم الوسيط ،المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

84- المغالطات المنطقية، عادل مصطفى، ط(1) ، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة–مصر 2007م.

85- مقارنة الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، نشر دار الفكر العربي، (د،م) (د.س)

86- مقارنة الأديان اليهودية ، أحمد شلبي ط(1) مكتبة النهضة المصرية – القاهرة1996م.

87- مقارنة بين مناهج علماء المسلمين القدامى والمعاصرين في دراسة الأديان، (بحث)، أمين حجي الدوسكي، 2017م، نشر في شبكة الألوكة.

88- مقال حول سان سيبريان، ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع 2019/2/12م، https://ar.wikipedia.org/wiki. قبريانوس_القرطاجي/

89- مقال حول لويز الفاروقي، ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع، 2019/2/14م، http://en.wikipedia.org/wiki/Lois_Lamya_al-Faruqi

90- مقال حول موريس بوكاي، ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع 2019/2/14م، https://ar.wikipedia.org/wiki/موريس_بوكاي

91- مقال حول هوستن سميث، ويكيبيديا، تاريخ الإطلاع 29/2/14م، https://ar.wikipedia.org/wiki/هوستن_سميث

92- الملل المعاصرة في الدين اليهودي، إسماعيل الفاروقي، ، معهد البحوث والدراسات العربية1968م.

93- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،الناشر: مؤسسة الحلبي.

94- من أعلام الدعوة والحركات الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ط(8) ، دار البشير 2008م.

95- مناهج دراسة الأديان، يسن مزقول، تاريخ الإطلاع 15 أكتوبر 2018م، الموقع: http://mazgool.3abber.com/post/371415

96- المنطلقات الفكرية للصهيونية وأثرها على وحدة الأمة (قراءة في فكر إسماعيل الفاروقي)، محمد الجدي، (بحث غير منشور).

97- منهج الإمام محمد أبو زهرة في التفسير،(رسالة ماجستير غير منشورة) نادية الدريملي، الجامعة الإسلامية غزة، 2001م.

98- منهج التطور العقدي في دراسة الأديان المقارنة، نانسي عويس، ط(1) ، دار الهداية للنشر القاهرة2011م.

99- منهج الفاروقي في دراسة اليهودية، لندا بوعافية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الحاج لخضر - باتنة الجزائر، 2010م.

100- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد بن علي تقي الدين المقريزي، ط(1) ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان1418هـ.

101- موت عالم، عبد الله العقيل، *مجلة المجتمع*، (197)، سنة النشر 1974م، ص14- 16.

102- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، أحمد شلبي، ط(7) ، نشر مكتبة النهضة مصر1986م.

103- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، ط(3) ، نشر دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان1993م.

104- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، عبد الوهاب المسيري، نشر عام 1975م.

105- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، نسخة الشاملة.

106- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي الحنفي، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي -مصر.

107- نحو جامعة إسلامية، إسماعيل الفاروقي، ترجمة: محمد رفقي عيسى، *مجلة إسلامية المعرفة*، (33) العام 1982م، نشر مؤسسة المسلم المعاصر، بيروت-لبنان، ص47-56.

108- ندوة لواء الإسلام: الجهاد في سبيل الله، محمد أبو زهرة، *مجلة لواء الإسلام*، (8)، السنة الحادية والعشرين، سنة المشر 1967م.

109- ندوة لواء الإسلام: الديانات السماوية ، محمد أبو زهرة، *مجلة لواء الإسلام*، (3) سنة19، سنة النشر1965م، ص179-194.

110- نظرية القيم عند الفاروقي وصلتها بالتكامل المعرفي، ابراهيم محمد زين، *مجلة تفكر*، (2)، 2011م، ص5- 32.

111- نقد الليبرالية، الطيب بو عزة، ط(1) ، الناشر مجلة البيان الرياض2009م.

112- النهضة الإسلامية في المجتمع المعاصر، إسماعيل الفاروقي، *مجلة المسلم المعاصر*، (28)، عام 1981م، ص51-66.

113- النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد البيومي، ط(1) ، دار القلم 1995م.

114- اليهود اليهود(1)، محمد أبو زهرة، *مجلة لواء الإسلام*، (10)، سنة 11، سنة النشر 1967م، ص604- 609.

115- اليهود اليهود(2)، محمد أبو زهرة، *مجلة لواء الإسلام*، (12)، سنة 21، سنة النشر 1967م.ص718- 723.

116- اليهود في القرآن(1)، محمد أبو زهرة، *مجلة المسلمون*، (3) السنة الثالثة، ص232- 239.

117- اليهود في القرآن(2)، محمد أبو زهرة، *مجلة المسلمون*، (4) السنة الثالثة، ص334-341.

118- اليهود في الوطن العربي، داود سنقرط ، ط(1) ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن1983م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

1- **Christian Ethics A Historical and Systematic of Its Dominant Ideas**, Ismail Al Faruqi Montreal McGill University, Press 1967.

2- **Makers Of Contemporary Islam**, john Esposito, John Voll, Oxford University, Press 2001.

نتيجة الحكم